أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

III

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

علي مولا

دار الساقي

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

أدونيس
الكتاب
أمس المكان الآن
مخطوطة تُنسب إلى المتنبي
يحققها وينشرها أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

خطوط الغلاف: محمد سعيد الصكّار

أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

مَخْطُوطَةٌ تُنسَبُ إلىٰ المتَنبّيْ
يُحقّقهَا وَيَنشُرُهَا أدُونيسْ

دار الساقي

© دار الساقي
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ISBN 1 85516 535 X

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢
بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7-221 9347, Fax: 020-7-229 7492

I

فاصلة استباق

إنّها أرضهُ التي ينتمي إليها، -

تنحني كأنّها الياء.

- في كلّ مكانٍ ينتظره موتٌ ما.

ويريد أن تنهضَ كأنّها الهمزة على ألف الطّبيعة.

باسمها يحرث الحنينَ ويَسقي حدائق الرغبة.

بِاسمها يَفْتقُ الفضاءَ خيطاً خيطاً.

يسكن شهيقُها في أعضائه يسكن

زفيرها في تأوّهاته

مركّبةٌ من آلهة حواسّه، ولا تزال سِرّاً وعصيّةً عليه.

باسمها يشرح الرّوحَ بصخب المادّة

يبتكر علماً لتحليل السّماء يستضيف اللاّهوتَ

الفلسفة العلمَ الفقهَ والشّرع يَسْتودعُ

التّاريخ مواعيده ويتصارع معه يرى

نفسه في هذه الأرض ويُشْهر عليها حروبه.

أنتِ، يا من قُدْتِ وردةَ الحياة من البِذرةِ

- إلى متى يصدق الشّعر ويكذب وعده؟

إلى الأريج،
قولي كيف يقود أعماله ـ
هُوَ
المبعثر الذي يُغنّي مُهيْنِماً أشلاءَه؟
تنشجين في اتّجاه السّديم، لكن لا يزال
ترابُكِ يَهذي بالولادات.

عَذْبٌ هو السَّفرُ في مراكب الرّؤيا في صَبواتٍ كمثل نساءٍ

- يَدُ الشّعر تجسّ نبضَ الأغوار،

يمشطن رؤوسَ الأيّام وما أبسط جغرافيةَ
النّشوة ما أَهْدى خرائطَ تيهها.

- أَهِي نبوّة المحو؟

هوذا يتقدّم في دخانٍ يخيط الأفق وها أنتِ
يا أرضه تشردين في محيط احتمالاتٍ في عصرٍ

- أَهُوَ المَحْوُ يُعلن البدايات؟

كمثل فاصلةٍ بين الموتِ والموت،
وأين الإشراق الذي يقرأ ضربةَ النّرد؟

٢٧٢هـ.

بَعد قَتْلِ عليٍّ[١]،
من تُرى
سيُحرّك لِلزّنْجِ
في هذه الظُّلمةِ الغامِرَهْ،
شَررَ الذّاكره؟

ـ منصورُ، أنْكلاَيْ[٢]!
هواكَ أرضٌ ووعْدٌ،
وأنتَ للنّاسِ آيْ!

ـ أ ـ

خُذْ يدي،
خُذْ دوائرَ جِسميَ وادخلْ معي في
الدُّوَارْ،
أيُّها الرّاقصُ الملَكيُّ
المتوَّجُ بالشَّمسِ،
يا أيُّها الغُبارْ.

* القصيدةُ كالشَّمسِ،
لا تتفيّأُ إلاَّ بإشعاعِها.

(١) عليّ بن محمد، قائد الزّنج.

(٢) «كان للزنج بواسط حركة، فصاحوا: أنكلاي، يا منصور. وكان أنكلاي والمهلّبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قوّاد الزنج، محتبسين في دار محمد بن عبد اللّه بن طاهر بمدينة السلام في دار البطبخ في يد غلام من غلمان الموفق، يُقال له فتح السعيدي. فكتب الموفق إلى فتح أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء السّتة. فدخل إليهم فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلامٌ له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطُرحت أجسادهم فيها، ووجّه رؤوسهم إلى الموفّق». (الطبري، **أحداث السنة ٢٧٢هـ**).

الذّاكرة

٢٧٨هـ.

«ألمسيخ؟ رأيتُ
المسيحَ، سمعتُ
المسيحَ يكاشفُ قلبي:
«أنّني مثل يَحْيَى
وَأنّي روحُ القُدُسْ.
أنني الحجّة الدّاعيهْ
لعوالم أفلاكنا
الثّانيهْ»[1].

- ب -

أَسْلمتْه الحياةُ إلى لُجّها
لا انْحِرافٌ لمسراهُ في هَوْلِها،
لا تُخومْ.
لم يكن، مرّةً، حامِلاً
رايةَ الجنِّ، أو قارئاً لِلنُّجومْ.
مِثْلَ نَوْلٍ، يَدُ الوقتِ تأتي وتمضي
في نسيجٍ يرتّل ألواحَهُ:
واحداً للرحيلْ
واحداً للطريدِ القتيلْ
واحداً. . .
والخيوط على عَهْدِها
في يدِ الوقتِ، محمولةً في
يديهْ،
عبثاً تقرأ الخيوطُ نسيجَ
الفجيعةِ في مقلتيهْ.

* أيُّهذا الضّياءُ الذي يتحدَّرُ مِن جُرحِنا،
قُلْ لخيطِ الدَّمِ:
هل عرفتَ بمَن نهتدي؟
هل عرفتَ لمن نَنْتَمي؟

(١) كلامٌ يُنسب إلى حَمدان قِرمط الذي تنتمي إليه الحركة القرمطية. وكان بدء ظهورها في الكوفة ـ مسقط رأس المتنبّي.

الذّاكرة

٢٧٨هـ.

ـ «إنّها القُدْسُ،
لا مكّةُ،
قِبْلةُ القِرمطيّ».
ـ «هكذا قِيلَ».
ـ مِن أين ينزلُ
هذا البَلاغُ
على ذلك النبيّ؟

- ج -

أَلبلادُ التي أنتمي إليها
لغةٌ في المجازِ ـ ترحّلْتُ في ضَوئِها،
ضَممْتُ إليها سِواها؟
وأسلمتُ حِبْري لتآويلِها.

أَقْسمَ الأفْقُ والغَيمُ أنَّ تآويلَها
لا تُعانِقُ غيرَ الترحّلِ:
مِن هِجْرةٍ إلى هِجْرةٍ
ومِن موعدٍ إلى آخَرِ.

* إنّ بيني وبين جِراحي
شَبَحاً أتردَّدُ في لَمْسهِ.
آهِ من مُخْمَلِ فاتنٍ
يَتَدلّى على كَتِفَيْهِ.

ـ د ـ

ما لِحُزْني يطاردُ أسرارَهُ
ما لَهُ ساهِرٌ
يتقلَّبُ في دائهِ؟
أَعْطهِ، أيُّها الجمرُ مفتاحَهُ
وَأَعِدْهُ لبَيدائهِ.
أصحيحٌ
أَنّني لستُ إلاَّ الطّريقَ الذي سِرْتهُ؟

* مطرُ اليأسِ جارِفٌ، والصّبابَاتُ هَباءٌ،
والحبّ جسمٌ عليلُ
أَهِيَ الصّخرَةُ؟ انفجرْ، أيّها الماءُ،
وأَغْرِبْ يا ذلكَ التّأويلُ.

الذّاكرة

٢٧٨هـ.

ـ «لا أحدٌ
يقدرُ
أن
ينالَني
بسوءٍ»[١]

(١) كلام يُنسب إلى حمدان قِرمط.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ـ «لا يُباع كتابٌ[1]
في التّفلسف أو في
علوم الكلامْ.
لا مكانٌ لَدينا
لمن صاحب النُّجومَ،
وخانَ النِّظامْ».

إصرخوا هكذا
في شوارعِ بغدادَ
حتى يُفيق النِّيامْ.

(١) كلامٌ يُنسب إلى الخليفة المعتمد.

ـ هـ ـ

كلُّ هذي الدّروب تؤدّي إلى وحدةٍ
في المسارِ ـ الغُبارِ، ولا فَرْقَ
في الخُطواتِ: أكانت تَؤُوبْ
أم تسافِرُ. أدعو
أُسائِلُ:
مَنْ يأخذ الأرضَ مِن جَذْرِها
وَيُشَتِّتُ هذي الدُّروبْ؟

يَعْرف السُّمَّ أوجاعَنا:
بِذْرَةُ الغَيْمِ فينا.

* وَحْدي ـ لا أشكو
لا أرجو عَوْناً، لا أطلبُ نَجْدَهْ:
تَحْميني وَتُغَذّيني هذي الوحدَهْ.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ماتْ خنْقاً[١]،

كما قال بَعْضٌ،

وبالسُّمّ في قولِ

بَعْضِ.

- و -

أَلسَّماءُ التي تتحوّلُ ليلاً إلى جَرّةٍ

حَضنتْني مِراراً

وَمراراً سَقتْنيَ إكسيرَها.

السَّماءُ التي لا تُصلّي

لجراحِ الذين يشكّون فيها

ويثورونَ، مِنْ حَيْرةٍ، عليها،

لا أصلّي لها.

* عادةً، تأملُ الرِّيحُ،

لكنّ ريحَ البلاد التي أنتمي إليها،

لا تقول سوى يأسها،

لا تقول سِوى نفسها.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتمد.

- ز -

أَتشتَّتُ في هذه الصّفحاتِ. تُراهَا ـ
كلماتي خيولٌ
وصَدْري حقولٌ لها؟

إنه الموتُ ينسجُ
قمصانَ هذا الفضاء الذي
أتقدّمُ فيهِ، وتلك جراحي
نَفَرتْ منِ سَريرِ مَجرَّاتِها.

* البرقُ ذاكرتي ـ
نشرتُ غيومَ حزني
في غابةٍ،
وشرْدْتُ بين خيامِها:
الحبّ آخِرُ خَيْمةٍ.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

كان يرثي لحالته قائلاً[١]:

«أليسَ من العجائبِ
أنَّ مثلي
يَرى ما قَلَّ ممتنعاً
عليهِ،
وتُؤخذ باسْمهِ
الدّنيا جميعاً
وَما مِن ذاكَ شيءٌ
في يديهِ».

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتمد.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ـ «لا طريقٌ إلى العَرْش،
لا سِدْرَةٌ، لا خَلاصْ
غيرَ أن يُطرحَ النَّاسُ وَالملْكُ
في ذَائبِ الرَّصاصْ»[1].

- ح -

قارِئ الرَّمل يَسألُ:
مِن أين تأتي إلى الكونِ
هذي الرّسالاتُ،
من أين يأتيهِ هذا البلاَغْ؟

وأَنا قارئُ الكونِ، أسأَلُ:
مِن أين يأتي إليهِ ـ هو المِلْءُ
والمالِئُ الكُلَّ،
هَذا الفراغْ؟

* أخذتني إلى بيتها وردةٌ
موتُها عِطرُها:
آهِ من رِيشةٍ
جسدي حِبْرُهَا.

(١) الإشارة إلى رواية أخرى عن موت الخليفة المعتمد تقول إنّه رُمي حَيّاً في رصاصٍ مُذوَّب.

٢٨٠هـ.

ـ «لَنْ أُقِرَّ
على مَن دعوتُ
إليهِ،
ولو أنَّ ناراً
شَوَتْني»[١].

ـ «سنفعلُ هذا»[٢].

ـ ط ـ

أترحَّلُ. هَلْ وَمْأَةٌ؟
هل لقاءٌ بلا موعدٍ؟
لا أحبّ لِشمسي
أن تُعاشِرَ أشلاءَها.

بين أشْواقِنا وَتَباريحِها،
أتوقّعُ أن تُبْدِعَ المَعْصِيهْ
لُغَةَ الأغنيَهْ.

* أين من سَيُخلِّص عَصْري
مِن عكاكيزِ أَنْقاضِهِ؟

(١) هذا الكلام يُنسب إلى محمد بن الحسن بن سهل، المعروف بـ «شَيْلَمة»، وكان مع صاحب الزّنج. سأله الخليفة المعتضد عن الرّجل الذي يدعو إليه، فأجابه: «لو كان تحت قدميَّ لما رفعتُهما عنه». «... فأُمِرَ بنارٍ، فأوقدت، ثم شُدَّ على خشبة، وأدير على النّار، حَتَّى تقطّع جلده. ثم ضُربت عنقه، وصُلِب». (الطبري، **أحداث السنة ٢٨٠هـ**).

(٢) الكلام للخليفة المعتضد.

٢٨٠هـ.

هٰوذَا شيلمهْ

كوكبٌ مِن وَفَاءٍ وحُبْ

يَتلألأُ في

أرضهِ المُظْلِمهْ.

- ي -

رَقْصُ عُشْبٍ. تِلالٌ

تتخاصَرُ. غيمٌ

عابرٌ في قوافِلَ لا ماءَ فيها.

شَجَرٌ ناحِلٌ

شَجَرٌ مائِلٌ.

جَوْقةٌ لِلرَّحيلْ

أنتَ فيها الشّريدُ وأنتَ الدَّليلْ.

* ها همُ العاشقونْ

لا طريقٌ لأحلامهم

غير لَيْلِ الهبوطِ على درجَاتِ الجُنونْ.

الذّاكرة

٢٨٠هـ.

ها هُو الفارِسُ الذي
جاءَ مِن بَعدِهِ[١]،
لم يَعُدْ يتجرّأُ أنْ
يلبسَ الرّيحَ، أو أن
يُسيلَ دَمَ الأغنيهْ
في شرايين تاريخِهِ.
أثراها ـ
في هجيرِ الزّمانِ
وصحرائِهِ،
سبقتهُ إلى التّوبةِ
المعصيهْ؟

ـ كُ ـ

خطواتي ـ،
في الطّريق إلى مصرَ، سَكرانَةٌ
بتباريحِها تلوذُ،
بِأنقاضِها تُفْتَتَنْ.

تتهجَّى مَداها وتُوغِلُ في أبجديّةِ أهوائِها،
وتُؤالِفُ ما بينَها
وبين تَجاعيدِ هذا الزَّمَنْ.

* يكتب الشعرَ كالأرضِ تكتبُ أزهارَها، ـ شِعرُهُ
مثلُ هذا التّراب الذي ينتمي إليهِ:
فَلَكٌ سابحٌ.

(١) الضّمير هـا عائدٌ إلى شَيْلَمَه.

٢٨٠هـ.

شَيْلَمَهْ ـ

شُكَّ في السِّيخ
مِن قدميه إلى
شفتيهِ،
وضعوهُ
فوقَ نارٍ، يُدار عليها
ويُشْوَى.

بعد هذا،
ضربوا عُنُقَهُ،
ولم يكتفوا:
صَلبوهُ!

ـ ل ـ

لِلسّماءَ رِداءٌ
خِيطَ في خَصْرِهِ
شَكْلُ جسْمٍ وَصُورةُ عرّافَةٍ.
ولأكمامهِ شريطٌ
مِن عناكبَ سُودٍ.

مَا أَحبَّ إلى سيّد الموتِ، هَذي العَشِيّهْ
قِرْدُ أَيّامِنا المتنكِّرُ في فَرْوَةٍ آدَميَّهْ.

* سَاهِرٌ حول صَمْتِ الجُثَثْ،
فَإلى أين يمضي بِفُلْكِيَ هذا العبَثْ؟

الذّاكرة

٢٨١هـ.

ـ «احْفرُوا للعدوّ
الذي لا يَرى رأينا
حُفْرةً،
ثُمَّ دَلُّوهُ فيها على
رأسِهِ،
واطْرَحوا بعد ذاك
التّرابَ عليهِ،
ودوسوا التّرابَ
إلى أن يودِّعَ أَنفاسَهُ»[1].

(١) الكلام للخليفة المُعْتضِد.

- م -

أَينما كنتَ، أو كيفما كنتَ، تَسمعُ
في جرَسِ الوَقْتِ صوتاً يقولُ:
ابْتَدِئْ،
غَنِّ ماءَ الخليقةِ كي يتَلقَّحَ
هذا الوجودُ، وكي يُبْتكَرْ،
كُنْ على الأَرْضِ بابِلَ، أو كوكباً
يَتنزَّلُ فوق المدائنِ،
في كُرَةٍ من شَرَرْ.

* ما لأيّامنا لا تَرَى
تحتَ هذي السَّماءْ،
أيَّ نَهْرٍ لتجريَ فيهِ
غيرَ نهر الشَّقاءْ.

الذّاكرة

٢٨١هـ.

ورَووا:

كان يُنصبُ[1]

أعداءَهُ

كالذّريئةِ في

قَصرِه،

ثُمّ يَرميهِمْ بِنُشّابِهِ

إلى أن يموتوا.

(١) الإشارة هي هنا إلى الخليفة المعتضد، كذلك.

ـ ن ـ

في دَمي كائِنٌ آخَرُ
ليس نفسي، ولكنني
لستُ إلاّهُ، إلاّ خُطاهُ وآثارَهُ.

بينَنا طَيْفُ وَصْلٍ وَفَصْلِ
وأنا عابِرٌ مقيمٌ
لا مقيمٌ ولا عابِرُ.

* أَتُراني، حياةً وموتاً، رفيقٌ لِيأسي؟
أَتُرانيَ بِاسْم الوفاء لِنفسي، عدوٌّ لنفسي؟

٢٨٢هـ.

هل أحدٌ يُضيءُ
مِصباحَهُ،
هَل أحَدٌ يقرأُ
هذا الزَّمانْ؟
أنكرتِ الأغصانُ
أشجارها
أنكرت الأشجارُ
أغصانَها،
واختلطَ القدّيسُ
بالبَهلوانْ.

- س -

هَا هُمُ الشّعراءُ:
يموتونَ في التّيهِ،
لا قَابرونَ ولا أَضْرحهْ،
والقصائدُ من حولِهم
تَتأوّهُ مكسورةَ الأجنحَهْ.

ألسّوادُ يجرّ المدائِنَ
يَجترُّ أنقاضَها،
مازجاً جِسْمَها بِعقاقِيرِهِ.

* ربّما،
في الزّمانِ الذي يُقْبِلُ
لن يكونَ هناك سِوى الشّعر:
يَسأَلُ، أَوْ يُسأَلُ.

الذّاكرة

٢٨٣هـ.

هُوذَا جَيْشٌ[1] يضربُ
عُنُقَيْ عَمَّيْنِ لَهُ.
هُوَذا جيشٌ مقتولٌ
بيدي هارونَ
أخيهِ:
هل في كلّ أخٍ
شيءٌ من هارونَ،
وشيءٌ مِن جيْشٍ؟

- ع -

يقتلُ المُلْكُ أبناءَهُ
غاسِلاً وجهَهُ ويديهِ
بِطُفولاتِهِمْ.
والمُعَزُّونَ آتونَ ماضُونَ خُرْسٌ
لا مجيبٌ ولا سائِلُ.

قلتَ: فوضَى؟ ولكن
مَا نِظامُكَ يا أيُّها العاقِلُ؟

* مِثلَ ثَوْبٍ
أجرّ زماني على الأرضِ، أكنسُ دَرْبي
بأذيالِهِ،
وأُفكّك أَزْرارَهُ.

(١) هو ابن خمارويه، وهارون أخوه.

«... وثبَ الجند على جيش بن خمارويه، وقالوا «لا نرضى بك أميراً علينا، فتنحَّ عنا حتى نولّي عمَّك».

عدا جيش على عَمّه، فضربَ عنقه، وعنقَ عَمٌ له آخر

هجم الجند على جيش، فقتلوه، وقتلوا أمّه، وانتهبوا داره، وانتهبوا مصر، وأحرقوه، وأقعدوا هارون بن خمارويه، مكان أخيه».

(الطبري، **أحداث السنة** ٢٨٣هـ).

٢٨٣هـ.

• قُتِلَ السَّرْخسيُّ[1]،
وكانت لهُ
كتبٌ في فنونٍ من
الفكر والقولِ ـ
كان الخليفة يَرْوي:
«دعانيَ كي أكفُرا،
ولهذا قَضيتُ عليهِ».

(١) هو عليّ بن أحمد بن الطيّب بن مروان السّرخسي، صديق يعقوب بن إسحاق الكندي. قتله الخليفة المعتضد.

ـ ف ـ

أيّهذا الضّياءُ الصّديقُ،
مَنِ الحائِكُ الظّلامَ ستاراً علينا،
وَمَنْ أَسْدَلَهْ؟
رُبَّما، لن يكونَ ليَ الحقُّ،
في ما يَجيءُ مِن الوقْتِ،
أَن أتلفَّظَ بِاسْميَ،
أو أَحْمِلَهْ.

* أَوَّلوا أنّها الرّيحُ هَبّت تُعانِقُ مِعْراجَها،
ولماذا إذاً عادت الرّيحُ، يأساً من الأفْقِ،
أدْرَاجَها؟

- ص -

لا أُسافرُ إلاَّ
بين ظَنٍّ وظنٍّ. مقيمٌ
في الضِّفافِ. الأقاصي
دائماً في ضيافة شِعري، وشِعري
دائماً في ضيافةِ
ما يتيسَّرُ من فلَواتٍ.

أَترى، هذه الغيومُ كمثل نساءٍ
يجئنَ إلى الحبّ في شَهْقَةٍ
ويَرحلْنَ في آهةٍ أو دُوارٍ؟

* مَرَضي لا يطيق الدَّواءْ
وأَنَا لا أطيقُ الشِّفاءْ.

(١) رافع بن هرثمة.

الذّاكرة

٢٨٤هـ.

رَأْسُ رافعَ[١] يجتازُ
أوديةً وجبالاً،
ويحفّ بهِ موكبٌ،
غيرَ أنَّ له حامِلاً
واحداً -
حامِلُ الرّأسِ يَحملُ
في وجْهه المتَّقِدْ
جَنَّةَ القَتْلِ:
يأخذُ جائزةَ المُعْتَضِدْ.

الذّاكرة
٢٨٥هـ.

صالحٌ[1] يقطعُ الطريقَ
إلى مكّةِ:
أَخذوا نسْوةَ الحجيج
وأموالَهم،
بعضهم ماتَ من جُوعه.

غَنَمٌ أو بقَرْ
هؤلاء الذين يُسافُونَ
كالنَّمل،
قُرْبَى إلى اللَّه،
أَوْ يُذبحونَ، لماذا
أُدخلوا في عِدادِ البشَر؟

- ق -

شَبَحٌ يَتَقَفَّى خُطايَ،
وَحاولْتُ في اللَّحظاتِ المضيئةِ
أَنْ أقتلَهْ،
وَأُواريَ في قبرِهِ سِرَّهُ.

ها أَنَا أتبدَّلُ ـ
هل أقدرُ الآنَ أَنْ أتحرّرَ
مِن ليلهِ، وأَنْ أَبْدلَهْ؟

* لا تزال أَساطيرُنا
مثلما كتَبَتْها الطّبيعةُ مجرُوحةً،
وأَنا لستُ إلاَّ دماً
يتقطَّرُ مِنْها.

(١) هو صالح بن مدرك الطّائي، وسُمّي ذلك اليوم «يوم الأَجْفَر».

٢٨٥هـ.

«عَربٌ يذبَحُونْ،
عَربٌ يرجزونْ»:
«ما إن رأى
النّاسُ كيوم الأَجْفَرْ
النّاسُ صَرْعَى
والقبورُ تُحْفَرْ».

*

إنه الرّأسُ بالرّأسِ: هاتوا
حطباً، واطرحوهُ عليهم.
أَحرقوهم، وغَنُّوا لديار
العرَبْ
لن يطهّرَ أدرانها
ورِجْسَ شياطينِها
غيرُ هذا اللّهَبْ.

- ر -

عندما صِرْتُ أعرفُ أَنّى وكيفَ
أشقُّ الفضاءَ، أُوحِّد بيني وبينَ الفَضاءْ،
غُلِّقتْ في مَساريَ أبوابُهُ.
هَلْ أَنوحُ كغَيْري
وأقولُ: القَضَاءُ مَريرٌ؟

سَأُجاهِرُ: كَلاَّ
لا صديقٌ لِمثليَ غيرُ القضَاءِ
وَلاَ نِدَّ غيرُ القَضاءْ.

* هل أتعلّم سِحْرَ الأمرِ، لأعرفَ كيف أعلِّم
سِحْرَ الفوضى؟

٢٨٦هـ.

ظَهر القِرْمطيُّ[١]
الجنابيُّ ـ أوّلُ
مَا قِيلَ عنه:
«رَجلٌ مُفْتَرٍ،
لُغَةٌ تُفْترى.
هُوذَا
يَنْهبُ المدائِنَ
أو يهدمُ القُرَى».

*

أَلجنابيُّ يظهرُ ـ أحلامُهُ
لَبَنٌ، نخلةٌ، رغيفْ
تشرئبُّ الصّحارى إلى
ظِلّهِ،
وتسير على هَدْيِهِ
هجَرٌ والقطيفْ.

(١) الإشارة إلى أبي سعيد الجنابيّ.

ـ ش ـ

شَجَرُ الزّيتونِ طريقٌ آخَرُ ـ مَهْلاً:
رجلٌ يحملُ غُصْناً.
هُوذَا يَصعد أعلى جذْعٍ.

ورأيتُ إليهِ
يتلفَّتُ حول الجذعِ، يمدّ يديهِ، يَضْحكُ ـ ماذا؟
أَتراهُ يحلمُ أن يبني بيتاً؟
أَتراهُ يَرغبُ أن يتحوَّل طيراً أو سنجاباً؟

أتراهُ رجلٌ مجنونٌ؟

* مُدُنٌ من عروشٍ، مُدُنٌ لِلحطَبْ:
لا طريقٌ إليها إذا لم تكن
لغةً في اللَّهَبْ.

(١) هو العبّاس بن عمرو الغُنَويّ.

الذّاكرة

٢٨٧هـ.

هجَرٌ في يَدِ القِرْمطيّ.

جاءَ حتّى يُحارِبَهُ الغُنَويّ[١]:

هَزمَ القرمطيّونَ فرسانَهُ،

أَسرُوا منهُم ألف شخصٍ، كما أخبروا،

غيرَ من قُتلوهُم.

أُحْرِقُوا ـ

تُرِكَ الغنَويُّ طليقاً.

ـ ت ـ

ذابِلٌ وَجهُ أيّامِنا

ذابلاتٌ رَياحينُها

ذابلاتٌ خُطاها.

وَأَرى لا أرَى

غيرَ من ينسجونَ عَباءاتِهم

بِتآبينَ مِن كلّ مَوْتٍ.

يرفع الوقت قُمْصانَهُ فَوقهم

كالبيارقِ مرسومةً

بِتَجاعيدهمْ.

* لم أَجِئْ كي أطردَ الحيرةَ،
أو أَسأَلَ: هل للموتِ عنْقٌ؟
أو لماذا تقطرُ الأرضُ دماً؟

الذّاكرة

٢٨٨هـ.

حُزّ رأسُ وصيفٍ[١].

سألوهُ،

قبل أن يقتلوهُ:

ـ «ما الذي تشتهيهِ»؟

ـ «كتبٌ عن ملوكٍ مَضوا،

ورياحينُ أشْنَمُّها».

ـ ث ـ

لا أَعرفُ كيف ألمُّ جراحي،

وأُسَلِّمُها لِنظام هَوايَ. كثيراً،

قلتُ لجِسمي:

تلك جِراحٌ أصغرُ مِمَّا ظَنَّتْ،

فلماذا تَزْهو؟

لكنّ جِراحي جَمَحَتْ

وَاجْتَازَتْ كلَّ سِياجٍ.

أَتُراهَا تَثْأَرُ مِنّي؟

* أَلخرابُ نَجِيُّ الخرابْ

تحتَ تلك البذورِ الجذورِ القشور الخليطِ

المؤصَّلِ في طبقاتِ التّرابْ:

أَتُراها الطَّبيعةُ شَيطانَةٌ؟

(١) وصيف الخادم الذي اشتهر بذكائه، وبالهيمنة على الخلافة في وقته.

٢٨٩هـ.

أَخذُوهُ أمام الخليفةِ[١]،

قال الخليفةُ في

نَبْرةٍ عاليهْ،

«ذاكَ أمري:

إقلعوا واحداً واحداً، كلَّ

أَضْراسِهِ، علّقوه على

صخْرَةٍ،

اقطعوا ساعديهِ

ورجليهِ، ثم اضربوا

عُنُقَهُ،

واصلبوهُ

في المكان الذي ضَمّ

أصحابَهُ، قبله».

(١) المعتضِد، والإشارة هنا إلى ابنِ أبي فوارس، أحد القرامطة الكبار.

- خ -

مَا هذِي الأرضُ! كتابٌ

في فِقْهِ الحِنَّاءْ.

في أَصْلِ الدّيكِ

وَفَصْلِ البَيْضَةِ. أرضٌ

بُوقٌ لِلتَّهليل وللتَّمجيدِ، وقَيدٌ

في الخُطواتِ

وَفي الكلماتِ

وَفي الأشياءْ.

* عالَمٌ يركضُ في أنشوطةٍ

خَاطَها طائِفُ جِنٍّ

يُؤخَذُ التِّرياقُ مِن أَفْواهِهِمْ.

٢٨٩ هـ.

«عِشْتُ ـ لم أفهم
الماءَ، والنّارُ تجهل
ما كنتُ. ما سأكونُ:
تُراني
ألمح الموتَ يجلسُ
قُدّام بيتي،
أم أنا واهمٌ؟
مرّةً، كاد ظنّي
أن يكون يقيناً».
كلماتٌ
قالها قرمطيٌّ
في الطريق إلى
ربِّهِ...

ـ ذ ـ

أَلمكانُ، وإن كان حُبّاً
طريقٌ إلى لامكانٍ.

* مِتْعةُ العيش تُضْفي
على الموتِ
أعمقَ أسرارِهِ.

٢٨٩هـ.

يَتحلّقُ حولَ العمودِ
الذي صَلبوهُ[١] عليهِ،
أُنَاسٌ
ويُديرونَ ما بينهم
نِقاشاً:

ـ هوذا جسمُه
يتدلّى.
ـ جسمُه؟
ـ رُبّما.

ـ ض ـ

نَفَلٌ. نارُ شَوْكٍ، طيورٌ
والغيومُ على عَهْدِها:
بُسطٌ تتمزَّقُ. أرضٌ
أَتَهجَّى أَسَارِيرَها
شجراً يَتنبّأُ: هذي خُطاهُم، وهَا هُمْ
يهجمونَ، ومن كلّ صَوْبٍ
يمدّونَ أَشْرَاكهم،
والمكانُ دَمٌ نافِرُ.

قُلْ ليَ الآنَ، ماذا سَتفعلُ، مِن أين تَأتي،
إلى أين تذهبُ، يا أيُّها الشَّاعِرُ؟

* جسَدٌ جرحٌ، ونفسٌ والِهةْ،
مَا الَّذي يفعله الشّاعرُ ما بينَهما،
غيرَ أن يَلْغُو كمثلِ الآلِهَةْ؟

(١) الإشارة هي دائماً إلى ابن أبي فوارس.

ـ ظ ـ

طَيْفٌ يَهْمُس: تلكَ ثيابي
رُقَعٌ مِن جِلْبابِ المَعْنى،
وأنا بين يديهِ
كُبَّةُ غَزْلٍ.
قُلْ لي، يا هذا الطَّيْفُ، أَبَيْنَ الغَيْبِ
وبينكَ سِرٌّ؟
أَأَقُولُ لِجسميَ أَنْ يَرْقَى
في دَرجاتِ الظنّ إليهِ؟

* أَلشِّباكُ التي نَسَجتْها بُحيراتُ حُلْمِيَ، أَلْقَيتُها
في المحيطِ، ولكن
لم أَكُنْ أَتوقَّعُ صَيْداً.

الذاكرة
٢٨٩هـ.

ـ أكيدٌ.
ـ ذاكَ ما يتراءى
ـ ولكن
قتلوا آخَراً
سِواهُ.

٢٨٩هـ.

ـ دُونَ ذلك،
إنْ صلبوهُ
هُو، في ذاتِه،
تتكاثَرْ عنه
الأقاويلُ،
يُفتَتَنْ النَّاسُ
فيه.

- غ -

حَلَبٌ أجملُ المدائنِ، والصّخرةُ فيها مَجرَّةٌ،
وَالبُيوتاتُ جِنَانٌ،
والأرضُ فيها سَماءُ.

غيرَ أَنّي مَاضٍ، كما وَسْوَسَتْ نفسيَ،
نَفْسي أَمَّارَةٌ
والمجاهيلُ تُرابٌ لِنَشْوتي وَهَواءُ.

* وطَنُ الشعر يَمتدُّ في سَقَرِ الشُّعَراءِ،
وفي عَدنِ الأنبياءْ،
جسَدي طِفْلُ هذا الزَّواج الشَّقِيّ،
وشِعْري نُبوّةُ هذا الهَبَاءْ.

هوامش

(يوميات المتنبّي)

I. معراج

١ ـ تخيُّل

أتخيّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حلباً، وأحيّي
كوفةَ الثّائرين ـ اتْركِ الحُبَّ يدخلْ إليكْ
دونَ أن يقرع الباب. كالحلْمِ يأتي إلى مقلتيكْ،
دون أن يسألَ اللّيلَ. طَيْفٌ
يترصَّد بين شقوقِ النّوافذِ:
مِن أين قلبكَ يمضي إلى سِرّهِ؟
أَتُراه يُحيّي، وهو يمضي إلى سِرِّهِ،
شجرَ الورد في ساحة البيتِ؟ هل يتلفَّتُ؟ أَيقظتُ
في داخلي أصدقائي لِيرَوْا مِنْ جديدِ
سيفَ سُلطانِنا
كيف يَهْوي عليكَ ـ وَها هُم حولَ قبركَ. ماذا؟
هل تقومُ لِتلقاهُمُ، ونُصغي إليهم
ينشدون: سلاماً على عَهدنا
وسلاماً عليكْ.

٢ ـ حَرْبة

إنّه صوتُه
غائِبٌ ضائعٌ يتفيَّأُ في بلدٍ آخَرٍ،
من جحيم العذابِ على أرضهِ.
قَلِقٌ لا يَقُرُّ. يَسيرُ، ويَجْهلُ
من أين يأتي إلى أين يَمْضي.

حَرْبةٌ تَقْتَفيهِ.

٣ ـ عباءة

قِيلَ: تُحْصِي جِراحَكَ
تَرْمي أَزاهيرَها
في عَبَاءة أَحْزانِكَ السّاهِرهْ
وغداً سوف تتركُ
عَينيْكَ لِلدَّمْعِ ـ يَهْمي
كي يُروِّيَ تلكَ الجراحَ: لماذا؟

هل تُرِيدُ انْبِعاثاً لها ـ
صُوراً من نَباتٍ
صوراً من حياةٍ بِلا جنّةٍ أو جَحيمٍ،
أَمْ جُذوراً ـ مَرايَا لأَيَّامِكَ العابِرَهْ؟

٤ ـ ديَدْن

أتوسَّلُ الوَرْدَ: اتَّخِذْني
ضَيْفاً كمثلك فوق هذي الأرضِ، كلاَّ
لن أقولَ لجِنَّةٍ
كوني مُقاميَ، لن ألوّحَ للجحيمِ: تحوّلي
بَرْداً،
دَحَوْتُ الأرضَ شَكّاً.

هُوذَا أطوفُ بها، أَلوذُ بغيمها
أَسْتحضرُ البرقَ العصيَّ على الحضورْ
وأخطُّ فوق تُرابها
وجهي: سأعرف كيف أبني
وطناً أقيم مدائني فيهِ، وأنذر نارَها
لطقوسِ كلّ مُهيَّمٍ.

هوذا أطوف: أبثّ ديدنَها الغويّ وأرتدي
في كلّ هاويةٍ غلالتَهُ
وألتحفُ العصورْ.

٥ ـ هباء

ذاكَ صباحي:
نَخَلاتُ السَّاحة مالَتْ
وتكادُ تموتُ ـ الشَّمسُ سعيرٌ
ينفرُ منه حَتَّى النّيلُ. أتأتي؟
هل تأتينَ؟ تركتُ فراشي في وحدتهِ،
وأنا أحيا
في ضوء وفاءٍ يُوشِكُ أَنْ يَرْميَني
في ظلمةِ جُبٍّ.
نمضي؟ يَا هذَا الشّوقُ، أعندكَ ظِلٌّ؟

يَتصاعَدُ من جهةِ الصَّحراء هبَاءٌ.

٦ ـ مستقبل

عندما سَيُشيّخ قلبي،
سَأوقظُ فيهِ رماداً من بقايا طُفولاتهِ
وأحلم أَنّي صاعِدٌ هابِطٌ
في جحيم شراييِنهِ.
وتَجيئ إليه عشيقاتُهُ
لَهَباً طاغياً
ويَعْرجْنَ مِن أوّلٍ إلى عَرْشهِ.
غيرَ أَنّي عرفتُ وأَعرفُ قلبي:
لن يُشيّخ إلاّ
مرّةً واحدهْ،
عندما يتنزّل كالوحي في حُفرة الموتِ،
في غَوْرِ أحضانِها الباردهْ.

٧ ـ مشهد (تخيُّل)

أَلخطوطُ، القناطِرُ بستانُ وَرْدٍ.
كلّ خَطٍّ وسادَةُ حلْمٍ
وطريقٌ إلى موعدٍ:
أَلحروفُ تقاسيم حبٍّ والأصابع أوتارُها.

وَاكِبوا هذه البساتينَ، شُمّوا شَذاها
واسَتضيئوا
بِالمُقَرْنَصِ فِيها
وبأقواسِها القاهريّهْ.
لَكَ بابٌ إلى السرّ، فَانهضْ إليهِ
لاقِهِ واحْتَضِنْهُ
حيث لا تعرف الكلمات سوى صَمْتِها.

إِمْضِ واهبطْ إليهِ ـ إِلى كَبدِ الأبجديّهْ.

٨ ـ حيرة

أَنْتِ سَوّيتِ لِلّيلِ ـ ليليَ، نَاباً،
وجَعلْتِ النّهارَ دماً سائِلاً.
هل خُلِقْتِ على صورة الموتِ،
كي تنشريهِ على كلّ شيءٍ؟

ما الّذي أفعل الآنَ في رغبتي
أَنْ أُسرّح إبليسَ من قيدهِ
وأكنسَ هذا المكانَ وتاريخَهُ كقَشٍّ،
وأغسلَ مِمّا تَبقّى يَديُّ؟

آهِ، نَومٌ غريبٌ يُحوِّمُ في مُقْلتيّ!

٩ ـ مسافات

من وراء التّلالِ، أرى الفجرَ ينهضُ:
ما أقربَ البُعْدَ، ما أوضحَهْ!
أَلتّلالُ تَزَنَّرْنَ بالأفْقِ ـ يَصعدنَ فيهِ،
وطفولة حُزْني
لا تزال على رُكْبةِ الفَجْرِ تَغْفو.

المسافات تنأى، ولكن
مِن وراء التّلالِ أرَى كيف تُولَدُ
في وجهيَ الأَجنحهْ.

١٠ ـ خنفساء

أَسْأَلُ الآتيَ مِن بغدادَ: هل تحمل في قلبكَ ضَوْءاً؟

لستَ تمثالاً، ولا رأسَ هلالِ
لستَ إلاَّ ريشةً يأخذها الحِبْرُ إلى مُخْدعهِ،
كلَّ مساءٍ.
أَسأَلُ الآتيَ من بغدادَ: هل تحملُ موتي أو حياتي؟

خنفساءٌ ـ ذَهَبُ الثَّوب الذي تَلبسه
باذخُ المنظرِ. مَرَّت
تحتَ عينيّ. سأعطي
هذه اللَّيلةَ ـ من أَوّلِها
جسدي حرّاً لحِبْر الكلماتِ.

II

فاصلة استباق

جاء العصر إلى المكان، ـ

مَرَقُ رؤوسٍ مسحوقةٍ تَتهارَشُ حولها

الجيوش واللّغة تَتمَشْهَد

شِفاهاً في طور الجَمَاد.

خيرٌ لهذا الشّاعر أن يُكثِرَ الثّقوبَ في

حنجرة اللّغة إذن هل الأرضُ محتاجةٌ

إلى الدّم لكي تفهمَ الماء؟ إذن نشدّ

أسماعَنا إلى محارات الإثم ندخلُ

في أخويّة النّار ونَنْسلُ اللّهب

ويكون لنا اللّعب طيّباً كالعمل

والمجدُ لكَ أيّها الوثنيّ النّحيلُ الجسدُ

المقبلُ في محيط احتمالاتٍ

في عصرٍ كمثل فاصلةٍ بين الموت والموت.

ـ شاعِرٌ

ليس من هنا وليس من هناك

كأنه يعيش في رمية النَّرْد.

ـ يُريد أن يتشبّه بالضوء.

ـ ليس للضوء ماضٍ.

ـ ليس للضوء غير المستقبل.

أَلهذا يَرى شوكاً أكثرَ إلفةً مِن اليد؟

أَلهذا يرى نوافذَ أحدَّ بصراً من العين،

وطرقاً بعيدةً

أكثرَ قرباً من عَتَبة بيتِهِ؟

ـ لستَ، أيُّها الشَّاعر

من هنا ولستَ من هناك.

يلزمكَ جنونٌ آخر

لكي تعرفَ من أنت.

٢٨٩هـ.

قيلَ: إحْدى
جواريهِ[١]، أعطتْهُ
سُمّاً.
بمنديلها.

*

كانَ قد أنزل اللّهُ
نصراً على أهلهِ
أولياءِ الخليفةِ ـ
جاؤوا
بالرؤوس إلى دارهِ.
نُصبت فوق جسرِ ببغداد،
كانوا يقولون:
من يقطف الرأس عند
الطّلبْ
تتطامَنْ أحوالهُ
وتُطوّق آيامُه بالذّهبْ.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتضد.

ـ أ ـ

سَأُصدّقُ أنَّ المطَرْ
يَتقمَّصُ أحْزانَ خَوْلَةَ، أنَّ الشَّجَرْ
يتكلَّمُ كلَّ اللُّغاتِ،
لِكَيْ يتأوَّلَ أشْجانَها.

سَأُصَدّقُ أنَّ الرّياحَ
التَبسْنَ بِآهاتِها
وَتَلبَّسْنَ أرْدانَها.

* كرِّرِ الآنَ قوليَ يَا أيّها الجوادُ،
وَكَرِّرْهُ يا أيُّها الحُسامْ:
آهِ ما أقْتلَ الرّحيلَ،
وأقْتلُ مِنه المُقَامْ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

حَدّثوا عنه[١]، كانت:

صُورةٌ تَتراءى لَهُ

تَتعدّدُ: طوراً

راهبٌ. تارةً فتًى،

ومِراراً،

شكلُ شَخْصٍ له لِحْيَةٌ،

وحيناً

تتراءى، وفي يَدِها

السَّيفُ،

تضربُ مَنْ

صَادفَتْهُ.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتضد.

- ب -

صُوَرٌ لِلخريفِ، وأَيلولُ فيها جِرارٌ

لا تبوحُ بِأحشائِها، وتِشرينُ سَهْمٌ

يترصَّدُ في غابَةِ الحبّ قلباً.

صُوَرٌ - خَوْلَةٌ

تتمزّقُ في خِدْرِهَا.

هِيَ ذي تخرجُ الآنَ سِرّاً

تزورُ الدّرُوبَ التي أَلِفَتْنَا.

هَا هِيَ الآنَ عادَتْ:

لا وسادةَ غيرُ البكَاءْ.

آهِ، ما أضيقَ الفضاءْ.

* لا تقلْ: أَتذكَّرُ،

إلاَّ إذا كنتَ تمزجُ

مَا تتذكّرُ في مَوْجِ مُسْتَقْبَلٍ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

شَطحُوا في الرّواية[1]،
قالوا: ذاك إبليسُ،
قالوا: مؤمنون مِنَ
الجنّ جاؤوا لكي
يردَعوهُ عن المُنكَراتِ
وسفْكِ الدّماءِ،
وقالوا: خدمُ
يعشقونَ الجواري،
يجيئون في جبَلٍ،
في عقاقيرَ تُخفيهمُ،
وتموّه أشكالهُمْ.

- ج -

سَأَقُولُ: اتَّسِعْ واسْتَضِفْنيَ يا أيُّها الشَّتَاتْ،
أَعْطِنِي لِفراغِكَ، خُذْني
إلى حيثُ تَهْوَى
في هبوبِ رياحٍ دمشقيّةٍ،
أَوْ عَلَى غَيْمةٍ
تَتبخَّرُ مِن صَدْرِ دِجْلةَ،
أو من زفيرِ الفراتْ.

خَوْلةُ الآنَ رؤيا تُسافِرُ في مُقْلَتَيَّ،
خَوْلةُ الآنَ تَهْوي على سَاعِدَيّ.

* لِعُلوّيَ عمْقٌ لا يُفَارِقُ أَغْوارَهُ:
هذهِ جَمْرتي
تَصْطَفِيني إليها
وأَنَا سَاهِرٌ عليها.

(١) تأويلاً للصورة التي كانت تتراءى للمعتضد.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

بعد أن قَدّموا
رأسَ بَدْرٍ لهُ[1]،
قالَ في شَهْقَةٍ:

«أقدرُ الآنَ
أن أتذوّق طعم
الحياة، ولذّة هذي
الخلافة ـ هَيّا
إقطعوا رأسَ بَدْرٍ
نظّفوهُ
ضعوهُ هنا،
في الخزانة، قُرْبي».

ـ د ـ

أَتخيَّلُ نفسي كأنّي في غَيابةِ جُبٍّ.
تَارةً أَتوهَّمُ أَنّي أُقاتِلُ:
جيشيَ نَحْوٌ وَصَرْفٌ
وقَتْلايَ لَفْظٌ.
تارةً أَتوهَّمُ أَنّي
سَفَرٌ دائِمٌ، ومطاياي تِيهٌ:
ما أُسَافِرُ فيهِ
يُقيّد شَمسي ويُطْلِقُ لَيْلي.
ما أَراهُ
يُلَطِّخ عَيْني
بِعماواتِهِ.

* مَنْ سأكونُ إذا عرَفْتُ بنفسي؟
وأنا لغةٌ تَزْفرُ ناراً ـ
نَاراً تكتبُني، فيما تأكُلني.

(١) الإشارة هنا إلى الخليفة المكتفي.
وبدر هو غلام أبيه الخليفة المعتضد.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

أمر المكتفي بإلغاء ما كان وَالدهُ يتفَنّنُ فيه، مِن أساليب أَوْ أدواتٍ ليقتلَ أعْدَاءَهُ.

ـ هـ ـ

هِيَ ذي دمشْقُ ـ أرَى وراءَ قِبابِها
شَرراً لِجمرتِها الدَّفينه.
ويُقالُ لي: خافَ الأميرُ[1]، وجُنّ مِنْ
قلَقٍ، ويطلبُ أَنْ أسيرَ إليهِ.
أَمدحُهُ؟
مَعَاذَ هَوايَ،
واسْتَعِروا عليَّ، كما يشاءُ
المُلْكُ،
يا شُرَطَ المدينَهْ.

* آهِ بغدادُ! رأسٌ عَييٌّ،
لُغَةٌ مَوْمَأهْ
مَن يُزيّن هذا الفراغ لبغدادَ؟ من أَنْشَأَهْ؟

(١) أمير دمشق آنذاك، وقد رفض المتنبي أن يمدحه.

٢٨٩هـ.

«صاحِبُ النّاقةِ،
القِرْمطيُّ، يُغِيرُ
على الشّام. حَرْبٌ
بين طُغْجٍ[١] وَأَنْصارِهِ.

عند بابِ دِمشْقٍ،
يتدحرجُ يَحيى قتيلاً.

المدينةُ في بَهْجةٍ،
وأخوه الحسينُ
يَصيرُ وريثاً لَهُ.

- و -

تُراني هُنَا الآنَ غَيْري؟ وماذا سمعتُ
وأسمعُ؟ هَذي العَرِيشُ[٢]، دَمُ
النَّخل سَقّاؤُها،
واللَّيالي جِرَارٌ.

في العَريشِ، الحدائِقُ تَحلمُ: قُمصانُها
مُلئِتْ أَنْجُماً.

* أيُّها الشِّعر خُذْني،
مِثلما تُؤخَذُ الشَّهواتُ،
وكُن ليَ لَيْلاً.

(١) طُغْج بن جُفّ، هو القائد الذي انتدبه هارون بن خمارويه، لمحاربة «صاحب النّاقة» وكان اسمه يحْيى بن زكرويه القِرْمطيّ.

(٢) العريش، المدينة المصريّة المعروفة، وكانت في ذلك الوقت مشهورةً بحدائقها.

- ز -

مِئذَنَهْ ـ

أَذِنَ اللَّهُ أن تُرفعَ الصَّلواتُ
كما شاءَها
لا لسيفٍ ولا سيّدٍ،
حرّةً كالمطَرْ.

مِئذَنَهْ ـ

أذِنَ الشِّعر أن يسكنَ الحبُّ حرّاً
في قلوبِ البشَرْ.

هكذا تُعلن البُروقُ التي أَضْمرْتها الحياةُ،
وتهدرُ في مُهجتي
لِكي أُعلِنَهْ.

* عاشِقٌ ذلك الرَّبُّ في مِصْرَ،
يحيا أليفاً،
ويُؤْثِرُ أن يَتغرَّبَ في وَجْهِ طَيْرٍ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

قيلَ: يَحْيى
كان يلبس ثوباً
واسِعاً، يَتلثَّمُ،
يعْتَمُّ. قالوا:
كان أعداؤهْ
يُهْزَمونْ
إنْ أشارَ إلى
حيثُ يأتون،
أو يكْمُنونْ.

- ح -

وَجهُها مَوْجةٌ، ويداهَا شِراعٌ -
أهيَ الرَّمْلَةُ[1]؟ المدينةُ قيثارَةٌ
والمآذِنُ أَوتارُها.

والأميرُ الحسَنْ
ضَمَّها، يَتَماهى بِها
ويقطّر فيها رحيقَ الزَّمَنْ.

* سَأجسُّ الرّيحَ، سأُغْوي قَلَقي
أن يتحوَّلَ ريحاً أُخرى
تكْسُو طُرُقي.

(١) كان كافور يقول لأصحابه: «أترونه يبلغ الرَمْلة، ولا يأتيها؟» وقد كتب إلى أميرها آنذاك الحسن بن طُغْج، يطلب منه أن يُرسلَ إليه المتنبي

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

لا جنونٌ، ولكنّني
سأقتلُ صَحْبي،
وسأقتلُ حُجّاب
عرْشي،
وكُتّابهُ،
وسأقتلُ كلّ نسائي.

٢٨٩هـ.

لا جنونٌ، ولكنّني
سوف أقتلُ حتّى
بَناتي، وأقتلُ
ابنيَّ ـ كلاّ
لا جنونٌ، ولكن
إخوتي ـ سوف أرميهمُ
واحداً واحداً
في جحيم الهلاكْ
لا جنونٌ ـ أنَا
المِلكُ المُسْتَجارْ،
وَلي هَيئةُ الملاَئِكْ[1].

(١) الكلام بلسان إبراهيم بن الأغلب، من أمراء الأغالبة في أفريقيا، مات سنة ٢٨٩هـ. قيل إنه أُصيبَ بالماليخوليا، فقتلَ كثيراً من أصحابه وكُتّابه وحجّابه وسائه.

وقتل اثنين من أبنائهِ، وثمانية إخوةٍ له، وسائر بناته.

ـ ط ـ

غَزَّةٌ ـ

هل أقولُ لها مَن تكونُ؟ الجِراحُ
المُغذَّةُ فِيَّ ارتباكٌ،
ونُطْقِيَ لا يُسْعِفُ الآنَ. نَفسي
تَجيءُ وتَذْهبُ شَوْقاً لِمرآتِها،
وَلأَطيافِها.
هَاتِها، أيّها البحرُ مِن فضْلِ ذاتِكَ،
مِن مُهْجةِ الغيبِ،
مِن شَمسِهِ، هاتِها.

* بعضُهم
ينظرونَ إليَّ كأنّي
كاهِنٌ في جحيم
يُشعِلُ الماءَ في حَلْقِهِ.

- ي -

رَمْلُ ظَنٍّ، وقامتيَ الآنَ تَسْبَحُ فيهِ.

رَفَحٌ[1] -

وَحْدَةُ الماء والنَّار في جَرّةٍ،

وحدَةُ اللَّيلِ يَقْظانَ،

والشَّمْسِ، مَقْرونةً بثيرانِها.

آهِ، يا عَطَشاً في دمي!

وَرْدَةٌ في الطّريقِ

تُمزّق أَرْدانَها.

* أَتُرانيَ أحيا كمنْ يعمرُ الأرضَ

بِاسْمِ السَّماءْ؟

يخزنُ الماءَ في مُنْخلٍ

ويخيطُ الهَواءْ.

(١) المدينة المصرية المعروفة، وقد مرّ فيها المتنبّي.

(٢) الحسين بن زكرويه الذي حلّ محلّ أخيه يحيى، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

ألحسينُ[2] تَكاثرَ

أنصارُهُ:

تَملّكَ حِمْصاً،

ودمشقٌ تُصالحُهُ،

وَتُؤدّي الخَراج إليهِ.

*

- إبي!

- أمّي! أخْبِري،

وقولي: ما دينُكِ

الآن؟

- لماذا السّؤالُ؟ أنتَ

عارفٌ.

- أريد أن أقولَ: ما

عرفته من قَبلُ، كان

باطلاً.

- والآن؟

- قِرمطيٌّ.

الفكر في انعتاقٍ،

والدّين دِينُ حَقٍّ.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

زعموا أنّه[٢]
قَتلَ النّاسَ ـ أطفالَهم
والنّساءَ
في حمَاةٍ،
في المعرّةِ، في بعلبكَّ،
وفي السّلميّةِ: لَم يُبْقِ
شخصاً حولها في القُرى،
كان يقتلُ يحرقُ يَسْبي
عابثاً مِثلما يشاءُ.

ـ ك ـ

فَرَمَا[١] ـ مَنْ رَمَى
في يديَّ ثِمارَ المُحالِ لِتَنضُجَ؟ هذا
كَفَنٌ يَتطاوَلُ في قَدميَّ، وهذا ـ
ما الذي قلتهُ؟

فَرَمَا ـ جِسْرُ حبّي وَرائي،
أَتُرانيَ مِن أَوّلٍ،
سأمرّ على جِسْر حُبّيَ، إلاّ كما
عِنْدما
مِثْلما . . .

* قَمرٌ
يَفتح كلَّ مساءٍ جُرحاً
في جِسْمِ امْرأةٍ.

(١) من القُرى المصرية التي رآها المتنبي في طريقه إلى القاهرة.

(٢) الإشارة إلى الحسين بن زكرويه. وقِيل إنّه أظهر شامةً في وجهه، زاعماً أنّها آيته، ومن هنا سُمّي «صاحب الشّامة».

٢٨٩هـ.

ـ وَضعتْ طِفْلَها.

ـ منْ تُراهَا؟

ـ امرأةٌ هاشِميّة.

صَرختْ:

ـ «أخذوني

بعد أن ذبحوا والديّ

وأهلي جميعاً،

وأقمتُ لديه[٢]، فَتْرةً، ثم قال:

ادهبي إليهم، مُشيراً إلى صحْبِهِ[٣].

امكثي عندهم، وكوني

لهم.

مَن تُراه أبو الطّفل؟

مِن أين أدْري؟

ـ ل ـ

تلك بَلْبيسُ[١] لاحتْ.

جسَدي مُتعبٌ، وبلبيسُ فيها

مَا يُذكّر. لكن

كيف لي أن أعودَ؟ أعودُ إلى

أين؟ كلاّ

سوفَ أسكنُ في ذلكَ القَيْدِ ـ

ذاكَ الذي كنتُ سمّيتهُ الرّجاءْ

وأقولُ لشعريَ:

أنتَ الرَّحيلُ،

وأنتَ البقاءْ.

* الموجُ يشيخُ، ولكن

قال العِشق، وقال العاشِقُ: يَبْقى

في رَحِم البَحْر جَنيناً.

(١) القرية المصرية المعروفة

(٢) الإشارة إلى القائد الفرمطيّ، الحسن بن زكرويه. وكان قد خُطب له على المنابر في حمص، وسمّى نفسه «المهدي، أمير المؤمنين»، ورووا أنه بدأ في السلميّة، القرية القريبة إلى حمص، بقتل بني هاشم، فقضى على الصّبيان والبهائم، «وخرجَ منها، وليس بها عينٌ تطرف».

(٣) أربعة من قوّاده.

- م -

تِلك فُسطَاطُ[1] تاريخنا.
مسجدٌ ـ بشَرٌ حولَهُ
يمزجونَ خُطاهم بأكفانِهِمْ.
والنَّوافذُ ـ أَنّى نظرتَ،
سَراويلُ منشورَةٌ.

وتخيَّلتُ نُورَ قريشٍ،
وتخيَّلتُ قُوّادَها وأجنادَها.

لَنْ أحاكيَ مَوْتي.

٢٨٩هـ.

سُلَّ لسانُهُ[2]،
قطعوهُ. دُلِّيَ بين العَيْنين،
وقالوا:
فَلْيَرْبَطْ فوق حمارٍ.

ربطوهُ، طَافُوا في الأسْواق،
رآهُ النّاسْ:
مُؤَذِّننا؟

مات، ولكن
إمْعاناً في تأديبِ
الموتى،
صَلبوهُ مَيْتاً.

* أَتُراهُ النّشيدُ النّبيُّ
قادِرٌ وحدَهُ
أَن يغيِّر هذا الوجودَ الشّقيّ؟

(١) وصل المتنبي إلى الفُسطاط (القاهرة) في السنة ٣٤٦هـ. (آب، ٩٥٧ ميلادية).

(٢) الإشارة إلى شخص يُدعى عروس المؤذّن. قتله موسى بن أحمد، صاحب القيروان، آنذاك.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

حُمِلَ القِرمطيُّ[١]

لبغدادَ، حَيّاً

على ظَهْرِ فيلٍ.

ـ ن ـ

في الأزقّة، بين الحوانيتِ، في الطُّرقاتِ،

أمامَ الجوامعِ، أُصْغي ـ

أَتوهَّمُ رأسي

طائراً بابليّاً

يجرّ جناحيه في غابةٍ من حَجَر

ويَخُطُّ أَساطيرَهُ

بغبار البَشَرْ.

خَلْفَ هذي الصّوامعِ، مِلْءَ الفضاءِ، صراخٌ

أَلمدائِنُ مأسُورَةٌ ـ

جرحها نازِفٌ، قناديلُها مُطْفأَهْ

والطّفولةُ أُنشودَةٌ مُرْجَأَهْ.

* لُغَةٌ ـ جَسَدٌ حيٌّ، ـ

أَلأَرضُ تنامُ على كتفيها،

والغيبُ كتابٌ بين يَديها.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة»، الحسين بن زكرويه، وقد تغلّب عليه وأسره بدر الحمّامي، قائد ابن طولون.

- س -

أَتمشَّى مع النّيلِ، آخذُ حيناً يديهِ،
نتحدّثُ، أفتح صَدري لأشجانهِ.

فوقَنا ساعدانِ، أَصابعُ
تَضْفرُ شَعْرَ الفضاءِ
الذي يتمدَّد حُبّاً
على صَدْر خُوفو.

هَرَمُ الغيب يجثو على
حُفْنَةٍ مِن غُبارِ.
وأَرَى لا أرَى
أثراً لِنبيٍّ.

* أَصْغيتُ إلى دِفْلَى صلَّتْ:
كان النّيلُ إماماً،
والشَّمس أَذَاناً.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

مِئتَا سوْطٍ
لِلشَّامَهْ.

قُطعت رِجْلاهُ[١]،
يداهُ،
كَوَوهُ،
قُطِع الرَّأسْ،
وكَبَّرَ كلُّ النَّاس،
سُروراً.

*

لا يعرف الكلامُ أن
يقولَ كيف ماتْ
كأنّما تمزيقُه
صلاةٌ!

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة». كان يقول عنها: «هذه آيتي!».

الذاكرة

٢٨٩هـ.

أسَرُوا كلّ مَنْ
قيل عنهُ
إنّه قِرْمطيّ.

قدّموا الكُبراءَ[1]
لكي يقتلوهم:
قَطّعوا كلّ أطْرافهم،
وأعناقهم ضربُوها.

-ع-

صَمْتٌ حول ضِفاف النّيلِ ـ البَرْديُّ يُهيّئُ
حَفْلاً.

إيزيس سَتحضَرُ والأَهرامُ،
وقيلَ: النّيلُ سيُلقي شعراً.

نجمٌ ينزلُ عن كرسيّ اللّيلِ ـ
يُعانِقُ خُوفو.

* أَلنُّجومُ؟ سَتُصبح عمَّا قريبٍ،
مُدناً وأَسِرّةَ حُبٍّ.

(١) يُقال إنّ هؤلاء كانوا أربعةً وثلاثين شخصاً.

٢٨٩هـ.

إبْطَحوهُ على وجهِهِ[١].

وابْدأوا أوّلاً بِيُمنَى

يديهِ ـ اقْطعُوها،

واقْطعوا بعدَها

رِجْلَهُ،

ثُمَّ يُسْرى يديهِ ويُسْرَى

قدميهِ ـ

اضْربُوا عُنْقَهُ، وإلى أَسْفَلِ

نَكِسوهُ.

ـ ف ـ

شَحّاذٌ

يَأتي فجراً في زِيّ امْرَأةٍ،

ويعودُ مساءً في زِيّ عشيقٍ،

قَصَّ علينا:

عَرضَ الشَّيطانُ عليَّ كتاباً

أمسِ، وراءَ الجامعِ، كي أقرأَهُ

في شهر الصَّومْ.

قال رآهُ فوق سَريرِ امْرأةٍ

لا وقتَ لديها

إلاَّ لِلنَّومْ.

* هذهِ لحظةُ الظنّ والتَّوْرِيَهْ

أَتُراها

لحظةُ الرُّوح مهجورةً؟

قُلْ لِقيثارِ هذا الزّمانِ: ابْدَأِ الأُغْنِيَهْ.

(١) الإشارة إلى أحد القرامطة الأشرى.

كانوا بِضْعةَ أشخاصٍ،
قُتِلوا في بغداد،
وكانت تلك
نهايةَ عَهْدٍ[١].

*

مات القاسِمُ[٢] ابْنُ عبيدِ اللّهِ، السَّفاحُ. ابتهجَ النَّاسُ. يقول الشّاعر فيه:
«شربنا عشيّةَ مات الوزيرُ،
ونشرب، يا قومُ، في ثالِثِهْ
فَلا قدَّسَ اللّهُ تلك العظامَ،
ولا باركَ اللّه في وارِثِهْ».

(١) الإشارة إلى آل طولون، ولاة مصر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، نُقلوا مقيَّدين إلى بغداد، حيث قُتِلوا جميعاً.

(٢) هو وزير الخليفة المكتفي. كان سفّاكاً للدماء، وهو الذي قتل بالسمّ الشاعر ابن الرّومي.
ولم أعثر على اسم الشاعر، قائل هذين البيتين.

- ص -

دَارٌ ـ «دارُ الفِيلْ»،
تتذكّر، حين تراهَا، عامَ الفيلِ
وتذكرُ بالعَدْوَى سِجّيلْ.

أمشي حول الدّارِ، وأسمعُ حولي
أصواتاً
لكن،
لا ألمحُ أَفواهاً تخرجُ منها.

هل أصواتُ النَّاسِ هُنا
تتَصاعَدُ مِن أحشاء النِّيلْ؟

* أَلزَّمانُ دَمٌ سائِلٌ والمدينةُ مُسْتَنْقَعُ،
فلماذا نُنكِّس هاماتِنا
لِلخلافةِ، أَو نَخْضَعُ؟

- ق -

الذاكرة

٢٩٤هـ.

بَعْد مَقْتَل ابْنَيْهِ[1]، يُشعلُ حَرْباً.

قَتلوهُ، وشَقُّوا،

كما قِيلَ،

أحشاءَهُ.

أَلخيالُ وبُرْهانُهُ

المقابِرُ، ظِلُّ النَّخيلِ، النَّخيلُ،

اليَمامُ، الحديثُ مع النّيلِ،

إيزيسُ،

ليلُ التوغُّلِ في كوكبِ القَصيدهْ.

أتُرى هذه كلُّها

لغةٌ في الرُّجوع القريبِ إلى خَولةَ البَعيدَهْ؟

* إنْ أخذتُ الزّمَنْ

وهجّرْتُ نفسيَ مِنْهُ،

أَتُرانيَ إذّاكَ أعرفُ أَنَّى، وكيفَ،

وماذا يكونُ الوَطَنْ؟

(١) الإشارة إلى زكرويه، وإلى ابنيه يحيى والحسين.

ويُقال إنّه قُتل من الحُجّاج في طريقهم إلى مكّة، عِشرين ألفاً.

- ر -

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

قُبض المُكْتفِي:

قادةٌ وقُضاةٌ

يُجمعون على خَلْعِ وارثِهِ

المقتدِرْ[1]،

وعلى أن يكون الخليفةُ

شخصاً جديراً.

سألوهُ[2]،

اسْتجابَ، ولكن

بشَرْطِ: لا دمٌ

لا قِتالٌ.

أَلفضاءُ الذي يلبسُ النّيلَ نِيلٌ آخَرٌ

أَقْتفيهِ،

أَتهجَّى تقاسيمَهُ.

كانتِ الشَّمسُ تُملي عليهِ شُعَاعاتِها

عندما كان وجهيَ يَشْطَحُ في وجههِ.

كلَّ لَيْلٍ،

يقودُ النّجومَ إلى دارهِ:

هكذا وَشْوَشَتْنِيَ بَرْدِيّةٌ.

* أتذكّر أَنّي التَقيْتُ على النّيلِ،

مَوْتي مِراراً:

دائماً،

كان يبدو بهيئةِ طِفْلٍ.

(١) كان عمرهُ ثلاث عشرة سنة.

وقد رُوي أنّ القاضي المثنّى أحمد بن يعقوب، قال في هذا الصدّد: «لن أبايع صبيّاً».

(٢) هو ابن المعتزّ، الشّاعر.

(١) الرّاضي أو الغالب باللّه.

- ش -

أَلخلودُ حبيبٌ إلى النَّاسِ، لكنْ
أَتَساءَلُ في هذه اللّحظَاتِ المريرةِ،
في ذاتِ نَفسي، لماذا
لا أُحِبُّ سوى الزَّمنِ العابرِ؟
ولماذا
لا أُنَصِّبُ ضوءاً يَسودُ على الأرضِ، إلاَّ
قَلقَ الشَّاعرِ؟

* كيف تاهتْ غزالةُ عينيهِ عن دَرْبها؟
هُوذَا حاضِنٌ نخلةً
تتمايَلُ سكرانةً
وتُحدّث عن حبِّها.

الذّاكرة
٢٩٥هـ.

بايعوهُ،
وأعطوهُ اسْماً
جديداً[١].

لم يدمْ أمرُهُ،
خلعوهُ،
قتلوا كلَّ مَنْ
بايعوهُ،

وأعادوا إلى
عرشهِ، المقتدِرْ.

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ.

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

يسأل النّاسُ: مَنْ
منهما نُبَايِعُ،
أو يسألونَ: لِمنْ
ننتصِرْ؟

حَبسوهُ[١]،
أخرجوهُ مِن الحَبْسِ،
مَيْتاً.

ـ ت ـ

رُبَّما النّيلُ جُرْحٌ
من هُيامٍ وتيهِ
حَفَرتْهُ على جسَدِ الأرضِ،
رِيشةُ خَلاّقِها،

ربّما النّيلُ وَعْدٌ لِمثْلي ـ
لِملائكَ يأتونَ ليلاً إليهِ،
يَسْهرون، يجوسونَ أَحشاءَهُ
وَينامونَ بين يَديْهِ.

* ما أقولُ وما لا أقولْ
وَحْشَةٌ في طريقي إلى عتَباتِ الأُصولِ،
وَما يتخطّى الأصولْ.

٢٩٥هـ.

عندما بايعوهُ[١]،
سألوا الطّبريّ[٢] عن
الأَمْرِ، ما رأيهُ؟
قالَ:
ـ كلاّ، لن يتمَّ له
الأمرُ؟
ـ كيف؟ لماذا؟
ـ أتيتُمْ،
برجالٍ كبارٍ
كلّهم يتقدّمُ في زمَنٍ
يُدْبِرُ
كلّهم خاسِرٌ
وهو أوّلُ مَنْ يخسَرُ.

ـ ث ـ

تهْتُ في النّيلِ ـ في ضوئهِ وفي ظِلّهِ.
تهْتُ، أَبْحرْتُ في سُفُنٍ جارياتٍ
بأسرارهِ
في سرَيرِ أَسَاطيرهِ.

كانَ نَخْلي يُغنّي
هذه السُّفنَ الجارياتِ، وكان عَراري
شاعِراً آخراً يتبطَّنُ الآءَهَا
ويغنّي مجاذيفَها،
وحيازيمَها،
ويُغنّي الصّواري.

* قُلْ لشعركَ ـ هذا الصّديقِ الأمينْ:
جِسميَ الآنَ نَفْيٌ لجِسمي، ـ
وَلَهٌ يُلْهِمُ العشْقَ، يَلتهمُ العاشقينْ.

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ.
(٢) هو المؤرّخ والفقيه المشهور محمد بن جرير الطبريّ.

٣٠٠هـ.

قُتِل ابْن الرّضا:
قَطعوا رأسهُ،
نصبوهُ على الجسْر
أمثولةً
للّذين يقولونَ
أقوالَه
أو يقولونَ عنه:
بهجْةُ نهجْنا.

- خ -

سأشبّه نفسيَ بِالنّيل:
تَرْحالُ فَيْضٍ
ومَسْراهُ مَسْرايَ،
والأرض فِينا
«وَرْدَةٌ كالدِّهانْ».

غير أَنَّ حياتي قَلَقٌ وَمَجازٌ
وشِعريَ كالشَّمسِ: مِن لا مكانْ.

* بَلَدٌ ـ لم يقل مرّةً:
أُحِبُّ. اتركوه، إذنْ،
للوحوش التي تَستبدُّ
بِأَحشائهِ.

٣٠٤هـ.

قِيلَ: «رَدَّ[1] الكلامَ
إلى أصلهِ،
ولهذا
قطعوا رأسَهُ،
صَلبوهُ على ناقةٍ!».

- ذ -

مَا أَقولُ ليومي، هُنا،
ما أقولُ لِأَمْسي؟
أَتراهُ الزَّمانُ سَيُصْغي؟
فِيَّ شَخْصانِ: شَخْصٌ
للمكانِ، وشخْصٌ
لِتقاليدِهِ،
وأَنا ثالِثٌ.
لا أُجادِلُ شَخْصيَّ، أَتركُ لِلشِّعر أَمْرَيْهِمَا،
وأجادلُ نَفْسي.

* أَلمكانُ يغيّر أهدابَهُ
وَتقاطيعَهُ:
سوف يُصبح، بدءاً من اليوم، أُنْثى.

(١) الإشارة إلى شخص اسمه خالد الشّعراني. وكان عاملاً على كرمان وسجستان، وقد تمرّد وسمّى نفسه أميراً.

- ض -

سَأَقولُ لِذاتي: تَجلَّيْ
في قميصِ الظَّلامِ لكي أَتقصَّى مَداهُ،
وأُحْسِنَ قَبْضي على النُّورِ -

يا ظُلْمةَ اليَومِ. في كلّ وَجْهٍ
أَثَرٌ من شُعاعِكِ، والنّيلُ فَيْضٌ
بين ثَدْيَيْكِ. إيزيسُ تُفّاحَةٌ
في سَريركِ أَمَّارَةٌ -
أُمَّةٌ أنتِ، حَقّاً.

* أنا والنّور في هِجْرةٍ:
جَسدانا وأحلامُنا دارُنا
يَتحرّرُ فينا المكانُ،
وما يترمَّدُ تُوقظِهُ نَارُنا.

الذّاكرة

٣٠٤هـ.

كان إماماً[1]
في الفِقْهِ، وكان
يُحبّ الشّعرَ،
ويعلن أنّ الحقّ إمامٌ
والعَدْلَ إمامٌ.
لكن، مع ذلك،
مات قتيلاً.

(١) الإشارة إلى الناصر العلويّ المعروف بـ «الأطروش».

الذّاكرة

٣٠٤هـ.

الرّؤوسُ تُقطَّع، تُهدى
لِبغدادَ: مِن كلّ
صوبٍ،
واحداً واحداً
فوق صَحْنٍ،
أو مُدَلًّى على رأسِ
رُمْحٍ.
لَم يعد في الخِلافة إلاّ
اسمُها.

ـ ظ ـ

أَتوهَّم؟ كلاّ
لم أُشَاهِدْ بعينيَّ كافورَ،
شاهدتهُ
بالصّداقةِ مخنوقةً
بالحياةِ ـ انكساراً وَهَوْلاً.
هكذا سأجاهِرُ: كافورُ دُنْيا
وكافورُ أرضٌ.

هكذا سَوف
أَرْثي لِعَصْري.

* أَتُراهُ وَقْتي
في هذا الفَلَكِ السَّاحرِ ـ مِصْرَ، فَراغٌ
لا يَملؤهُ شيءٌ؟

٣٠٤ هـ.

أيّها الرّاحلون، تُرانا
لا نزالُ بعيدينَ
عن قَصْدنا؟

هل أمدُّ إليكم
يديّ، وأفتحُ
صدْري؟ قولوا

لم أعد أتذكّرْ
من أين جئنا،
إلى أين نمضي؟

- غ -

هَيَّأَتْ خُبْزَها. إنّه النّيلُ يُومِئُ. ماذا؟
كتَبَتْ وَجهَها
فوق وجه الرّغيفْ.
حِبْرُها؟ أخذتْهُ
مِن هُبوب الشّتاءِ، ومن خَمْرةِ الصّيفِ
مَسكوبةً في دِنان الخريفْ.

أَلطَّريقُ إليها وإلى خُبْزها،
ربيعٌ.

* نَوْرسٌ يتموَّجُ،
والنّيل يُسْلِمُ أعضاءَهُ لأعضائهِ.
سُرَّةُ الماءِ للحالمين سريرٌ.

هوامش
(يوميّات المتنبّي)

II. ديجور

١ ـ رغبة

أتخيّل بغدادَ، لكنني أُحيّي
حَلباً وأُحيّي
كوفة الثّائرينَ ـ اهْدَئي، ذكرياتي،
وَاجْلسي. ركبتايَ سريرانِ.
هذي عروقي
عَطشٌ جارِفٌ. وهذا
كبِدُ الوَقْتِ: من جَمْرِهِ
تتدفّق هذي الوجوهُ التي تتشرّدُ.
ماذا؟ إهْدَئي واجلسي.
أَفلاَ ترغبينَ هنا، الآنَ، أن تَسمعيه
يتكلّم: ذاك الذي كان يَحيا
أبداً صامِتاً، بيننا؟

٢ ـ حلم

حلمٌ نَسيتُ سريرَهُ
يأتي إليَّ، يَجرّ قافلةَ الظُّنونِ.
غَسلْتُ وَجْهي
برحيقِهِ، ـ
أتذكّر الآنَ: انحنيتُ لوجهِهِ
فمضَى. لماذا.
ولِمن يَعودُ، ولم أعدْ ما كُنْتُهُ؟

كُنّا وفَرّقَنا الطَّريقُ
هو جَدولٌ وأنا حريقُ.

٣ ـ مناجاة

قلتَ لي: نادِمٌ؟
أيُّها الجسمُ ـ جِسميَ. هل صِرتَ غيري، إذنْ؟
بيننا ألَفُ حَرْبٍ وحَرْبٍ
وكثيراً جرينا مَعاً
لملذّاتِنا
وسَهرنا نقطّر الآءَها،
ونمتَ، ولكنّني لم أَنَمْ
بيننا ألفُ حَرْبٍ وحَرْبٍ
بيننا ظلماتٌ
بيننا ما أخاف التبسُّطَ فيهِ،
وأجبنُ عن ذكرهِ:
هكذا،
لا أكرّر ما قُلتَهُ. لا أُطيقُ النَّدَمْ.

٤ ـ نُواح

أَلمساءُ. كأَنّي أَراهُ
آتياً من سَمَرْقَنْدَ في موكبٍ
مِن مآذنَ. يَمْشي
وعلى وجهه وَهْمُ شَمْسٍ.
يتَسلَّقُ خَصْريَ، يكبو على كتفيَّ. سِهامٌ
تَتراءَى على دَرْب غزلانهِ ـ المساءُ كشيخٍ
توحَّدَ في غرفة الكونِ منتظراً ضيفَه ـ الموتَ. أُصْغي
لحفيفٍ غريبٍ: تُراهُ
طائر المَوْتِ؟ لكنّ هذا النُّواحْ
ليس قبراً، ولم تَتنبّأْ بقيثارهِ الرّياحْ.

٥ ـ تأويل

رجلٌ يَجرح جذع النَّخلة قُرْبَ الجامعِ. يَرْوي
أَنَّ الرُطَبَ السَّاقِطَ مِنها سُمٌّ.
هل يتوهَّمُ؟ هل يتنشَّقُ سِحْراً؟
أَعطيْتُ النّخلةَ زندي.
قلتُ لِغُصْنٍ:
كَتِفُ الشَّمس تحنُّ إليكَ. وقلتُ لآخرَ: أنتَ سَريرٌ
وسيرقدُ فيه، يوماً
طائرُ حبٍّ.

رَجُلٌ آخَرُ جاء ليحرقَ جذعَ النَّخلةِ. يَرْوي
أَنَّ الرُطَبَ السَّاقطَ مِنها
ليس جَنِيّاً.

٦ ـ التباس

لم أعد أَتعجَّبُ، إن كنتُ سُوِّيتُ مِن طينةٍ
أو مِن التَّمْرِ ـ نُصْباً
يتعبّدُ آلاءهُ شَقِيٌّ
وإذا جاع وافتقد الخبزَ راح إليهِ
يتذوّق أشلاءَهُ لقمةً لقمةً.

لم أعد أَتعجّبُ إن كنتُ سُوِّيتُ سيْفاً
لِيُقطعَ بي كلُّ رأسٍ يقولُ: الخليفَةُ لا رأسَ لَهْ!
أَلخليفَةُ ـ آهِ الخليقةُ! آهِ الجنودُ الحروبُ السّجونُ المجاعاتُ
آلهةٌ مِن عبيدٍ،
وآلهةٌ سادةٌ،
والخليقةُ ـ آهِ الخليفةُ! مِن أينَ يا لغةَ الضّادِ،
تبدأُ هذي الفجيعةُ،
أو هذه المهزلَهْ؟

٧ ـ رحلة متخيَّلة

(أ)

أَلعناكبُ ينسجْنَ قُمصانَهنَّ. السَّماءُ
رَمتْ صدرَها
في ذِراعَيْ صباحٍ له وجهُ طِفْلٍ.
وأَرَى حولَهُ
أمومةَ أَرْضٍ
تأسر الطَّيْرَ في عُشِّهِ.

ضَجَّةٌ. لا الشَّجَرْ
لا الجداولُ. لا الرّيحُ. لا الرّعْدُ. لا خطواتٌ.
ضَجَّةٌ في فضاء النَّظَرْ.

٨ ـ رحلة مُتخيَّلة

(ب)

أَلطَّريقُ وأَنْيابُها، ـ
ربّما تأخذ الرّيحُ هذي الطُّلولَ. نَبوءاتُ رُعْبٍ
تتفتّحُ في قدميَّ وفي العُشْبِ. خُذْني
أيُّها الضّوءُ في ساعديكَ، وفي خطواتكَ. عَيْنا
هذه الصّخرة التباسٌ
في طريقيَ. نِسيانُ هذي الطّريقِ؟ أَينسى
قَدَرٌ ناظريْهِ؟

أَتُراهُ القدَرْ
لغةُ اليأسِ في شهواتِ البشَرْ؟

٩ـ رحلة متخيَّلة

(ج)

هُوذَا يقتربُ الذّئبُ، ولكن
ليس في عينيهِ نارٌ.

أين غابت هذه الأسطورةُ الحيّةُ؟ عُرْيٌ
في فضاء الورَق السّاقطِ. أضغاثُ رياحٍ
والخريفُ انكسرت أجراسُهُ.

يضع الذّئبُ على أهدابهِ
شَبحاً يَبْتعِدُ
ما الذي يكتبُ هذا الورقُ الميْتُ، بماذا يَعِدُ؟

(د)

أَلرَّملُ يغمر وجهَ دجلةَ. هذه
صَرخَاتُ حبّي:
وَجْهُ الألوهةِ وردةٌ ذَبُلَتْ. بلادٌ
صَدَأٌ صديدٌ،
والعابرونَ يعانقون غواية الجُرْح القديمْ.

بغدادُ فتنة شاعرٍ. هذي عكاظُ؟ أَمِنْ جديدٍ
تَصحو وتسكرُ تحت قوسِ جراحِها؟
أَهُوَ المكانُ، يُشَقُّ صدرُ نبيِّهِ،
أَهو السّديمْ؟

III

فاصلة استباق

إنه النّيلُ ـ

«فاضَ المال، وكثرت الفتن،
وظهر دجّالون كلُّهم يَزعم أنّه الحقّ»،

إنها القاهرةُ،

القرن العاشر جسدي كنتُ فيه الجنونَ
واستأثرَ بيَ العقل كنت المحوَ (وربّما
سيقول التّاريخ إني الذّاكرة)

النّيل، ـ أشير إلى الضّوء لكنهم لا يعرفون
في سريره أن يحدّقوا إلاّ في ثيابي «أفي
تكتشف السّماءُ كلِّ يوم تحت ضِبْني شُوَيْعِرٌ؟»
لَذّةَ النّوم. كلاّ، لا أملَ إلاّ من جهة اليأس.
في خطواته
تكتشف لذّةَ اليقظة.

أنظروا ـ الفضاءُ أنا،

يرسل النّيل تحياتِه وشِعري غيومُه الممطرة.
مكتوبةً إنه الوقتُ ليأخذَ كلُّ شيءٍ اسمَه
على جسدِ الشّمس. ولكي ترتسمَ الطّريق.

هكذا أقول لمصر وأشيائها:
وُلدتِ في نَسَقِ الشَّمس،
وأنتِ مغامرةُ البدءْ.

ها هي
جدائلُ الشمس
تَتبلَّلُ بماء النّيل.

إنه النّيلُ، ـ
ينبجسُ إليّ من أغوار العناصر،
ودوريَ الآنَ أن أتشبَّه به ـ
ماذا أفعلُ يا سيِّدَ الأساطير؟

زَمَنٌ ـ
فقاعاتٌ تعوم
على وجه النّيل.

اللّهبُ يزفر في اللّغة، ـ
قلبك، أيُّها العالمُ، الوحش؟ إذن
سيكون شعريَ الفَتْك.
النّيل هادئٌ؟ عنيتُ: ها هو الطّوفان.

ماءُ الموتِ للنيل
هو نفسه
ماء الحياة.

أسمعُ النّيلَ:
لا يسقط الحبّ من السّماء
إلاّ لأنّه يصعد من الأرض.

«بمائهِ اغْتَسلتِ
النبوة الأولى»:
قالت الأرض مرّةً
تصف النّيل،
ولا تزال السّماء تكرّر
ما قالتِ الأرض.

ألن تطرح عنكَ أخيراً، يا صديقي النيل،
عِبْء تلك السَّماء التي تجثم على كتفيك؟
وأرجوكَ
أن تفهمَ فيضانيَ في اتّجاهِ أحبابي.

من خيوط مائه
ينسج النّيل
ثوباً واحداً
لفرحه وحزنه،
هو ثوبه الوحيد.

أنا ضراوةُ الانشقاق
رفضاً للنخاسين «مَحْفلِ القرود»
«المرتزقين القابضين على الزّمام»
«دولة الخدم».

كلّ يوم
يُلقي النّيلُ
مِن أعلى قِمَّةٍ
في جبل الحكمة،
موعظةَ الماء.

أنا الشُّبهاتُ وأنا الحقُّ
يا لهذا العالم ـ الخديعة:
«بكلِّ أرضٍ وطئتها أُمَمٌ
تُرعى بعبدٍ كأنّها غَنَمُ
إنّي وإن لُمْتُ حاسِدِيَّ، فما
أُنكر أَنّي عقوبةٌ لهُمُ».

يحضن النّيلُ
السّفن والقوارب
كأنّها بيوتٌ
وأسرّةٌ
لأطفاله.

وأسألك، أيّها النّيل:
من أين تجيء هذه اللاّنهاية
التي ترفرف على وجهك؟

أنا الواحد،
وكلّ شيءٍ فِيَّ متنافِرٌ
و«اسْمي في السّماء: لا».

أعرف الآن

لِلنّيل بشَرَةٌ
يتصاعَدُ من
مَسامِّها ضوءٌ
ليس الجسدَ
وليس الجنسَ،
وليس شيئاً آخرَ
غيرَهما.

لماذا آثر أبو الهول الصّمت:
أُرتجَ عليه،
وهو يحاور النّيل.
لكَ شكلٌ
أيها السيد النّيل
لا ينتهي من التشكُّل:
عَلِّمنيَ الشعر يا صديقي.

إذن، سأعترف:
خُلقت بجسمين ـ واحدٍ يعذّبني،
وآخر أعذّبه.
هكذا أُمَسْرِحُ أَعْضائي
وأبتكر للشعر خطاياه.

هل يمكن
أن يُقالَ:
وَداعاً، لِلنَّيل؟

سلامٌ لِلعُصاة في الشعر،
سلام لمن يهوِّس
وَيُضلِّل.

الذّاكرة

٣٠٦هـ.

إجْلِسِي[١]

وانظري في شكاواهمُ،

وخُذيهم برِفْقِ

الكلام، وصِدْق النَّظَرْ.

غضب الفقهاء[٢] من الأمْرِ

وَاسْتنكروهُ:

كيف لامرأةٍ أن تُولّى شُؤونَ

البَشَرْ؟

ـ أ ـ

إنّها القاهره، ـ

أدخلُ الآنَ في طَقْسِها، وأغنّي لها

ويغنّي معي

قصبُ النّيلِ ـ (يوماً، كيوسُفَ، لكن

في منامي، أتيتُ إلى القاهره

زرتُ آمونَ في بيته.

وكتبتُ وغنّيتُ مُسْتَسْلماً

لهوى امْرأةٍ راودتنيَ عن نفسها،

ولكنّها لا تُحِبُّ سِواهُ).

قل ليَ الآن، يا نِيلُ، من أين تأتي

إلى أين تَمضي خيولُ تَبَاريحِكَ الثَّائِرهْ؟

* لِمَ، هذا المساءْ،

يحجبُ اللّيل عنّي

نجمةً، كنتُ هَيّأتُ نفسي

كي أُسامِرَ في ضوئها

فَلَكَ الأَصْدِقاءْ؟

(١) في الرّواية أنّ أمّ المقتدر، واسمها شغب أمرت قهرمانةً لها اسمها مُثْل وفي رواية تُمل أن تجلس بالرّصافة للمظالم، وتنظر في كتب الناس.

انتفع بذلك المظلومون، وأنكَر ذلك الكتّيرون واسْتَبْشعوه».

(٢) قال الإمام السيوطي: «صار الأمر والنّهي لحرم الخليفة ولنسائه، لركاكته. وآل الأمر إلى أن أمرت أمّ المقتدر بمُثْلٍ القهرمانة أن تجلس للمظالم وتنظر في رقاع الناس كلّ جمعة. فكانت تجلس وتُحضر القُضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطُّها».

الذّاكرة

٣٠٩هـ.

قال عُرَيْبٌ[1]:

«كان الحلاّج غَوِيّاً ينتقّلُ في البلدانِ،

يموّهُ

بين السُّنةِ سنّيٌّ،

بين الشّيعةِ شيعيٌّ،

مُعْتزليٌّ، إنْ قابلَ شخصاً معتزليّاً».

(١) عُرَيْب بن سعد القرطبي، في «الصِّلَة» التي كتبها تَكْمِلةً لتاريخ الطّبري.

- ب -

لَم تَعُدْ لَذّتي
مثلَ نَبْعٍ يَهيمُ على وَجْهِهِ.
لم تعد قامةُ الرّيح مسكونةً
بجدائل أحلاميَ الطّويلَهْ.
رافِعٌ غَضبي رايةً
وأقولُ الكلامَ الذي يَتفتّقُ رفْضاً وهَدْماً.
ولهذا أغنّي، أُنَصّب نفسي
عاشِقَ الطُّرُقِ المستحيلَهْ.

* جسدي يَتمزّقُ مُسْتَنْزَفاً
بينَ مَا قلْتُهُ،
وما لَمْ أَقُلْ.

- ج -

أَخذتْني إلى بيتها نَفْرَتيتي
وسَقَتْني إكسيرَها.
(وَحده الشِّعرُ كانَ المُقامَ
الذي نتَساكَنُ فيهِ).
وأَرَى النّيلَ يلبس أَهدابَها
(لا تقولي لِيَ الآنَ ما لم تقوليهِ
مِنْ قَبْلُ) لِلنّيل روحٌ تُرفرفُ،
والكونُ وَجْهٌ لها.
أرضُهُ نَشوةٌ،
والنُّجوم عرائسُ يخرجْنَ مِن ضِلْعهِ.

قال عُرَيْبٌ:
«كان الحلاّجُ خفيفاً
في الحركاتِ -
يُشَعْوِذُ: مَخْرَقَ
حَتَّى اسْتَهْوَى
مَنْ لا يفهمُ شيئاً».

* رُبَّما ينبغي
أن أخيط الرّياحَ وأن أتنزَّهَ في إبْرةٍ.

قالَ عُرَيْبٌ:
«كان الحلاّجُ يُجاهِرْ
«إنّي الرَّبُّ»،
و «ما في الجُبّة غيرُ
اللّهِ»، وشاعتْ
كتبٌ أَمْلاها
مُلئتْ
بحماقاتٍ،
وكلامٍ مقْلوبٍ،
وبكُفْرٍ».

- د -

هَلْ أُلاَبِسُ نارَ الظُّنونِ،
وأَمكُرُ؟ أشياؤُها
مَكَرَتْ ومَكَرْتُ: المدائِنُ قَلَّبْتُها
صفحةً، صفحةً -
قَدَمي تتقدّمُ، رأسيَ في خَلْوةٍ:
أَعْلوٌّ، أَمَهْوى
أَمْ جنونُ أَقَاصٍ؟

شَغَفٌ لاعِجٌ، شَغَفٌ جارِفٌ، -
نَشْوَةٌ أَنْ تُهدِّمَ أَسْوارَ
هذي المدائنِ،
والشّعر مِعراجُكَ العاصِفُ.

* لا أُسَافِرُ
إلاَّ لِصيد الكواكبِ،
والأُفْقُ لي جُعْبَةٌ.

ـ هـ ـ

رُبَّما ينبغي
أن أُسَلْسِلَ جِنْسَ النَّظائِرِ، جِنْسَ المجازاتِ،
جِنْسَ الفُروقِ، وأَصرخَ: أَهْلاً
بِالسّطوعِ، ـ النّساءُ يُرتِّلْنَ
أَحزانَهنَّ،
السُّهولُ هَوادِجُ محمولةٌ
في قَوافِلَ مِن كُلِّ زَهْرٍ.
رُبَّما، رُبَّما. وظنّي،
أَنّني سأقولُ لدربي خُذيني
خُطُواتي رياحٌ لواقِحُ يَصْرخْنَ حُبّاً.

قال غُرْيبٌ:
«كان الحلاّجُ يقول
لِبَعْضِ ممّن تبعوهُ:
أنت محمّدُ،
مُوسَى أنت،
ونوحٌ أنتَ.
أنا منْ قال
لِأرْواحهم
أَنْ تهبطَ
فيكمْ».

* وَرْدةٌ ـ (لن أُجاهِرَ أَنّى وكيف) ولكنني
أَتغطّى هنا الآنَ فوق فِراشي
بِأَهْدابِها.

- و -

آهِ منه، وآهٍ عليهْ
ذلك الشاعرُ المتشرّدُ في وجههِ،
وفي أَصْغرَيهْ.

هُوذا عَصْرُهُ المُرُّ
يَسْتَجْمِعُ الكلماتِ،
ويُسْلِمُ لِلضَّرْبِ أَعناقَها.

لنسورٍ تطايَرْنَ من قلبهِ
وَيَمَّمْنَ جَوّاً بعيداً،
يَنحني ويقولُ: وَداعاً.

أَتُرى عنده موعِدٌ آخَرٌ؟

قال الرّاوي:
«قال عُرَيْبٌ،
هذا اليومَ،
كلاماً
كادت لغتي
أن تهرب منهُ».

* اللَّيالي نساءٌ
والنَّوافذ من حولهنَّ طيوفٌ.

- ز -

مُثْقَلاً بعجائبِ هذا الزَّمانْ:
أَتمرَّدُ في مَحْبَسٍ
وَأُغنّي وعُنْقي
يَتوسَّدُ سَيْفاً.

وَبشِعري أُدِينُ، بشِعري أُبَرِّئُ: شِعري
شَهواتي وجيشي
وحَرْبيَ - لا تنتهي،
والرِّهانْ.

* ربّما خَبَّأَ اللّيلُ سِكّينَهُ
في يدَيْ نجمةٍ.

قال عُرَيْبٌ:
«كان الحَلاّج يقولُ:
أَنا أَهْلكتُ ثموداً».

و«يغيبُ عن
الأَتْباع، وينزلُ
مِن طبقات الجوِّ
عليهم».

- ح -

خِطْتُ صَدْري بِصدْركِ يا شَمْسُ. أمشي،
أترنَّحُ واليأسُ رَقْصي:
قَدَمي للغُبارِ،
وإيقاعُها لِلشّقاءْ.
آيةً آيَةْ
يتنزَّل وَقْتي هُنا في كتابٍ
لا يَرى كيف أَحْيَا
ويشَاءُ الذي لاَ أَشاءْ.

* حملتْه إلى أرض أحلامهِ النَّائيهْ
شَهوةٌ عالِيهْ.

قالَ الصُّولي[1]:
«الحلاّج جهولٌ،
لكن يتعقَّلُ،
وَهْو عَبِيٌّ، لكن
يتفصَّحُ،
وهْوَ الفاجِرُ لكن
يلبسُ كي يتنسَّكَ ـ
صُوفاً».

(١) محمد بن يحيى الصُّولي.

قالوا:
«نُوظِر يوْماً:
لا يَعرف شيئاً من
أخبار النّاس،
ويَجهلُ أهْلَ الفكرْ،
لا يعرفُ حتّى القرآنَ،
وحتّى الفِقْه،
ويجْهلُ حتّى الشّعرْ».

ـ ط ـ

مِصْرُ، هذا هو الخيطُ بين أَثينا وبينكِ:
طالِيسُ بَرْدِيّهُ ساهِرٌ
وعلى شُرْفةِ النّيلِ
بِيزنْطيا
تتأمّل أَسْرارَها
في تقاطيعِ أَيْقُونَةٍ.

مِصْرُ: لا غَرْبَ لا شَرْقَ، بل وَحدةُ البدْءِ
في القلَم الفَاطرِ
تَتجدَّدُ في لُغةِ الشَّاعرِ.

* منذُ أن كنتُ طِفْلاً
كنتُ أَسبحُ في لُجّةِ البدْءِ،
في ماء شَيْخوختي.

- ي -

مِن مُعاويةٍ والرّشيدِ ومَرْوانَ، لَمْ يَبْقَ
غيرُ الحُروفِ التي عرّفَتْنا
بأسمائهم.

غير أَنّي أرَى الشُّعراءَ وأُصْغي
كيف يُسْتَنْفَرُ الزَّمانُ لكي يَتَماهى
بِتاريخهم وميراثهم، وكلٌّ
عندَ أصحابِهِ نَبيٌّ.

قالوا:
«يُحْيي الحَلاّجُ
المَوْتى،
والجِنُّ لَهُ خُدّامْ».

* كَبِدُ الوَقْتِ مَقْرُوحَةٌ، -
هل أسائِلُ شُحرورَ هذا الصّباحِ:
لِماذا تغنّي؟

- ك -

أُصْغِي -

في هذا الشّارع أَصْواتٌ

أسمعُ فيها

همساً مِن يونانَ، وجَرْساً فِينيقيّاً.

وَأُحِسُّ بِفتنةِ بابلَ: حَقّاً

مصرُ صحيفةُ بدْءٍ

فيها رسَمت رِيشةُ آدَمْ

وَجْهَ العالَمْ.

قالوا:

«كانت بغدادُ

تُسائِلُ كلَّ مكانٍ

فيها: هل أنتَ

شريكٌ حَقّاً

في نِيرنْجِ الحلاّجِ،

وماذا تعرفُ عنهُ؟».

* كم تخيَّلتُ فِينيقيا:

وَطنٌ مركبٌ،

والطّريقُ إليهِ

كَتِفَا مَوْجةٍ.

ـ ل ـ

مِنْ أين يخفقُ هذا النّجمُ في كَبدِي؟

حَزمْتُ صَدْري بأوجاعي وطفْتُ على
أَطْلالِ حبّي ـ أراها كيف تَنسجُني
بِريحها،
وَتبقّيني وتَرْتَحِلُ.
يا للفُجاءَةِ: ثوبُ الرِّيح مُنْخَرِقٌ
مُعفَّرٌ
ورَمادُ الأرضِ يَشْتَعِلُ.

* هل أقولُ: سَريري
قَاتِلي وأميري؟

قالوا:
«كانت كلُّ دفاتره
مِن وَرقٍ صينيٍّ.
بحريرٍ وَبديباجٍ
بَطَّنَها.
وبماءٍ من ذَهَبٍ
خَطّ رُؤَاهْ».

- م -

في الشَّوارعِ، بين المآذنِ، في كلّ حيٍّ
وفي كلّ أَرْضٍ،
أَصْغِ لِلضَّوء، لِلوقْتِ، لا تَلْتَفِتْ
إلى العابرينْ.
وَاغْتَرِبْ واضْطَرِبْ
حائراً
يَسْتَضِيءُ بِقافلةِ الحائرينْ.

* عابِرُ الرّملِ بَقَّعَ ماءَ كواكبِهِ الآفِلَهْ
بدم القافلَهْ.

قالوا:
«كانَ الحلاّجُ كثيرَ
الأَسْفارِ، وزار الهند،
وفيها
زَارَ امرأةً
خَرجتْ معهُ نحو البَحْر،
وكانت
تحمل غَزْلاً مَلْفوفاً
فيه عُقَدٌ
تُشبهُ أدراج السُّلَّم
قالَت بِضْعاً من
كلماتٍ.
صمتَتْ، جلسَتْ،
قامتْ،
صعدت في خَيْطِ
الغَزْلِ، وغابَتْ».

ـ ن ـ

عَضَّةُ الشَّمْسِ في كَتفِ النّيلِ،
زَرْقاءُ،
والضِّفّتانِ تمدّانِ مَهْداً
للحقولِ ـ النّباتاتُ
تُولم أثداءَها لِعُشّاقِها.

أَهُوَ الحبُّ ينزلُ في شَكْلِ دَمْعٍ
عَلى وَجْنتيْ،
أم هُوَ النّيلُ يخرجُ من صمتهِ
ويقصُّ تَباريحَهُ عَليّ؟

قالوا:
«كنّا ننظرُ ـ
كانَ الطّائرُ ميْتاً.
غَطّاهُ بِكُمْهُ،
همستْ شفتاهُ
كلماتٍ لم نَسمعْها.
عاد الطائرُ حيّاً».
قالوا:
«إن لم نقتلْهُ،
افْتُنَ النّاسُ
بِعلْمِهْ».

* الفراغُ الذي يَتقدّمُ نحوي كريمٌ،
أُحَيّيكَ يا أيُّها الصّديقُ،
وأرجوكَ: لا تمتلئْ.

- س -

خَوْلَةٌ - أَتخيَّلُها ها هُنا،
وأقولُ الهلالُ الذي يتسكَّعُ
في ما وراءَ النُّجوم سيأتي إليها،
والطيورُ التي يرسمُ النّيلُ أعناقَها
سوف تأتي،
وسيأتي إليها
لازوردُ المكانِ - تُرانيَ أَهْذِي، ولكن
هَا هُوَ اللّيلُ يَمْشي إلى جَنْبِهَا.

* غيْرَةً،
سأقولُ لعاشقِ إيزيسَ: دَعْنِي أُلاَمِسْ
بأحشائيَ الخافِقَهْ
نَارَكَ العاشِقَهْ.

قالوا:
«ضربوهُ أَسْواطاً
لم يُحصوها.
قَطعوا رجليهِ، يديهِ،
حَزّوا الرّأسَ،
وقالوا: نصبوهُ فوق
الجِسْر، وقالوا:
حُمل الرّأسُ إلى
بلدانٍ أُخرى
كي يُنْصَبَ فيها».

- ع -

كوكبٌ يَتسكَّعُ حيرانَ في كلّ حَيٍّ،
والنّوافذُ صَفْراءُ. ليلٌ
يزفر الآنَ أحزانَهُ
ويقولُ النّهارُ مريضٌ.
ومَنْ ذلك الذي يَغْرزُ السِّهامْ
في صدور أحبّائِنا؟

ربّما ليس لِلضّوء، في ظِلّ كافُورَ،
مُتَّسَعٌ لِلمُقامْ.

قالوا:
«أُحْرِقَ جسْمُ الحلاّج
وَذُرَّ رماداً
في دجلةَ. قالوا:
فاضَت دجْلةُ
حبّاً».

* أسمعُ في الطّرقاتِ كلاماً ـ يَبْدُو حيناً،
سِرْبَ خِرَافٍ،
وقطيعَ جِمالٍ، حيناً.

ـ ف ـ

شَبَحٌ ـ كيف جاءَ، ومِن أين جاءَ؟
له وَجْهُ رَبٍّ.

أَلزَّمانُ يوسِّده ساعديْهِ،
والغبارُ على وجههِ صَلاةٌ.
شَبَحٌ شامِخٌ
ذراعاه ممدودتانْ
تحت رأسِ المكانْ.

قالوا:
«دُعيَ الورّاقُونَ
لِيُقسِم كلٌّ منهم
ألاَّ يَقْنيَ أيّ كتابٍ
لِلحلاَّجِ،
شراءً،
أو بيْعاً».

* ـ أُسْكُتْ، أَفْسدْتَ هَواءَ الدِّينِ،
ـ أَيفْسُدُ دِينٌ
مِن نَفْخَةِ هَمٍّ؟

- ص -

في هذا الشَّارعِ كان الماءُ سَجيناً.
وهُنَا في هذا الشَّارعِ شَمْسٌ
يَسْتوطِنُ فيها عِصْيانٌ.

وهُنَا، في هذا الشَّارعِ، شَاعَ كلامٌ
أَنَّ الضَّوءَ سيأتي سَحَراً
وعلى كتفيهِ
وَطَنٌ يَقِظٌ، وفضاءٌ حَيٌّ.

قالوا:
سمعوهُ يهمسُ
فيما يُحتضَرُ:
«ناسٌ بَقَرْ
لستُ المقتولَ،
كما يَهذون. ولمِثْلي
سِرُّ هواهْ
لا يدركُهُ إلاَّ اللَّهْ».

* تاريخٌ: ثوبٌ مفتوقٌ،
هل يقدرُ شِعْرٌ
أَنْ يرتقَهُ؟

ـ ق ـ

لا تَقُلْ: نَعْشَقُ الإمارةَ مَدْهونةً
بِبهار تواريخنا، ولكن
قُلْ: سنسكنُ أكواخَ قَشٍّ
لِنخدمَ عُشَّاقَها.
ربّما سوف يُولَدُ من أَوّلٍ
كتابُ نبوّاتِنا
في جحيم غواياتِنا المُنكَرَهْ
ربّما رغبةٌ في اختناقٍ طويلٍ
سوف تلتهمُ الشَّفتيْنِ،
وتَلْتهم الأصْغَريْنِ،
وتَلْتهِمُ الحنجرهْ.

أَلحلاَّجُ فضاءُ
هُيامٍ،
والوقْتُ كتابٌ
بيت يديهِ.

* ـ لا نقدرُ أن نتكلّمَ فوقَ الأرضِ،
ـ أتقصد أن نتكلَّمَ تحت الأرضِ؟
ـ وداعاً.
ـ مَنْ أنتَ؟ كأنّك تُشبهُ مَيْتاً.

- ر -

أنتَ الغارِقُ في التّحريم،
وفي التَّحليلْ،
خيرٌ أَنْ تكتبَ،
أَو أَنْ تقرأَ شِعراً
عن عِشْقٍ
أو عَنْ سِرٍّ
بين البَرْديّ ونَهْرِ النّيلْ.

ألحلاَّجْ أمام السّرّ،
وبعد الكتْبِ
الحلاَّجُ يفوّض أمْر
المعنى ليدِ اللّهب.

* رَقصُ ضوءٍ يأخذ الوقتَ إلى شهوتهِ،
والضّفاف استسلمت
لِهوَى أَعْشابِها.

- ش -

ساخِراً مِن إمامة هذا الزّمانِ،
وممّا تراهُ العقولُ،
وممّا تقول العلومْ،
سأقولُ لكافورَ: أنتَ الإمامُ على الأرضِ،
خُذْها كما شئتَ،
واكتبْ
لرعاياكَ أقدارَهُمْ -

ما تقولُ النُّجومُ وما يُعْجِزُ النُّجُومْ.

صوتُ الحلاّج كنايٍ
في طبقاتِ الكونِ،
دمٌ كونيٌّ،
ويعيشُ وحيداً
بين الأوّل والآخِرْ

لا يعرف أن يتشبَّه
بالينبوعِ الدّافق
منه، غيرُ الشّاعرْ.

* إن تجِئْ مرّةً، وسريرُ اللّهَبْ
في انتظارِكَ، لا تَبتئِسْ.
الأساطيرُ في بدْئِها بعدُ،
والشّعر يبتكرُ المنقلَبْ.

ـ ت ـ

ـ هل رأيتَ إلى بابهِ؟

ـ فِضّةٌ.

ـ وإلى عرشهِ؟

ـ ذهَبٌ خالِصٌ.

ـ والنّقوشَ وما حولَها؟

ـ حَجَرٌ أسودٌ كريمٌ.

كيف لا تُوغلُ المدائن في سُخْطِها؟
كيف لا تتناقَلُ أفواهُها
ما تقول سيوفُ صعاليكِها
لِلطُّغاةِ وما لا تقولْ؟

* نُطَفٌ من هبَاءْ
تتقطّرُ مِن ثدي
هذي السَّماء.

تركَ الحلاّجُ فضاءَ
آخر، غنّى:
ما أبْهى
أن أُولمَ ليلي
لنجوم المعنى
حيث الأرضُ سريرٌ
والعاشِقُ كوْنُ.

قالوا،
سمعوا الحلاّجَ يغنّي:
ما أبْهى أن يتحدّثَ
عنّي لهَبٌ،
ويطوفَ عليَّ جُنونٌ.
ما أبْهى أن أتحقّق
أنَّ الصُورةَ كونٌ
تتشرّدُ فيهِ
عنقاءُ المَعْنى.

ـ ث ـ

أَتمدَّد فوق فراشي، أو أسيرُ أرَى النّاسَ،
لكن، لا تواصُلَ ـ ماذا
لو أكرّرُ ما قلتُهُ مرّةً:
«ليس في حاضر النّاسِ أيُّ غريبٍ عليَّ»؟
وأين هو الأمسُ كي أتأمَّلَ في ما مضَى؟

الصّباحُ صديقٌ أبداً غائِبٌ
في فراغٍ يُسمَّى غداً.

أَتُرى وحده الشّعرُ يكفي؟

* مُسْرِجاً للرَّحيلِ حصانَ الألَمْ،
قلتُ مستدركاً:
لو أطعتُ التوهُّمَ، أسرجْتُ هذا الهرَمْ.

- خ -

لا يُكتَبُ الشّعر إلاَّ في مُشَافَهةٍ
مع الغيوب، -
سأحيا في مخيِّلتي،
أَعلو، وأَسْتدرجُ المعنى، وأَنتظِرُ
لي منزلي خلفَ أسوارٍ أُكابِدُها
ولي جناحانِ: وَجْهُ الغيبِ والحجَرُ.

نزل الحلاَّجْ خفيفاً
في بُرْكانِ الشّوقْ
مِن أَعْلى سرٍّ
في درجاتِ الذّوقْ.

* أيُّها المعطفُ،
أنتَ يا ذلكَ الغيمُ، كيفَ ومن أينَ
تلبسُ جسمَ السَّماءِ، ولا تعرفُ؟

- ذ -

مُقْعَدٌ، أَتُراهُ
جاءَ مِن بلدٍ آخَرٍ؟
يتراءَى كمن يمضغُ الرّيحَ،
أو مَن يجرُّ حديداً.
آهٍ، من أينَ لِلشّعر أن يتدبَّر هذا الشَّقاءْ؟

هل أقول لَهُ: كيف حالُكَ؟ لكن
ربّما كان يرفض أن يتدخّل في أمرِهِ
غريبٌ،
ربّما كان يُؤْثِر أَلاَّ يكلِّمَ إلاَّ الفضاءْ.

قالوا:
عَرج الحلاّجُ إلى
ذُرواتِ اللّهِ
بلا معراجْ
مِن أعْلى نَوْءٍ
في بحر الحبّ،
وألْقى
عظة الأَمواجْ.

* عندما تخرج الشَّمسُ من بيتها، شتاءً،
يأخذ الفجرُ منديلَها
ويغطّي بهِ كتفيْهِ.

- ض -

واهِنٌ في قرارة نَفسي
(أَو يُخيَّل لي أنني واهِنٌ)، وأسكنُ
بيتاً جميلاً ـ هديةَ كافورَ، لكن
هو، في ما يَرى الشِّعرُ،
أَوْهَنُ بَيْتٍ.

ألبيوتُ هنا وهناكَ البيوتْ
لغةٌ في كتابِ
كتبَتْه يَدا عنكبوتْ.

قال الحلاّجُ: «اللَّيلُ
لِشمسي وطَنٌ
وحبيبٌ:
مِنْ أين، وأين،
وكيف تغيبُ؟».

* كيف أَرْوي حَرَجي لِلنِّيلِ، هل أَبْقى،
إلى أين أقومْ؟
وأَنَا الشَّاردُ، لا أعرفُ من أينَ إلى أينَ
التخومْ؟

ـ ظ ـ

أنتَ، وجهاً لوجهٍ
مع تباريح هذا الزّمانِ وأَشْراكِهِ.
مع غيومٍ تحجَّرْنَ:
ماذا يقلن لهذا الفضاءِ،
وماذا تقولُ؟ الفضاءُ وأنتَ
اتّحادُ صديقينِ في وَرْدَةٍ:

وردةٌ ـ لَفْتَةٌ.
وردةٌ تقرأ الشّمسُ لِلحبْرِ أَقْلامَها
وتَلاوينَها،

وَرْدةٌ تَتهجَّى تَآبينَها.

قالوا:
سمعوا الحلاّج
يقولُ ـ «لفظتُ
اليوم كلاماً
كادت لغتي
أنْ تهربَ
منهُ».

* أَلَمٌ ليس فكراً ولا صورةً،
إنّه جسَدٌ يتقطَّعُ: هل ضَرْبةٌ قاضِيهْ
أَترنّح فيها ـ في ثُمالاتيَ الباقيهْ؟

- غ -

حَيَّةٌ؟ قلتُ يوماً
أحبُّ الغوايةَ فيها،
وأحببتُ حوّاءَ مِن أَجْلِها.

وأَنَا مثلَها ـ
سأغيّر جلْدِي،
كلّما شاءَ حَدْسِيَ:
ما أَضْيَعَ القصيدَهْ
عندما لا تكونُ الطّرادَ ومَيْدانَهُ والطَّريدَهْ.

* سوف أُولمُ هذا القمَرْ
لكواكب شِعري،
وإذا جاءَ ليلٌ غريبٌ عليهِ،
سَألوذُ بشيطانيَ المنتظَرْ.

قالوا:
«صلبوا أصحاب
الحلاَّجِ جميعاً»[1].

(١) بيبهم «حيدرة، والشعراني، وابن منصور. طولبوا بالرّجوع عن مذهبه، فأبوا. ضُربت أعناقُهم، ثم صُلبوا»

هوامش

(يوميات المتنبّي)

III. رَصْد

١ ـ وداع

أتخيّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حلباً، وأحيّي كوفةَ الثائرين ـ تَجرّأْ
قلْ وداعاً لأرضكَ، للعشب فيها، ولأشجارها وأَنهارِها.
قل وداعاً لسجّانها، لخليفة أَنْقاضِها
وهو يُملي عليها تعاليمَهُ،
وقصائدَ غِلمانه.
وتوسَّلْ إلى غيمةٍ تتفيَّأُ في ظِلّها.

قُلْ وداعاً لهذا التمزُّق، هذا الألَمْ
وازْفُرِ الآنَ ما خَطّهُ
في يديكَ وفي ناظريكَ وفي خطواتِكَ وَاصْرخْ:
لكمُ كلُّ شيءٍ
وأنا مثلما تقولون: شخصٌ غريبٌ
ليس لي غيرُ هذي الدَّواةِ وهذا القلَمْ.

٢ ـ عجز

أَلرِّمالُ التي غمرت وجهَ تلك البلاد التي جئتُ منها،
ها هيَ الآن تَغمرُ وَجْهي،
وأنا عاجِزٌ أن أُخَمِّنَ:
هَلْ يُكْنَسُ الرَّمْلُ،
أم سوف نُطْمَسُ؟ لا وَمْأَةٌ
مِن نَبُوءاتِ حبّي.

سأَقولُ لتلك البلاد التي حملتنيَ: لا شيءَ
يَنأى بقلبي عنِ المَوْتِ، إلاّ هواها
وأقول لتلك البلاد التي حملتنيَ: لا خَيْطَ
يربطُ بيني وبين المدائنِ
إلاَّ اسْمُها.

٣ ـ اطمئنان

قُلْ كما شئتَ عَنّي:
أحمقٌ،
وأغنّي لأيّةِ جنيّةٍ،
وأفوّضُ نفسي لأهوائِها.
قُلْ كما شئتَ عنّي:
يَدي مِن غُبَارٍ
وروحي تَبابٌ.
غير أَنَّكَ لن تعرفَ الوَرْدَ إن كنتَ تجهلُ عِطري،
ولن تعرفَ اللانّهايةَ،
إلاّ إذا كان شِعرْيَ
بين الدُّروبِ إليها.

٤ ـ غراب

كيف أخرجُ من بيتيَ الميْتِ؟ لكن
أين أخرجُ؟ موتٌ
حيثما دارَ وَجْهي.

أَلقناديلُ تُطْبق أجفانَها
والدَّقائِقُ هَوْلٌ وفَتْكٌ.

أيُهذا الغرابُ الجميلُ النَّقيْ
لِمَ لا تُشْرِعُ الأُفْقَ باباً إليكَ، وتُعطي
للمكانِ وللخطواتِ ولِلرّيح ميراثَكَ الكوكبيّ؟

٥ ـ كآبة

لم أكن مرّةً
مِثليَ، اليوم. هذا القرنفلُ شَوْكٌ.
ودِفلى
هذه الياسمينَةُ. والأرض تبدو كجبّانةٍ.

جَبَلٌ مِن هبَاءٍ
جاثِمٌ فوق صدري.
لا رفيفٌ لأيِّ جناحٍ
في الحقولِ التي حَرَثَتْها تواريخُنا
ولا ريحَ في الأشرعهْ.
والفروقاتُ مَطْموسَةٌ:
مَنْ تُرى يعرف الآنَ،
أين الوجوه، وأين هيَ
الأقنعهْ؟
سَأَلوذُ بِشِعري، ـ
أَتشمَّم أعضاءَهُ
وأنام على زَنْدِهِ.

٦ ـ رحلة متخيَّلة

هذه الخيلُ التي تُقبلُ. أَمُضي. إنّها تبحث عَنّي،
أين أمضي؟
أَيُغطّينيَ عشبٌ؟
أَيُؤاوينيَ بيتٌ؟
أَصديقٌ يظهر الآنَ ويعطيني يديهِ؟

ليس لي إلاّكَ يا هذا الضّياءْ
أَتقرّى غدَكَ الضَّاربَ في صحرائه،
وأرَى شمسيَ فيهِ، ـ

هوذا أعطيتُ جسمي
لتقاليدكَ واسْتَعْصمْتُ بالخَيْطِ
الذي يغزلُه وجهُ الفضاءْ.

٧ ـ احتفاء مُتخيَّل

لن أقولَ لهذي الحشودِ التي تتجمّع حَولي
وتهتفُ بِاسْمي: أنا رأسُها،
والأمينُ عليها.

لن أقول لكم أن تكونوا لِرأسي
تاجَ قولٍ، ولا تاجَ غارِ.

لن أقولَ لكم إنني نشيدٌ لأيٍّ
مِن فتوحاتكم
أو بطولاتكم.

سأقولُ لكم إنني خائِنٌ ـ خائِنٌ
لِمعاييركم وتَعاليمكمْ.

٨ ـ تحرُّر

أَتحرّرُ من سجن جسمي، وأسألُ حرّيتي:
أأَنا الآنَ نفسيَ، أم غيرُها؟
أأَنا قَبْلُ أم بعدُ، أم بينَ بينَ؟ الثِّيابُ تُداهِنُ،
والشَّكلُ طَيْفٌ.

لا طريقٌ سوى القَلْب نحو الألوهةِ والحبّ،
نحو التحرُّرِ،
في ما وراء الجُسومِ، وفي ما وراءَ العُقولْ.

حَرِّروا في القلوبِ ينابيعَها
واتْركُوها تَفِضْ
كي يفيضَ المكانُ بآلائِها،
وتفيضَ الفُصولْ.

٩ ـ رحلة متخيَّلة

هل أُصدّقُ؟ بغدادُ تغفو وتَنهضُ في خاتَمٍ.
زُرتها أمسِ مِن حلَبٍ، في منامِيَ. كانَتْ
ناقةً ضخمةً
تَموتُ على صَدْرِ طِفْلٍ.

رُحْتُ في كلّ حيٍّ أَجُسُّ غُبارَ الدُّروب،
وأُصْغي إلى اللّيل، أُصغي
لما يتَحدّث عنه جدارٌ
وتكتم أَسْرارَهُ مِئذنَهْ.
هكذا في مَنَامي
كنت أَسْتفسرُ الماءَ عن مَوْتِ بغدادَ، أَمْشي
وأخبطُ، أَقتصُّ آثارَ حُبّي
وأحتضنُ النّاسَ والأمكنَهْ.

١٠ ـ استباق

أَمْشي، أُسائِلُ دِجْلةً:
مَنْ ذلك الرّسامُ يَغْرز في جبينكَ
ريشةً لا لونَ فيها؟
فَمُكَ المليءُ بِحَشْوهِ، فَقدَ الكلامَ،
فمن يُعيد لكَ الكلامْ
أَلرّيح فيكَ عليلةٌ
والموجُ أَشْبَهُ بالحُطامْ.

مَن ذا يُضلِّل فيكَ حتّى الماءَ؟ مُبْتهجاً،
أمدُّ يدي
إليكَ. يدي سؤالٌ، ويداكَ مِن علَقٍ وَطِينْ

بيني وبينكَ ذُروةُ الدُّنيا وأَسْفَلُ سَافلينْ.

IV

فاصلة استباق

فجأةً،
ضجيجٌ من جهة الغيب
هل نستجيبُ؟ ندخلُ تحت قبةِ هذا
المكان مرفوعةً كسقْفِ عائليّ منقوشةً بأعناقٍ
كأنّها التّخاريم

خيوطاً في هذا البساط المتآلف من اللّحم
خطوطاً على الحجارة
بقايا أطلال.

كلاّ لم تكن ترسم أيُّها الشاعر كنتَ ماحياً يقول
صديقك الذي لا تعرف اسمه والذي ينتظر شَكْلَ
القوس وانحناءة الواو فيما يرى ملاكاً يرفع يديه
ليباركَ العساكر ويقدّم لها بَقْلَ الرّوح في
إيقاعات خُوَذٍ وأَنْصال لها هيئةُ الوحي

وتجلس حول الموائد
خشوعاً خشوعاً
السَّماء تنزل وتجلس هي كذلك تتأمّل كيف يتوحَّشُ
النّبات الإنْسيّ كيف تخرج الحيوانات الجاثمة في أرحام
الكلمات كيف وجد القتلُ طريقَه إلى مكانٍ رأى اللَّهُ
صورتَه فيه وقال حسَنٌ هذا

وها هي تُصغي إلى شفاهٍ بهيئة الأرجل تصدح بخطبةِ
الأزمنة تستطيع أن تواكبَها أينما تولّيتَ أن ترَى
إليها تعرجُ وتحدودب ترقص وتغنّي لا تقُلْ إنّها
تتصنّع قل إنّها تمومئ طربَ العصر

عند ذلك المنعطف
رأسٌ نزل عن كتفيها
وأخذ يتنبّأ

مِن أحشائه تخرجُ طفولةُ الرّصاص.

الدَّمُ ساعةٌ رمليّةٌ
والرّياحُ جنائزُ عائمة.

الذّاكرة

٣١١هـ.

كن وزيراً[١]

لِتسقيَ سُمّاً

أو لتشربَ

سُمّاً:

قِسمةٌ شاءَها

مَن يقسِّمُ

رِزْقَ العِبادْ

بِاسْم هذي

البِلادْ.

- أ -

رَجُلٌ مُوثَقٌ بجِراح تواريخِه.

رجُلٌ يترسَّبُ في قاعِ أوهامهِ، رجلٌ عائِمٌ

رجلٌ هائِمٌ

يَتخيَّل أنّ الطّريق إلى أرضهِ وإلى بيتهِ

حُفْرَةٌ يتناثَرُ فيها شَظايا.

رجلٌ مِن صحارَى، رجلٌ مِن نَخيلْ

هُوذا الماء يدخل في قبضةِ النّار،

والأرض ترتجلُ المستحيلْ.

* فَرَحُ الشِّعر أَوْجٌ

لِتباريحهِ.

(١) الإشارة إلى حامد بن عبّاس، وزير المقتدر، وقد قتله هذا الأخير بالسمّ في بيضٍ مشويّ. وحامد هو الذي دبّر مقتل الحلاّج.

الذّاكرة

٣١١هـ.

ما نقولُ لِمن
مرَّ في
فَلَواتِ التفكُّر
في الدّين والكون،
أو من تشكّك
أو من مرَقْ؟
ورقٌ عاشقٌ،
رمادٌ
ذهبٌ سائِلٌ
في رماد الورقْ:
إنها المحرقَهْ،
تتقلّب فيها
كُتبُ الزّندقَهْ[1].

- ب -

أعرفُ الآنَ عُرْيَ الطّريدِ الذي يتدثَّر بِالكلماتِ،
أعرفُ الآنَ ليلَ الدّروبِ
التي تتمزّق في ريحها حياتي، -

واضعٌ في كثافةِ هذا الظلامْ
كبدي شمعةً
واضِعٌ كلماتي طريقاً -
جَسدي مِثلُ عَصْفٍ
والزّمانُ الرّكامْ.

* كلّما راح فكري يُسَافر في جرحيَ الأوّلِ،
يتمزّقُ، يصرخُ بِاسْميَ: واهاً عليَّ،
وويليَ من جرحيَ المقبلِ.

(١) يُروى أنّه في هذه السنة، «أُحرق بالنار على باب العامّة في بغداد، مئتان وأربعة أعدال (أكياس) من كتب الزّنادقة، سقط معها ذهبٌ كثيرٌ كانت مُحلاّةً به». والوزير حامد بن عبّاس هو الذي أمر بإحراقها.

الذّاكرة

٣١١هـ.

ـ ١ ـ

يا أبا طاهرٍ[1]،
أتُرى يمكن الدّين أن
يتقدّمَ كالنّارِ؟ ماذا
تقولُ لماء الجوارح، للحبّ،
للكلماتِ التي يتفتّح فيها
الجسَدْ؟
ما ستتركُ لِلضّوءِ في
بَصْرة الظّلماتِ،
وأيّة أنشودةٍ
ستُغَنّى غداً
لطفولةِ هذا البلَدْ؟

- ج -

لم أقُلْ مرّةً: كتبتُ وأكتبُ،
حَتّى يزولَ الشّقاءُ من الأرض.
أكتبُ كي أتواصلَ مع ذلك الذي يتأصّلُ
فِيَّ، مع الرّيحِ ـ أُمّاً لَهُ، تَتَقلّبُ عُريانةً،
في سَرير الهبَاءْ،
ولَها اللاّنهايةُ دَرْبٌ.
لم أقُلْ مرّةً:
إنّني أتَناسَلُ في رَحِمِ الأبجديّةِ
إلاّ لغير الغِناء، وإلاّ لِوجْهِ الغناءْ.

* أَتُراني أسير هبوطاً إلى آخر الجحيمْ؟
أَتَراني رجيمٌ
وأختطُّ للآخرين المسارَ الرَّجيمْ؟

(١) «دخل أبو طاهر الجنابي أمير القرامطة البصرة في ألف وسبعمئة فارس. هرب أكثر النّاس. ألقوا أنفسهم في الماء. مكث فيها سبعة عشر يوماً، يقتل الرّجال، ويأسر النساء، ويأخذ ما يختار من أموالها».

٣١١هـ.

ـ ٢ ـ

هَرب البَصْريّونَ
وأَلْقوا، مِن خوفٍ،
أنفسَهم في الماءْ
كَيْ يتآخُوا
مع لَيْل الأشياءْ.

ـ د ـ

أَنْتمي؟ لا لشيءٍ سوى الشِّعر. لا شيءَ
يُؤويكَ. سُكْنى أن تكونَ ضياعاً. وبدءٌ
أن تكونَ الختامَ ومزمارَهُ ونَشيدَهْ.

آهِ ما أبعدَ اليومَ دربَ الذين يريدونَ
أن يسكنوا في القصيدَهْ.

* غابَةٌ ذبحت طيرَها
كي تَرى في دم المذبَحَهْ
كيف يجترُّ رأسُ الطّبيعةِ ذاكرة الأجنحَهْ.

الذّاكرة

٣١١هـ.

ـ ٣ ـ

يا أبا طاهرٍ،

أنتَ من قال للناس:

عندي

زمنٌ آخرٌ كي نعيشَ على الأرضِ،

أو نسكُنَ السَّماءْ،

فلماذا، إذنْ،

يفعل القرمطيُّ كما

يفعل الخليفة:

يستعبدُ الرّجالَ،

ويسبي النّساءْ؟

ـ هـ ـ

سأغنّيكِ، أيّتُها الصّاعِقَهْ

وأحبُّكِ، إنْ جِئتِني اليومَ في هذهِ

الظّلماتِ ـ هنا، الآنَ، واشتدَّ

عَصْفُكِ في خُطُواتِي، وعلّمتِها

كيف تخرج منكِ، تُرَدُّ إليكِ،

وتُخلَق في نارِكِ الخالِقهْ.

سأعلّم جِسْمي

كيف يَجتاح زَنديْكِ، أيّتها الصّاعقه.

* نهضَ الفجرُ قبلي، ولكنْ

عندما راحت الشّمس تُولم أضواءَها

لموائدَ بين يديهِ،

أخذتنيَ في عُرْيها إليهِ.

٣١١هـ.

- ٤ -

جيشُكَ آخَرُ بين
جيوشٍ
لا تعرف غير القَتْلِ
وغيرَ النَّهْبِ:
الرّأسُ خليّةُ فَتْكٍ والأفكارُ
بُقولْ.

- و -

فوقَ صَحْنٍ من الضّوءِ، قبلَ الشُّروقِ،
ارتميتُ، وأقسمتُ أنّي
سأزورُ البلادَ التي لَمْ تُزَرْ.
قلتُ للشمس: ما زِلتُ أُبْحِرُ في حوضكِ
النَّيْزَكيْ،
(كان قلبيَ غاراً ورأسيَ مِن حدسهِ،
في جحيمٍ).

هكذا رحْتُ أَهْذِي
فوق صَحْنٍ من الضّوء، قبل الشّروقِ، وأصغي
لنداءٍ من الغيب يأتي ويذهبُ منها إليّْ.

* قَدَمُ الشَّمسِ تلمس قَنْطرَةَ الياسمين على
البابِ، أسمع بين الزّهور هَسيساً،
وأرَى مُخدَعاً
يتغطّى
بأواخرِ أحلامهِ.

- ز -

أتخيَّل أَنّي صَنعت مِن الضّوء مُهْراً،
ويَمَّمتُ وَجْهيَ شَطْرَ المدينةِ -
تلك التي لا نراها،
(قُلِ السِّرُّ تاريخُها والهُيامُ).

أتخيَّلُ أَنّي سِرتُ إليها
وليس أمامي طريقٌ.

أتخيَّلُ: أصهرُ ما كانَ في ما يكونُ،
وقل مَعدني حروفٌ
وقل أرضيَ الكلامُ.

* بلَدٌ مُقْفَلُ
جسمُهُ ذابِلٌ مقيمٌ
وشراييُنه تَرْحلُ.

٣١٢هـ.

- ٥ -

يا أبا طاهرٍ[1]،
هل أَسَرْت الحجيجَ،
نساءَ الحجيج وأبناءهم،
هل تملّكتَ أموالَهم،
ومَلّكتهم للضَّيَاعْ،
كي تُعمّرَ قَفْراً،
أو لكي تُطعمَ الجياعْ؟

(١) في هذه السنة «قتل أبو طاهر القرمطيّ خلْقاً كثيراً من الحجيج، وأسر من نسائهم وأبنائهم من اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، وتركهم في الفيافي بلا ماءٍ ولا زادٍ ولا محْمل».

الذّاكرة

٣١٢هـ.

- قِي قِياقُو!

آهِ مِن زَنْدقَاتِ[1]

الذين ينامونَ مثلَ

الذّئابِ،

ويستيقظون كمثلِ

النّعاجْ،

يقرأون الكتابَ الكريمَ

بِحَرْف الدَّجاجْ!

- ح -

أفحصُ وجهيَ في مرآتي

(مِرآتيَ ماءٌ)

وأرَى كيف يسيل العمرُ، وكيف يذوبُ،

ويُمزَجُ في مَوْج الأيّامْ

وأقول لِجَفْرِ تجاعيدي:

قُلْ لي -

أهناكَ مكانٌ في عينيَّ

لِغير سرابي؟

أَهُناكَ مكانٌ لِلأحلامْ؟

* لا أحبُّ الوصولَ إلى قاع يأسي،

لا هروباً، ولكن

لا أعودُ أرى في الوجود المحيطِ،

وما يتبطَّنُ

أحوالَهُ،

غيرَ نَفْسي.

(١) في هذه السنة، ضُربت كما يُروى «رقابُ ثلاثةٍ من أصحاب الحلاَّج، وصُلبوا».

وكان يُقال عنهم: «قي قياقو! قي قياقين! زنادقة يقرأون القرآن بحرف الدّجاج!».

الذّاكرة

٣١٣هـ.

يا أبا طاهرٍ[1]،
هل تنوّرْتَ في
الكوفةِ، اليوم، أحزانَها؟
ولماذا إذن عِشْتَ فيها ـ
اعتقلْتَ خُطاهَا
ومَزّقْتَ أردانَها؟

(١) في هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطيّ «إلى الكوفة. أقامَ فيها شهراً، يأخذ من نسائها وأموالها ما يختار».

ـ ط ـ

وَطَنٌ؟ هل أسمّيه؟ يأتي الشّعاعُ
إليهِ.
وفي عُنْقِهِ صَخْرةٌ.
وتجيء القصائِدُ مَخْنوقةً.

قِطَعٌ من حياتي
تَتناثر في كلّ دَرْبٍ،
أَتُراها تمثّل حالَ الوطَنْ؟

أَتُراها ستغدو ثقوباً
في رداء الزّمَنْ؟

* ذابِلٌ ليلُ هذا الخريفِ على النّيلِ،
والرّوح صَفراءُ لا تتحرّكُ، لا تنبسُ.
آهِ من أين صَبْرُكَ، يا أيُّها اللُّوتَسُ؟

٣١٥هـ.

يا أبا طاهرٍ،
أَسْرُكَ الجُنْدَ[1] شيءٌ
وقتلُكَ إياهُمْ، آخَرْ.

أنتَ مِن طينة الخليفَهْ
سارِقٌ بيتَه في خفاءٍ
آكِلٌ في خفاءٍ رغيفَهْ.

كلّ ما قُلتَهُ صحيحٌ
أو يكادْ. ولكنْ
ما علاقة ما قُلتَه
بما تَفعل؟
أنتَ، مثل الخليفةِ:
ماضٍ كغيرِكَ،
والضّوءُ والحقُّ
مُستقبَلْ.

- ي -

لا تَلُمْهُ، إذا كان جَدَّفَ، ـ
صَلَّى لأهوائهِ،
حاضِناً في تجاديفهِ
حلماً أو رجَاءْ.

لا يُجدّف إلاّ
من يُحبّ السَّماءْ.

* لا طريقٌ
إذا لم يكن نفيُها
طريقاً إلى غَيْرِها.

(١) في هذه السنة، «أسرَ القرامطة يوسف بن أبي السّاج أمير الجيش، ثمَّ قتلوه، وقتلوا خلْقاً كثيراً من جنده».

الذّاكرة

٣١٦هـ.

ـ ١ ـ

خَرّبَ المُوصِلاَ[1]

والمدائنَ من حولِها

ناهِباً سالباً قاتلاً.

ـ ٢ ـ

راحَ يدعو لمهديّهِ:

إنه الشّرقُ يدعو إلى

غَرْبِهِ،

البَشائرُ خضراءُ،

والنّاسُ يأتونَ

فوجاً ففوجاً إلى

حِزْبِهِ.

(١) في هذه السّنة، «عاث أبو طاهر القرمطيّ فساداً في الأرض. حاصرَ الرّحبة. دخلَها قهراً وقتلَ من أهلها خلْقاً. خرّب الموصل وسنجار. قتلَ وسلبَ ونهبَ. دعا إلى المهديّ في المهديّة ببلاد المغرب. تَفاقمَ أمرُهُ وكثر أَتباعه».

ـ ك ـ

إنّها المائدهْ، ـ

(الكلامُ حرائِقُ، والرّوح عجفاءُ،

والرّأسُ في غَيْهبٍ).

حولَها يجلسُ الغابِرُ

حولها يجلسُ الحاضِرُ،

ونَرى جذرَنا والفروعَ وأغصانَها،

ونَرى الشيخَ والطِّفلَ في صورةٍ واحِدَهْ، ـ

إنها المائدهْ.

* عقله مُخطئٌ

وكرسيُّهُ مُصيبٌ:

البلادُ انحناءٌ لَهُ،

ولدولابِهِ.

ـ ل ـ

نَخلةٌ حَضَنَتنِيَ، كان المغيبْ
يَنْحني فوقَ سُلَّم إيقاعِهِ.
وجَلستُ أُسَامِرُ أغصانَها
في ضياءِ هلالٍ
وَشّحته غيومٌ لم تُفارق تَقاسيمَهُ.
وأخذتُ أقصّ عليها
بلداً ليس فيهِ
مَن يُسائلُ أو مَنْ يُجيبْ.

هَل كلامي عَصيٌّ على الفَهْمِ،
هل من سؤالِ
أيُهذا الهلالُ الغريبْ؟

* مَا الَّذي يتغيَّر فيَّ؟ تُراني
لم أعد أعشقُ الشَّيءَ، بل وَهْمَهُ؟
ناشِراً هكذا شِراعَ رحيلي
في محيطاتِ ظَنّي.

الذّاكرة

٣١٦هـ.

مُؤنِسُ الخادِمُ[1]
عائِدٌ، رافعاً نَصرَهُ
بيرقاً عالياً،
ويُصفّقُ للنَّصر
جاهِلُ بغدادَ والعالِمُ.
يتقدَّم ـ أَسْرَاهُ
كُثْرٌ
نَكّسوا كلَّ أعلامهم،
كاتبينَ عليها:
«ونُريد أن نمنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض».

(١) في هذه السنة «انكسر القرامطة. هزمهم مؤنس الخادم. أسرَ طائفةً كبيرةً من أشرافهم. دخل بهم مدينة السّلام وأعلامهم منكّسة كُتبَ عليها: ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض».

٣١٧هـ.

ـ أَلْمُرادُ: الجلوسُ على العَرْشِ[١].

ـ كلاًّ، المُراد الشَّفَاعَةُ.

حربُ

بين رأيين ـ فِقْهيْنِ.

قَتْلى.

إنّها آفة الفِقْهِ:

يجعل من كل حَرْفٍ

في الشريعةِ

سَيْفاً

وسِجناً.

- م -

عَلِّمينا هَواكِ، خُذينا لأحضانكِ الحانيهْ

أنتِ، يا هذه الهاويَهْ.

ينبغي أن نسائلَ معناكِ

عن طينةٍ ثانيهْ،

كي نردَّ إلى الأرض أزهارَها

وأشجارَها

وينابيعَها،

ونردَّ إلى النَّاسِ أشكالَهُمْ.

* الإنسانُ كلامٌ

خيرٌ أن يتناثرَ تِيهاً

في دَفْترِ حبٍّ.

(١) الإشارة إلى فتنةٍ وقعت في بغداد بين طائفةٍ من العامّة، وأصحاب أبي بكر المروذيّ الحنبليّ، لاختلافهم في تفسير الآية. «عسى يبعثك ربُّكَ مقاماً محموداً».

وقيل: «مات في هذه الفتنة خلْقٌ كثير».

الذّاكرة

٣١٧هـ.

ـ «اقتلوا[1] ذلك المسمَّى

أميراً،

حرّروا مكّةَ

من خُرافاتِهِ.

اقتلوا أهلهُ،

واقتلوا جندهُ ـ

اهدموا الكعبةَ:

الطّيورُ الأبابيلْ

آوت لأعشاشِها،

وحجارةُ سِجّيل

رمْلٌ.

«أنا لِلّه، وباللّه أنا

يخلق الخلقَ

وآفنيهم أنا».

ـ ن ـ

إنْ أتَى، يا ينابيعَ حبّي

مَنْ يُسائلُ عنّيَ، قولي:

مَرَّ مِن ها هُنَا

لم يَبُحْ بِاسْمِهِ،

ولم يتوقَّفْ.

عَالَمي؟

إنه خُطواتي

نَحْوَ ما لا أرى كيف يأتي،

ولا أينَ يَمْضي.

* ليس في العقل سِرٌّ

إذا لم يكن نشوةً.

(١) الكلام للقرمطيّ الجنابيّ، مشيراً إلى الحُجّاج. والبيت الأخير يُنسَب إليه.

٣١٨هـ.

- ١ -

بعد أَنْ عَزلوهُ[١]
أَحْرقوا دَارَهُ:
تكتبُ النّارُ ما يَعْجزُ
الجِبْرُ عنهُ،
فلَها جِبْرُها
ولها خَطُّها
ولهَا ورَقٌ تتقلَّبُ
فيه البلاغْ
بين عَزْفِ الرّياحِ
وأنشودة الرّمادْ.

- س -

لِتَجِئْ كلُّ تلك البراكينِ، مِن أوّل الأرضِ،
مِن آخرِ الأَرْضِ، وَلْتَتَفَجَّرْ
فوقَنا،
فوق سُلْطانِنا والعروشِ التي
تَتناسَلُ فيهِ،
تتناسَلُ مِنهُ.

ما الذي تخسَرُ الأَرضُ
إنْ لَفظَتْ قَيحَها؟

* قَدمُ الضّوءِ تَسخَرُ من كلّ قَيْدٍ،
ومِن كلّ حدٍّ.

(١) الإشارة إلى الخطّاط المشهور عليّ بن مقلة، وكان وزيراً للمقتدر. مات ابن مقلة سنة ٣٢٨هـ في السّجن، بعد أن قُطعت يده اليُمنى، وقُطع لسانُهُ.

٣١٨هـ.

- ٢ -

قطعوا يَدهُ واللّسانَ[1]:
لماذا الكتابَةُ، ما
شأنُها؟ ولِمَ الخَطُّ
والنُّطقُ؟ يهربُ
في زِيّ مُكْدٍ
أو بزيّ امْرأةْ -
وإلى أين؟
يُطرَحُ في السِّجْن.
للموتِ. لا نطْقَ:
ألفاظُهُ تمتماتٌ
وإعرابُهُ مومأةْ.

- ع -

أتقدّمُ في ظُلماتِ المعنى
في عيد المَوْجِ، وأرسمُ دون حدودٍ
شُطآنَ المعنى.

أَتطوَّحُ في هاوية المعنى
طفلاً يلهو
ويُدَحرجُ مِلْءَ هَواهُ
كُرةَ المَعْنى.

* لا اكتشافٌ ولا ذُرواتٌ
دونَ رَفْضٍ وهَدْمٍ.

(١) الإشارة إلى ابن مقلة

وقد سُئِل عبد الله بن الزنجيّ الكاتب.

- ما تقول في خط ابن مقلة؟

قال:

- «ذاكَ سبيٌّ قبيح. أُفرِغ الخطُّ في يده، كما أوحي إلى النّحل في تسديد بيوته».

الذّاكرة

٣١٩هـ.

ـ ١ ـ

مُؤْنِسٌ[1] يتولّى
شؤونَ الحجيجِ،
يَسيرُ إلى مكّةٍ
في كثيفٍ من الجيش.
خوفاً أن يَصيدَهُم
القِرْمطيُّ
نَهجوا في المسِيرة
نَهجاً خَفيُّ
في شِعابٍ وأوديةٍ
لم يزرْها
أحدٌ قبلَهم.

(١) خادم الخليفة المقتدر.

ـ ف ـ

لِمَ لَمْ يفهموني؟
لا أُطالب بالمُلكِ. مُلْكي
أن أردَّ إلى الأرضِ فِطْرةَ إبداعِها ـ
الأرضُ بيتٌ
ليس فيه عبيدٌ ولا سَادَةٌ،
ومُلْكي
أَنْ أسائلَ نفسي:
مَنْ أنا؟ ولماذا؟
سُمِّيَ المتنبيّ شَبَحٌ فِيَّ؟ شَمْسٌ
لا تُصدّق حتى قَناديلَها.

لِمَ لَمْ يَفْهموني؟

* زهرةٌ
تشربُ الخمرَ مِن جَوْفِ نَجْمٍ.

٣١٩هـ.

ـ ٢ ـ

فاجأَتْ مؤنِساً
عجائبُ، قالوا
لم يروا مثلَها:
عِظامٌ ضخمةٌ لذكورٍ
وإناثٍ، جميعاً
مُسِخوا في حجارَهْ
لا تُطيق العبارَةُ
وَصْفاً لأحوالهم،
ولا تصدُق العبارَهْ.

ـ ص ـ

وردةٌ تتنهَّدُ، كفَّاي طَلٌّ
يتقطَّر مِنْها.
تتنهَّدُ: آهاتُها
أَرَجٌ صاعِدٌ.
تتنهَّدُ ـ فيها
يتكثَّفُ صيفُ الحياةِ الخريفُ الشّتاءُ
الرَّبيعُ، ويجنح كلٌّ إلى حلمِهِ،
وإلى بيتِهِ.
وردةٌ تتنهَّد، ليتَ السَّماءْ
تنحني كي تلامسَ هذا البَهاءْ.

* آهِ، لو شعلةٌ مِن شُواظِ التمرُّدِ.
لو شعلةٌ واحِدَهْ
تتوهَّجُ في هذه الأبديّةِ، في أرضنا الباردَهْ.

- ق -

إنّها وَحْدتي -
لا لأنّيَ شَيَّخْتُ تزدادُ عمقاً.
لا لخسرانِ ما كنتُ راهنْتُ أنّي
سأرفع راياتهِ.

لا لحلمي - أسيراً
لوقائعَ من كلّ طينٍ.

وَحْدتي أنّيَ المبعثَرُ في هذه الفَلاةِ
التي سُمّيت حياةً.

* ألغيومُ
تقصُّ
على ماءِ عينيَّ صَحْراءَها.

الذّاكرة
٣١٩هـ.

- ٣ -

حملوا ما استطاعوا
وجاؤوا بهِ للخليفة
كي لا يكذّب ما
شاهَدوهُ،
وقالوا:
إنّهم قَومُ عادٍ
أو شُعَيْبٍ،
وقالوا:
ربّما من ثَمُودٍ.

٣٢٠هـ.

- ١ -

جاءَهُ[١] مُؤنِسٌ
وبقيّةُ غِلمانِه.
أخرجوه، أخرجوا أُمَّهُ
وأولادَهُ،
وقالوا: سنُتابِعُ
مِن بعده أخَاهُ.

فَشلوا،
جاء أعوانُه
وأعَادُوا لهُ عَرشَهُ.

- ر -

رُبَّما كنتُ في حاجةٍ
لِأُقدِّمَ قُرْبَانَ تَقْوى
لِسلطانِنا، ولكن
أَتُراهُ سيَرْضَى ويَعفُو،
إن ضَعفْتُ، وتُبْتُ، وأعطيتُه طاعتي
وذبحتُ خروفاً لَهُ؟

سأقولُ لِرُفضي
أن يُفكِّر في أَمْرِهِ.

* أخذَ اللَّيلُ آخرَ ما يعرف الفجرُ عَنّي،
مَن أنا الآنَ؟
لا الفجرُ بيتي، ولا اللَّيلُ مِنّي.

(١) الإشارة إلى الخليفة المقتدر.

٣٢٠هـ.

- ٢ -

فقهاءٌ يرفعون المصاحفَ
والنّاسُ من حوله.
قالَ: مَنْ جاءني برأسِ
فله خمسةٌ[1].
ومَنْ جاءني بأسيرٍ،
فلهُ عشْرةٌ.

- ش -

قلتُ، فيما أُسائِلُ نفسي، تُرَى
هل تكونُ ليَ القاهِره
أُفُقاً آخراً، وهوىً آخراً -

ونسيت الرّياحْ.

ربّما ينبغي الآنَ في هذه اللّحظة الماكِرَهْ
كي أُجيبَ،
وكي أَسْتجيبَ لِظنّيَ، أن أسألَ الجِراحْ.

* لا أرَى النُّور بيتاً،
أراهُ رحيلاً.

(١) خمسة دنانير، والكلام للخليفة المقتدر، يخاطب أنصاره مشجّعاً إياهم على قتل خصومه، وقطع رؤوسهم، ووضعها بين يديه.

الذّاكرة

٣٢٠هـ.

ـ ٣ ـ

حشدُ جندٍ يقودهُم

مؤنِسٌ.

هجموا، طوّقوهُ:

ـ أأنا، ويلكم؟

ـ أنتَ إبليسُ،

فاسجدْ.

ذبَحوهُ،

قطعوا رأسَهْ،

رفعوهُ فوق الرؤوس،

ابتهاجاً.

ـ ت ـ

أَقرأُ النّيلَ، فيما يَنامُ

على ساعدِ السَّماءِ، وأسألُ:

ما أنتِ يا هذه السَّماءُ

وماذا يُؤالِفُ ما بينَنا؟

ولماذا،

عندما أتنوّرُ مَسْراكِ

يَسْودُّ وجهُ الفضاءْ؟

* زمَنٌ يأخذ الأرضَ من عُنْقِها
يتقدّم في جُثَّةٍ
ويُحبُّ التنكُّرَ في شَكْلِ جِنٍّ.

٣٢١هـ.

ـ ١ ـ

ـ «طيّنُوا الحائطَيْن عليهِ[١]،
وهو حَيٌّ، ولكن
أَكْثِروا الكِلْسَ.
هَيّا، واذبحوا ابْنَ
بُلَيْقٍ»[٢].

ذَبحوهُ،
وضعوا رأسه
فوق طَسْتٍ
أمام أبيهِ[٣].

ـ ث ـ

منذ أن سَكنَ الحبُّ قَلبيَ،
لم يُنْزِلِ اللَّيلُ
عن كتفيَّ
حقائبَ أَسْفارهِ.

أَلهذا،
نهضَ النِّيلُ كي يَشْربَ، اليومَ،
عنديَ شَايَ الصَّباحِ،
بلا مَوْعدٍ؟

* إنه الضّوء يجهلُ أَسرارَ ليلي،
وأنا عاشِقٌ جَهْلَهُ.

(١) الإشارة إلى ابن المكتفي.

(٢) عليّ بن بُلَيْق.

(٣) بُلَيْق. وكان القاهر بالله هو الخليفة آنذاك، أبطلَ الخمر والغناء، «ونفى المخانيث وكسر آلات اللّهو. وكان مع ذلك لا يصحو من السُّكْر، ولا يفتر عن سماع الغناء».

(١) الإشارة إلى ثليّق.

- خ -

عتَبَاتُ الأزقّةِ في حيِّنا
حجَرٌ من حنينٍ
حجَرٌ من بُكَاءٍ،
والنَّوافِذُ منقوشَةٌ بالغضَبْ.

آهِ، مِن أين تأتي لوجهي
إلى أين تمضي بقلبي،
يا رسولَ التَّعَبْ؟

* زمنٌ عنكبوتٌ
يلمُّ الخيوطَ من الشُّعراءِ،
وينسج للأرضِ قُمصانَها.

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ٢ -

حين قَبَّل رأس
ابنِه،
باكياً،
ذَبحوهُ[١].

- ٣ -

آخذوا مُؤنساً
وضَمّوا لرأسيهما
رأسَهْ.

- ذ -

عند خُوفُو، قُبيلَ التقاءِ النُّجومِ
بأحبابِها، أَمْسِ،
أَحْسَسْتُ أنّ السَّماءَ سَتُوقِعُ
فِيَّ،
وَخُيِّلَ أنّ النّجومَ كَمثلِ الشِّبَاكْ.

صِرْتُ أرنو إلى النُّور يَلْتَفُّ
حَوْليَ خيطاً فخيطاً،
وألمسُ في كلِّ خَيْطٍ ملاكْ.

* إنه الحبُّ يمشطُ رأسَ الفضاءِ،
ويُجْلس تاريخَ يأسيَ في حضْنهِ.

الذّاكرة

٣٢١هـ.

- ٤ -

طوّفوا بالرؤوسِ
الثّلاثةِ،
مُستبشرين:
«الصّلاةُ على الأنبياء
وأصحابِهِمْ،
والسّلامْ
إنّ هذا جزاءُ
لمن ينقض العهدَ،
أو من يخونُ الإمامْ».

٣٢١هـ.

ها هُو الحجَرُ
الأسودُ ـ اقتلَعوهُ[١]،
وساروا إلى دار
هِجرتهم في هَجَرْ.

أربعونَ بعيراً
في الطّريقِ تنوءُ
وتهلك مِن ثِقْلهِ.

بعد عشرين عاماً،
عندما أرجعوهُ،
سَمُنَتْ ناقَةٌ
حملتْه،
وتغيّر شَكْلُ القَمَرْ!

(١) في الأخبار أنّ القرمطيّ «لـمّـا أخذ الـحجـر الأسـود، هلَك تحته أربعون جملاً، من مكّة إلى هجر.

ولمّا أعيد، بعد عشرين سنة، حُمِلَ على قَعُودٍ هَزيلٍ، فَسَمُن!».

- ض -

لا أُواجِهُ دَهريَ إلاَّ
هازِئاً مِن بقاءٍ
كمثل الرَّحيلِ، وأعني
هازِئاً من رحيلٍ
كمثل البقاءْ.

مازجا صَخْرتي بالهواءِ
وقَهْقَهتي بالبُكاءْ.

* لِلسَّماء التي أتحرَّكُ في ظِلّها
كَتِفا نَاقةٍ.

٣٢٢هـ.

ـ ١ ـ

إبْن بُويْهِ[١] يأخذُ فارسَ، هذا بدءٌ لِسيادة آلِ بُويْهِ.

صُعلوكٌ يعرف كيف يَسُوسُ الدّنيا.

ـ ٢ ـ

كان بويهٌ[٢] صُعلوكاً، فَرأى في النَّوم كأنَّ عموداً من نارٍ يخرج منهُ. ورآه تشعّبَ حَتَّى مَلأَ الدُّنيا.

ـ ظ ـ

فَرَّ قلبيَ منّي
لِيخفقَ في غير جسميَ، لمّا
هَبطْتُ إليها،
وأوغلتُ فيها،
وأوغلَ في كَبِدي سِرُّها.

آهِ، ماذا أسمّي بلاداً
لم تَعُدْ تنتمي إليَّ،
ولا أرضَ لي غيرُها.

* ليس هذا الضجيجُ هديراً
لعواصفَ، أو ثورةً لموجٍ.
إنّ هذا الضّجيجَ حَفِيفٌ لخمائلِ أفكارهِ.

(١) عليّ بن بويه.

(٢) قال الإمام السيوطي («تاريخ الخلفاء»):

١ ـ «كان بويه فقيراً صعلوكاً يصيد السّمك رأى كأنّه بال، فخرج من ذكرهِ عمودُ نارٍ ثم تشعّب العمودُ حتّى ملأ الدّنيا. فَفُسّرت الرُّؤيا أنّ أولاده يملكون الدّنيا».

٢ ـ وقال الإمام السيوطي عن عليّ بن بويه:

«قلّ ما عنده من المال، فنام على ظهره، فخرجت حيّة من سقف المجلس، فأمر بنقْضه فخرجت صناديقُ ملأى ذهباً».

الذاكرة

٣٢٢هـ.

- ٣ -

قالوا في تفسير الرُّؤيا:

«سيكونُ لآلِ بُويْهِ

سُلْطانٌ

وسيملأ هذا السُّلطانُ

الدّنيا».

- ٤ -

بين السَّيفِ وفِقْه الرّؤيا،

يتدفّق ماءُ العرشْ،

وطريقُكَ: إمَّا هذا الكرسيُّ،

وإمّا هذا النَّعْشْ!

- غ -

كلَّ ليلٍ، أحاولُ أن أتقرَّى

طُرقاتٍ، منائِرَ، دُوراً،

زوايا

لأرى كي تُولَدُ أشواقُها

ونيرانُها.

لا أشيرُ إلى فتنةٍ

أو إلى ثورةٍ

أو إلى شهوةٍ عابره،

بل أُشِيرُ إلى القاهِرهْ.

* أيُّها الطيّبُ الجدولُ،

لا طريقي طريقكَ، والماءُ - هيهاتِ

أن يرويَ الرَّملَ، والعابرونَ

هوىً آكِلٌ وهوىً يُؤكَلُ.

٣ - وقال الإمام السّيوطي: «ركب يوماً فساخت قوائم فرسه، فحفروا فوجدوا كنزاً».

استولى على بلاد فارس، وخرجت خُراسان وفارس عن حكم الخلافة.

هوامش
(يوميّات المتنبّي)

IV. فلك

١ ـ إمكان

أتخيَّل بغدادَ، لكنّني أُحيّي
حلباً، وأحيّي
كوفةَ الثائرين ـ الأزِقّةُ مَحْشوَّةٌ
بالبكاءِ وبالموتِ، رأسٌ

يتدحرجُ. صدرٌ
ثَقَبَتْهُ الرِّماحُ. دماءٌ
تتحوّلُ غَزْلاً، وتُنْسَجُ للأفْقِ منها ثيابٌ.

هل ستُصبح، يا أيُّها الأفْقُ، بُوقاً
أم ستُصبح مرثيَّةً؟

يمكن الفكر أن يُطفئ الآنَ مصباحَهُ
كي يسيرَ على هَدْي تاريخهِ.

يمكن الآنَ أن تتحوّل شمسُ الغروبِ إلى بُومةٍ.

٢ ـ غَزْو

كنتُ أَصغيتُ يوماً لِصمت الفلَكْ
مُوحِشاً، فاتِناً.
قلتُ للجسم: آنَ الأوانُ لتعلوَ كالطّيْرِ،
تُصغي لِآهِ الملائكِ في خِدْرها.

فجأةً، يخرقُ الصّمتَ صوتٌ
يُوَشْوِشُ: لَبّيْكَ،
ها أنتَ في مُخدَعي، هَيْتَ لَكْ.

هكذا رُحْتَ تَغْزُو الفلَكْ!

٣ ـ أسئلة

هي ذي تَعبسُ، تَسْتَلْقي، وفي أَهْدابِها
شَزَرٌ أعمى. لماذا
كيف تُغويك، وتَسْتَنْفِرُ أحشاءكَ هذي الأنجمُ؟
ولماذا
تَنْفرُ الخاصرةُ البيضاءُ في جِسّك؟ والشَّعْرُ ـ لماذا
شَعرُها يَحجب عينيكَ، ويَسْترسلُ زهواً؟

ربّما في ذلك المصباحِ، في مِشْكاتِهِ
بين أوراقكَ، في دفترِكَ الطَّائرِ من حِبْرٍ لِحبْرِ
أُفقٌ آخَرُ ـ فيهِ
يكشفُ المجهولُ عن أَبعادهِ
وَيُضيءُ المظلِمُ.

٤ ـ دعوة

نَثَرت بغدادَ في كلِّ مكانٍ
وبنت تاريخَها
كَلماتٍ ودماءٌ ـ
أَفلَنْ تَفْصلَ بغدادُ هواهَا
عَن تقاليد خُطاها؟

أفلن يعلوَ صوتُ اللّه في ثورة مَسْروقٍ
على سارقهِ،
بدلاً من مِئْذنَهْ؟

أُضْمِرُ الآنَ هوىً حرّاً وأَدعو
ذلك الشَّاعرَ في عزلتهِ،
أَنْ يُعْلِنَهْ.

٥ ـ الغصن

فقراءٌ: رَمْلُ هذي الأَرْضِ مسكوبٌ على أَهْدابهم،
وَمجَرّاتٌ مِن القَشّ تؤاسي زَرْعهم.

كلُّهم يَمْضي ويأتي
حامِلاً تابوتَهُ،
موغلاً في غابة اليأسِ.
يعيشون حيارَى
بين سلطانٍ يُعمِّيهم، ودينٍ
يقتلُ الرّغبةَ في أجسادهم.

غُصُنُ الحُلْم على أهدابهم مُنْكَسِرٌ.

٦ ـ عَرّافة

لا تَقُلْ لِلنُّجومْ
أنتِ نورٌ. ضياءُ المجَرّاتِ مِن أدمع الشَّمسِ ـ
هَذي التي
تغسل الآنَ في جُرْحِها
راحتيها
من دماء الذين يُساقون للذَّبح في ضوئِها.

قُلْ لتلكَ النّجومْ
لستِ إلاَّ تراباً
لستِ إلاَّ صدىً.

وَاصْطحِبْ في مسيركَ نَحو المجاهيلِ
عَرّافةَ الغيومْ.

٧ ـ عجباً!

عجباً! أَلخليفةُ يُصبح في ليل بغدادَ في شمس بغدادَ،
هِرّاً.
عجباً! شعراءٌ
يَسْهرونَ عليهِ، سُكارَى بهِ.
عجباً! كلُّ رأسٍ وِسادٌ لَهُ.
عجباً! في الأزقّة، في كلِّ بيتٍ مُواءٌ
لِلتّعاطُفِ مع ذَيْلِهِ.

عجباً! رأسُهُ
يتحوّلُ في كلّ رأسٍ كتاباً
لِأساطيرَ من كلّ إِفْكٍ.

عجباً! لا مَكانٌ
لِغير اسْمهِ،
ولغير تعاليمِهِ.

٨ ـ قراءة

للمكانِ، كما رسمَتْهُ أساطيرُ هذا الزّمانِ، نيوبٌ.
وَلَهُ آلَةٌ تَقْرأُ الطّينَ. هذي
يَرَقاتٌ مِن الشَّحْم والرَّمْل يَنْثُرْنَ
ألآءَهُنَّ على خَصْرِهِ.

أَضَعُ الآنَ صَحْناً،
أضع الآن في الصَّحْنِ رأساً، وأسألُ:
أينَ المَلاكُ الذي يَتَجَرَّأُ
أن يقرأَ اللّهَ في طينِهِ؟

٩ ـ حُلْم

أسألُ الماءَ متى يطفو عليهِ
وجهُ تاريخي، وأَسْترسلُ في اسْتِفْسارهِ
عَن هَوى آدمَ: هل يَهْفُو لطوفانٍ جديدِ؟

وَعَنِ الفُلْكِ الذي يَصنعه الشِّعرُ،
لِينجو مِثْلَ نُوحٍ.

شُرَطيٌّ زاحِفٌ خَلفي. أغنّي
زاحفاً خلفَ صباباتي،
على الضّفّةِ، مِثْلَهْ.

كنتُ سكرانَ على ضِفّة دِجْلَهْ.

١٠ ـ أسطورة

أَلجميلةُ تَسْتيقظُ الآنَ في دِجْلةٍ.

أَلجميلةُ عرشٌ على الماءِ يَمْضي إلى سِرّهِ.
أَلجميلةُ تَستودع الحُبَّ أشلاءَها
وأسرارَها.
أَلجميلةُ مالَتْ على خَصرها
كي تودّعَ في الماءِ مِرآتَها.

أَلجميلةُ تُولَدُ من أَوَّلٍ
في طفولةِ أيَّامِها
في هوَى الرّافدَينْ
في الهواء وما بَيْنَ بينْ!

أَلجميلةُ ـ آهاً،
أَتُراني أُحدِّث نفسيَ عن خَوْلةٍ؟

V

أمسِ جَدّتك الأبجديّة الرّمل جدُّك الآن
ولكَ حيض الصّحراء
لماذا تنكر أحوالك وتولول بِاسْم اللّه كمن يتسلّق
جذعَ نارٍ أو يسبح تحت ذيل الحبّار لا أثَرَ
الأثرُ كلُّه لوقتٍ يجري جريانَ سائلٍ كأنّه مَنِيُّ أتانٍ
حُبلى

أين جسر الجحيم لِنَتّكئ ونعبر؟

جيم:
ما أقسى،
لكن ما أكبر أن تحبَّ الكلَّ،
وَألاّ يُحبَّك أحد.

عين :

جرثومة فضائيّة تبتكر حُمَّى الشّعر .

ألف :

محيطٌ يلتهم شواطئه .

ميم :

فراشةٌ تحاول عبثاً أن تحمل وردةً ذابلة .

عصركَ دونَ خطواتهم ضَوءٌ لكنَّه حُباحِب

ذهبيٌّ لكنه ذبابٌ

لا بُدّ

لا بُدّ

تأخذ الفراغَ بيتاً وتستكمل السُّقوط

تَرى حشراتٍ لها أنوفُ الكواكب

تَرى التّرابَ يَتَرضْرضُ ويتبجَّس دماً

تَرى جدراناً تلتهم البشرَ

تَرى إلى الكلام يتدفَّق جُثثاً من الحناجر .

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

سُمِلت عيناهُ[1]. وقالُوا:

سالت عيناهُ

على خدّيه!

ما أصغرها ـ بغداد

اليوم،

تروحُ وتأتي

مِثلَ الدُّمية فوق يدَيه!

ـ أ ـ

هُوذَا النّيلُ: تاريخُهُ ومِعراجُهْ

شغَفٌ واحدٌ

وحدةَ الجَفْنِ والجَفْنِ في مُقْلَةٍ.

هُوذَا النّيل، هذا سريرُ الفتوحاتِ

هذي صَباباتُهُ.

وأظنُّ: الزّهورُ التي تَتخاصَرُ في الظلّ،

تقرأُ لِلتُّرْبةِ المثقلَهْ

بِفُصولِ مواعيدِهِ،

مَوْسِمَ النَّشوة المقبلهْ.

* مركبٌ عاشِقٌ

رسمَ الحُلْمُ شطآنَهُ:

حبُّه، في الطّريقِ إلى بيتِهِ، خانَهُ.

(١) الإشارة إلى الخليفة القاهر.

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

- ١ -

ضُرب الشّلمغاني[١]

ثمانين سَوْطاً،

بعد هذا

ضُربت عُنُقُهُ.

- ٢ -

أيّها الثّائرُ

يسألُ الفكرُ فيك،

ويَسْتَفْسِرُ الشّاعرُ:

خَلَقَتْ شَعرَها السّماءُ

ما الذي ستقولُ لها

الأرضُ، هذا المساءُ؟

(١) ذُكر سابقاً في «الكتاب».

وهو محمد بن علي، أبو جعفر الشلمغاني. ادّعى أن اللاّهوت حلّ فيه، ويقول: «إن اللّه يحلّ في كل إنسانٍ على قَدْره».

أفتى علماء بغداد بإباحة دمه. فقتله الخليفة الرّاضي باللّه، وأحرق جثّته.

يُعرف بابن أبي العُزاقر، وإليه تُنسب الفرقة «العُزاقرية».

- ب -

كَبِدُ النّيلِ في خَلْوةٍ

مع دفاترِ بَرديّهِ.

أتأمّلُ في زَهْرةٍ لُوتَسٍ

تَسْتَحِمُّ،

وها هِيَ، في خِفْيَةٍ،

تُجَفِّفُ منديلَها.

عُنُقُهَا مائِلٌ إليَّ، تُراها

تتساءلُ: مَنْ ذلك الغريبُ

الذي لا يزال الرَّحيلُ فراشاً لَهُ؟

* سوفَ يأتي زمانٌ، يقول ليَ النّيلُ،

يأتي زمانٌ

يتحوّل فيه المكانُ إلى دَرَجاتٍ

لصعودِ المحبّين صوبَ أَقاصِيهِمُ.

الذّاكرة

٣٢٣هـ.

- ١ -

قُتِلَ الدّيلميُّ[1]

الذي كان يزعمُ:

روحُ سُليمانَ فيه،

وسُليمانُ ثَوْبٌ لَهُ.

- ٢ -

تخرج الرُّوحُ من جسمِها،

وتدخلُ في آخَرِ:

لِمَ هذا التنقّلُ، هذا السَّفَرْ

أيّها الرّوحُ، في ما

تَذمِّينَهُ وتُهينينَهُ

وتقولينَ عنه

إنَّه موطِنٌ لِظلام البَشَرْ؟

- ج -

تهبط الشَّمسُ، هذا الصّباحَ، على النّيلِ

فَلاَّحةً،

يتغنَّى بِأهدابِها وبأَردافها

زهَرٌ أحمرٌ أبيضٌ،

لا يُجَمْجِمُ، لا يكتمُ.

وتَميلُ لَهُ الضفَّتانِ، ويَسْري

في جوانحِ بَرْديّها ارتعاشٌ.

المسافاتُ سَكرانَةٌ

وتضاريسُها تحلمُ.

* كلَّ يوم أرَى النّيلَ في حُلَّةٍ
غيرِ تلكَ التي كنت شاهدتُها،ـ
آهِ ما أعجبَ الطِّرازَ الذي يتخيَّر خيطانَها
وألوانَها.

(١) هو مرْداويج، وكان يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه. وقيل كان يجلس على سرير من ذهب. قتله بجْكَم أخَصُّ مماليكه.

وبجْكم هو الذي استنقذ الحجر الأسود من القرامطة.

اشتراه بخمسين ألف دينار.

الذّاكرة

٣٢٤هـ.

- ١ -

جُثَثُ الموتى
تَتناثَرُ في الطّرقاتْ
والنّاسُ شتاتْ.

- ٢ -

علّمتنا تجاريبُنا:
كلُّ ربٍّ إذا لم يكنْ
سلطةً أو رغيفاً،
ليس إلاّ تُراباً.

- د -

أَوْمأَ النّيلُ، قالَ اتْركُوني
في فُلْكِ حبّي،
وأنا لا أُعلّمُ، لكنّني أُلْهِمُ.

بيتيَ الطّينُ، ميراثيَ الأنجمُ.

غيرَ أنّ زماني غريبٌ
كتفاهُ سماءٌ
وخُطاهُ دَمُ.

* أسَرَتْني خفاياكَ يا نِيلُ،
والوقت يُولم أشجارَهُ
لأعاصيرِهِ،
والمدائِنُ فِيَّ انْشِقاقٌ.

الذاكرة

٣٢٦هـ.

يا أبا طاهرٍ[١]،
فُرْقةٌ في جنودكَ،
بعضٌ يُهارش بعْضاً.
وثمّة قَتْلى.
أترى كيف يلْتهم
الثائرين الخلافْ
على المُلْكِ والمالِ؟
وانظرْ: ها هُوَ
الفقر ما زال
يشْحَذُ أعضاءهُ
كي ينامَ على جرحهِ،
حاضناً ما تفتَّتَ
من خُبْز أحْلامهِ.

(١) أبو طاهر القرمطيّ.

ـ هـ ـ

طِينُ أجدادِنا البَابِليُّ على النّيلِ:
في القلب غيمٌ، وفي الغيم نارٌ.

أعْرِبوا أَعْرِبوا، فأنا المُعْجِمُ.

ما أقولُ لقومي
وأنا فيهمِ بهمِ مِنْهُمُ؟

يا لَقلبيَ مِن طائشٍ:
أَلحقيقة في نبضهِ
وهو لا يَعلَمُ.

* إنَّ لِلَّيلِ كالنّيل شُطآنَهُ
ولَهُ سفنٌ جارياتٌ،
وله لغةٌ في الحَنينِ وأمواجهِ السَّاهره،
نَهَرٌ آخَرٌ هو اللَّيلُ في القاهِرَهْ.

٣٢٩هـ.

ـ ١ ـ

قتلوا بَجْكَماً،
والغلامَ[1] الذي كان
يحملُ أَسْرارَهُ.

ـ ٢ ـ

آهِ من ليل تاريخنا:
ليس في أرضِنا
غيرُ شَخصيْن ـ إمَّا
قاتِلٌ أو قتيلٌ.

(١) كان اسمه بَكْبَك.

ـ و ـ

صورةٌ للطفولةِ ـ محضونةً
بعذاباتِها
في الأزقّةِ، قَلبي كليمٌ لها.

وحنوتُ عليها كأنّي أبٌ
ومشينا مَعاً، وهمَسْنا للزّمان بأوجاعِنا
تارةً وجَهَرْنا بها تارةً
ومزجنا بآهاتِنا شمسَنا ومزاميرَ أضوائِها،
والبلادَ وهَوْلَ الظَّلامْ.

آهِ، كم يُوجِعُ الكلامْ.

* ما أطيبَ أن نَسْتَلْقي
شِعري وأنا، عندَ النِّيلِ،
ونشربَ صَفْوَ دموع
عَتَّقناها.

٣٣٠هـ.

- ١ -

منجنيقاتُ بغدادَ
منصوبَةٌ:
الخلافةُ أُضحوكةٌ
والقُرى والمدائنُ
نَهْبٌ وقَتْلٌ.

- ٢ -

كيف لم يفهمِ الذين
يسيرون في موكبِ
الخِلافَهْ.
أنّها مَرضٌ في الحياةِ
وفي العَقْل، أو أنّها
لم تكن، غالباً، تحت
فَيْءِ الحقيقةِ،
بل تحتَ فَيْءِ الخُرافَهْ؟

- ز -

مَسجدٌ، سَاحَةٌ ـ طيورٌ
تتناثَرُ فيها.

عاشقانِ يطيرانِ في زَهْوِ رِيشيْهِما
في عناقٍ طويلْ
بين أحضانِ هذا الزّمانِ البخيلْ.

كيف، مِن أين جاءت إلى النّيلِ
هذي الثّلوجُ التي تتساقَطُ
مِن كلّ صَوْبٍ؟

* أتخفّى (أحلمُ أن أتخفّى)
في أحضان النّيل، وأعرفُ
كيف يكونُ الماءُ رسائلَ حبٍّ.

٣٣١هـ.

- ١ -

كَثُر الرّافضونَ
ببغدادَ، في كلّ حيٍّ
أثرٌ منهمُ:
يُولمون لآيامهم
ولأتراحها
شَهوات الجسَدْ،
وَيُضيئونَ ليل الأبَدْ.

- ح -

أَسْأَلُ النّيلَ مِن أين يأتي
بهذا البَهاءْ،
وَهْو مُحْتَبَسُ الضّفّتيْنِ،
أسيرُ جِداريْهما؟
فأرَى صوتَهُ ـ لا كلاماً
بَلْ هسيساً غريباً
يَسيلُ على الأُفْقِ جِبراً،
يُذوّبُ فيه اللّغاتِ،
ويرسمُ لي صورةً في الهوَاءْ.

* هَيّأ النّيلُ إبريقَهُ
لِيقدِّمَ شايَ الصّباحِ إلى أختهِ،
أختُه الشّمسُ، في كلّ فَجْرٍ،
تقصُّ عليه رؤاها.

الذّاكرة

٣٣١هـ.

ـ ٢ ـ

أنظرْ الآنَ في
كَبِدِ الأفْقِ، في وجْه
بغداد: للرّفض قرْنانِ
والأرض حُبْلَى
بأساطيره ـ

بطيورٍ من النّار
تجهل من أين جاءتْ،
إلى أين تمْضي.

ـ ط ـ

كوكبٌ يَتَشهّى
أن ينامَ على زَنْد فلاّحةٍ،
رسمت وجهَها بِحبْرٍ
كان خوفو يُخبِّئُهُ تحت بَرْديّةٍ،
في خزانة أوراقهِ.

ما الذي يستطيعُ ابْنُ حِنْزَابةٍ(*) ضِدَّها؟

(*) كان ابن حنْزابة وزيراً لكافور، وعدوّاً للمتنبي. وكان له «مجلسٌ يتلاقى فيه الشعراء والعلماء، والمحدثون».

وكان ابن حنزابة يحاول، كما جاء في الصبح المنبي، أن يتحدّث دائماً عن سرقات المتنبي. اسمه جعفر بن الفرات، ومن أصلٍ عراقي.

* يحفر الحبُّ كالشِّعر ثقباً
في جدار الزّمَنْ،
كي يجدِّدَ ميلادَهُ،
ويمزّقَ عنه الكفَنْ.

٣٣١هـ.

- ٣ -

يسأل الرّافضونَ
الخليفةَ، في حَيْرةٍ:

قُل لنا كيف تأتي
إلينا
أبآياتِ عِلمكَ،
أم بالهبوطِ علينا
مِن علٍ؟
ولماذا،
يا خليفةَ أيّامِنا
وأموالِنا، لماذا

ت تمرأى بنا

- ي -

مِن جديدٍ، تعود السَّماءُ لكي تسكنَ اللَّحمَ
والعظمَ: هذا مَقالٌ
قد يَسرُّ العَقيليَّ(*) لكن،
كيف يدخلُ في الجسم ضَوءُ الحبيبةِ؟

مِن أين تأتي
خميرةُ هذا الهبوطِ الصُّعودْ
في مَجرّة أعضائِها؟

هل أُسائِل فُسْطاطَ هذا التخيُّلِ عند
العَقيليِّ، أم أسألُ الوجودْ؟

* إبتدئْ ابْتدئْ
وجهُكَ الآنَ كالنّارِ -
تُوشِكُ أن تَنْطَفِئْ.

(*) هو الشريف علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري). من الشعراء في زمن كافور. له ديوان مطبوع. ومن شعره في حبيبته: «ضاقت عليَّ نواحيها، فما قدرتْ على الإناخة في ساحاتها القُبَلُ».

الذّاكرة
٣٣١هـ.

في حناجر أبنائِنا
وآبائِنا -
ساطِعاً،
قاطِعاً مثلَ سيفٍ؟

قل لنا كيف يحدثُ
هذا،
قل لنا كيف تأتي؟

- ٤ -

رافِضٌ مات موتَ
الطّبيعةِ، لم يقتلوهُ،
ولكن
صَلبوهُ، بعد أَنْ
ماتَ، حَزُّوا

- ك -

رجلٌ في طريقي (ربّما كان كافورَ أو ابنَ حِنْزابَةٍ)،
رجُلٌ هالَني،

رأسُهُ فرَّ عن كتفيهِ، وها هُوَ يمشي
تاركاً جسمَه خلفَهُ،
ويطوفُ وحيداً
وها هو يمشي ورائي
لاعِقاً خطواتي.

عندما راحتِ الشمسُ تسكبُ تِرْياقَها،
أَخذتْهُ إلى بيتِها نملةٌ.

* ظُلْمَةٌ - والأزقّةُ تَحْتضِن السَّابِلَهْ
في دماءِ الخريفِ الرّماديّةِ السّائِلَهْ.

الذّاكرة

٣٣١هـ.

رأسهُ، نشْوةَ.

آدَمُ

حائِرُ العَقْلِ في

دينِهِ،

وفي سرّ تكوينِهِ،

وفي شهوات

بنيه.

ـ ٥ ـ

حمرةٌ في السّماءِ،

الوجوهُ، الحجارةُ

حمراءُ. حبْلُ

المجانين يمتدُّ ـ

حبْلٌ مسدْ.

ـ ل ـ

سأقول لهذا الموسوسِ، هذا الذي لَقّبوهُ

سَيْبويْهِ(*): القصيدةُ، يا قارئي، رحيلٌ

خارجَ النَّحو والصَّرْفِ، سَيْرٌ

في جميع الجهاتْ.

نَفَسٌ صاعِدٌ من قَرارةِ أحشائِنا

يُلابِس أيّامَنا وأشياءَنا

قلَقاً، زهرةً، حصَاةْ.

سأقول: القصيدةُ كالشّمس، كالماء،

مُسْتَقْبَلٌ للكلامْ

لا تنامُ، ولا شيءَ في ضوئِها ينامْ.

* جَاهِدٌ أن أعلِّمَ خَصْمي

كيف يحيا بهيّاً وحُرّاً

ليصيرَ جديراً بِعدائي لَهُ.

(*) هو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي، الملقّب بالجُبّيّ، والموسوس، وسيبويه المصري. وُلِد في البصرة سنة ٢٨٤هـ. ومات في مصر، سنة ٣٥٨هـ

٣٣١هـ.

لا تشكُوا. تريدون أن توقنوا؟
اسْألوا الرّافضين
الذين يُحبّون
هذا البلَدْ.

- ٦ -

ترك الرّافض القتيلُ
كتاباً:
«لم أشاهد إلهاً
يتصدّر جمْعاً
أو يسيرُ على رأسِ
حشْدٍ.
فلماذا تُصِرُّ الحشودُ
على أن تقود السّماءُ
خُطاها؟».

- م -

أتخيَّلُ نفسيَ تقتلُ نَفْسي:
رجلاً سائراً أمامَيَ خلفي
طالعاً مِن ثيابيَ في صورةٍ ـ صُورتي.
ويواكبني أينما كنتُ أو سرتُ. حربٌ
عليَّ. شديدٌ عنيدٌ لا يُقاتل غيري.

وأنا واثِقٌ:
سيرانيَ أعداءُ شِعري،
ذاتَ يومٍ، قتيلاً
بين قُمصانهِ.

* كُنْ كبيراً على الأرْضِ،
كن ذَرّةً مِن ضياءْ.

٣٣١هـ.

ـ ٧ ـ

رافِضٌ آخرٌ قال:

«أعرفُ أنّي

سأُقتلُ، فليهنأِ

الخلفاءُ على هذه

الأرضِ، لكن

بعد قَتْلي

سَأُولَدُ في

كلِّ شيءٍ».

ـ ن ـ

لا أرَى في الفَراغِ، كما يزعمُ الهَجْرُ، عُرْياً

بل أرَاهُ كساءً.

كيف نَلمسُ ثوبَ الضّياء، إذا لم يُحرِّك

جسمَهُ في فراغٍ؟

ألهذا

كان بستانُ حزني أشدَّ احتفاءً

بالطُّيور التي هاجرَت

كي تُدفّئ بالصّمت أعشاشَها(*)؟

* كلَّ يوم أعودُ إلى البَدْءِ،
أجبِّلُ من زَفراتيَ طيناً
وأنقش فيه تَقاطيعَ حبّي.

(*) قلت هذا لمدّاحهم، فكأني قلتُه لجدارٍ.

وهو المدّاح الأنصاري، أبو القاسم بن أبي العصير، صاحب كافور والوزير ابن حنزابة.

٣٣١هـ.

- ٨ -

هُوذا رافِضٌ يُنْشِدُ
كلّ شيءٍ لهُ معبدُ:
«لا أريدُ لهم أن يموتوا،
كما شاء غيري أو يُقتلوا
(أقصد الآلهه)
بل أريد لهم أن يعيشوا
أن يظلّوا أشدّاء في
حربهم علينا، وأنْ
يُغلَبُوا،
هكذا يكبرُ اللاّعبونَ
ويزْدهِرُ الملعبُ.
هكذا تُولَدُ اللّغة
الوالهة».

- س -

لا أرَى أنّ جسمي تُزلزلهُ الآنَ
أيّةُ أُغْويّةٍ.
لا أرَى في شعوريَ أيَّ انفجارٍ
تَتفتّقُ عنه دروبٌ،
أو تسافرُ منه الجِراحُ إلى نَشْوةٍ
لم تكن تتراءَى لها.

ما الذي يحدث الآنَ فِيَّ؟ وأين اختفَتْ
رَغباتي؟
إنْهضي، هل سمعتِ، وماذا تقولينَ
يا كلماتي؟

* ربّما كان هذا أوّلَ المنحدَرْ،
وأُحِسُّ كأنّ الدّقائِقَ سَيْلٌ
يجرُّ الصِّراطَ إلى رَبّهِ،
ويَجرُّ البَشَرْ.

٣٣٢هـ.

أَلبُرَيْديّ[١] بقتلُ حتى

أخاه:

كيف تقدر من بعد

هذا الدّمِ المُرّ،

أن تتلمّس خَدّيهِ

أو صدرهُ،

يداهُ؟

- ع -

أتمدَّد مستسلماً في سريري إلى حيرتي،

كأنّي

لم أعد قادراً أن أُحسَّ ولا أن أرَى.

هل هُزِمْتُ؟ هل انكسرَ الضّوءُ فِيَّ؟ وكيفَ

سأعرفُ نفسيَ؟ أَسْتلُّها

من ركاماتِها القديمةِ، أم أستعيدُ الظَّلامَ

الذي لَفّها خِفْيةً، عندما كنتُ أزهو

بِلآلِئِها؟ وأرَى أين كانت، وكيف،

وماذا؟

هل هُزِمْتُ؟ أم الشِّعر في آخر اللّيلِ، يرفعُ

نفسي إلى البَدْءِ - يقرأ أورادَها،

ويُجدِّدُ ميلادَها؟

* غسل الأَفْقُ أسنانَه، بالغيومْ، -

قلتُ هذا وصدّقَني الشِّعر، لكن

عَبَستْ وتولّت في خُطايَ النّجومْ.

(١) قُتل أبو الحسين البريديّ، وصُلب، ثم أُحرق. وكان بعض الفقهاء قد أفتى بإباحة دمه.

ومعه انقضت أيّام البريدية.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ١ ـ

منْ تُرى يسْتَضيفُ
الخليفةَ: قبقابَهْ
والعباءة، هذا
المساءْ؟
هوذا يتمزّقْ: لا مُلْك،
لا خبز، لا شيء
إلاّ الشّقاءْ.

ـ ٢ ـ

إسمهُ القاهرُ ـ
اسمهُ ظلماتٌ
جموعٌ تمزّقْ
أحشاءَها

ـ ف ـ

جسَدُ الضّوءِ في مِصْرَ، فِيَّ، وفي
صَبواتي
جسَدٌ عاشِقٌ
دَهَنَ الوقتُ أطرافَه ببهارٍ
وأدارَ على عُنْقِهِ
ذَهباً ذائباً في لُجَينْ،

يَجْهدُ اللّيلُ كي يَتحوّلَ فيهِ
إلى مُقْلتينْ.

* ما لَهُ ـ ذلكَ اللّيلُ لا يُهْزَمُ؟
أَهُوَ الغَيمُ لا يُتَسَلَّقُ،
والجرحُ لا يُلأَمُ؟

(١) هو الخليفة القاهر، ويُروى أنه «افتقر حتى لم يبق له شيءٌ سوى قطعة عباءة يلتفّ بها، وقبقاب من خشب في رجله».

- ص -

كَبِدي - ما الَّذي دَهاهَا؟
لم أعد أتعرّفُ فيها إلى أيّ شَخْصٍ،
أو إلى أيّ شيءٍ.
وأُحِسّ كأنّيَ في حاجةٍ
كي أُخَاصِمَ أهواءَها - أُعانِقَ أهواءَها،
وأُسَافرَ فيها إلى مُنتهاها - إلى أينَ؟
أين المكانُ الذي يقدرُ الآن أن يتقبَّل
مَا بِي، ويفتحَ أحضانَه لجراحي؟

آهِ يا نفسيَ الرّجيمةُ يا نفسيَ الكريمَهْ
مِن جديدٍ أعودُ لِصحرائيَ القديمَهْ.

* أرسلتُ لِلَّيل كتاباً
ونَشرْتُ حروفَهْ
في طُرقاتِ همومي في أنحاءِ الكوفَهْ.

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

بأظافرَ مِن فِضّةٍ،
ونُقادُ إلى كلّ ما
لا تشاءُ.
غنِّ، كرِّرْ نشيدَك
يا أيّها الشّاعرُ:
مسْرحٌ للحلافةِ،
يُسْتَأصلُ العقلُ
فيه،
ولا شيءَ يُؤخذُ
غيرُ الدّماءِ،
وغيرُ الهباءِ.

٣٣٣هـ.

ـ ١ ـ

أخذوا رأسَهُ ـ
ذلكَ الخارجيُّ[1]،
دامِياً طازَجاً،
وزموه إلى القائمِ
الفاطميّ!

ـ ٢ ـ

لم يعد دفْتَرُ
السَّماءْ
في فضاءِ الخوارج
إلاَّ
وَرقاً لكتابةِ مرثيّةٍ.

ـ ق ـ

لَوَّحَ الرّاحلونْ
بمناديلهمْ، وأَناخوا نِياقَ التّعَبْ.
يبسطُ الأفْقُ كفّيهِ، أَصْغُوا:
فِتَنٌ في الأقاليمِ، أرضٌ
تتمزّقُ. هذا وارثُ العَرْشِ، يَجْتَرُّ كرسيَّهُ
والبِطَانَةُ نَسْجُ الذّهَبْ.
يرقصون ويسْتمرئونْ
لحمَ آبائهم وأبنائِهِمْ في مَهَبّ الطّرَبْ
وعلى كلّ دَرْبٍ، وفي كلّ فجٍّ، بشَرٌ مِثلهُم،
بَشَرٌ مِن معادِنَ، مِن صلواتِ
ومِن شَهواتٍ،
رُكَّعٌ خاشعونْ.

* تتردّد هذي اليمامَةُ
في قولِها لِلسَّماءِ: اصْدُقي مَرّةً.

(١) أبو يزيد الخارجيّ.

- ر -

ـ «لا مَفرٌّ. كتبنا عليكم ذُلَّكُمْ، وكتبنا الخضوعْ»،
ـ «لا فضاءٌ»، تقولُ الأضاحي،
ـ «لا ملاذٌ»، تقولُ الدّموعْ.

ـ كيف يمكن أن تُفهَمَ الشعوبُ التي ترسمُ
اللّهَ فوقَ الرؤوسِ على حَدِّ سَيْفٍ،
وتدلّيهِ في ساحةٍ،
وتعلّم أطفالَها
أن يحيُّوه، كلَّ صباحٍ؟

* آهِ، ما هذه الأرض ـ تَجهدُ أن تخنقَ
الهواءَ الذي تتنفّسهُ رئتاها،
في فضاءٍ يَزُقُّ الطُّيورَ بِكبْريتهِ!

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

لم تعد هذه الأرضُ،
في خطوات الخوارج،
إلاّ
نهراً
لغيوم البُكاءْ.

- ٣ -

ألتّرابُ يمدُّ يديه
كريماً إلى الخارجيّ
وأبنائه
وأصحابه،
حانياً،
مُصْغياً
لتباريحِهِمْ.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ٣ ـ

فجأةً، يتغيَّرُ ـ

يأتي بلا موعدٍ

يزورُ بيوتاتهم

وأكواخهم،

ويجْتثُّهُمْ

واحداً واحداً.

ـ ٤ ـ

زمنٌ مُنْهكٌ ـ

زمنٌ خارجيٌّ:

الفضاءُ بلا نعمةٍ

وبلا حكمةٍ،

ويدُ الماءِ مبْتُورةٌ.

ـ ش ـ

لِعليٍّ،

لابْنِ رِشْدِينَ، لابن أبي الجوع، لِلرُّوذَباريّ(*)،

أصغيتُ، أُصْغي،

وأقولُ لأوجاعِهم:

حولكم رَبَّةُ العَمَاءِ ورايَاتُها،

معكم ليلُ أكفانكم،

لا سقوفٌ لكم،

غيرُ ما يتبخّر منها، ـ

لا طريقٌ، وما من بديلْ.

ليس إلاَّ الرّمادُ،

وهذا الفضاءُ القتيلْ.

* المُحبّونَ ماتوا، ـ

لا بحارٌ ستكفي ليغرقَ فيها حنيني،

لا سَماءٌ ستكفي ليعلوَ فيها ضَياعي.

(*) صالح بن رشْدِين، من كُتّاب ديوان الرسائل في العصر الإخشيدي.

ـ علـيّ بـن صـالـح الروذْبـاريّ كان والياً على دمشق، وكانت له في مصر حلقة أدبية.

ـ علـي بـن أحـمـد المهلّبي، (عبد الله بن أبي الجوع)، من اللغويين النحويين، في أيام كافور.

كانوا جميعاً يتدارسون ديوان المتنبي، تحت إشرافه، كما جاء في «يتيمة الدّهر» للثعالبي (١: ٣١٤ ـ ٣١٧).

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ٥ ـ

هذه وَرقاتٌ
خَطَّها خارجيٌّ،
وَلعلّي تأخّرتُ
في نَشْرها،
فَعُذراً:

«أَلمُلْكُ سَيْفُ
هوىً،
ورمْحُ فَتْوى،
وتابوتٌ،
وبَحْرُ دَمٍ.
أَلمُلْكُ ساحَةُ
أنيابٍ
وفَأْفَأةْ.

ـ ت ـ

الكلامُ إلى فاتكٍ(*) وعليهِ، حجابٌ.

مَعهُ أَتغيَّرُ، أصعدُ من أَوّلِ
درَجاتِ الكلامِ، أغيِّر معراجَهُ
وأرجّ الحُدوسَ التي فَيْأَتْهُ
والخيالَ الذي يتفيّأ فيهِ.

وَأُكاشِفهُ ـ بين حِبْريَ والكلماتِ هَوىً آخَرٌ.

فاتِكٌ شَاعِرٌ،
ويعرف من أين يُؤخَذُ شِعْري.

* ليس للسّائرين على الأرض إلاَّ
أنْ يصيروا غُباراً:
حكمةٌ بَالِيهْ
نَتقلَّبُ في نارِها العالِيَهْ.

(*) هو فاتك الإخشيدي. كان يُعرف بالمجنون. وكان المتنبي يعدّه بين أقرب الأصدقاء إليه.

٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ من وَرَقٍ،
أَلمُلْكُ مِن عَلَقٍ.
أَلمُلْكُ قِدْر حِسَاءٍ
رأسُ قافلةٍ
مِن الذِّئابِ، ويِيدٌ
لا حدودَ لها.
أَلمُلْكُ بِسْملَةٌ
أَلمُلْكُ مِئذَنَةٌ
مخنوقَةٌ، وحَديدٌ
دافِقٌ ذَهباً.
أَلمُلْكُ
مُسْتَقْعٌ.

ـ ث ـ

شَغَفٌ عالٍ
يرسمُ فِيَّ طيوفَهْ:
ما أطيبَ أن أتحوَّلَ ماءً
وأذوّبَ جسمي
في جسم الكوفَهْ.

* مِثلَهُ ـ ذلك الوفيّ لترحالِهِ
في صَحارَى عذاباتِه:
لا أَخُونُ الرِّياحَ التي لَبَسَتْني.

- خ -

إن أَقُلْ ما أقولُ، فَكَيْ أُرضيَ الأصدقاءَ،
أُحيّي بيوتاتِهم وتقاليدَها.
غيرَ أنّ شُعوريَ أعلى وَأَنْأَى،
وأسألُ: ماذا سأفعلُ؟ لا أرضَ تعلو إلى
ما أُحِسُّ، كأنّي
لم أعد قادراً أن أكون نَمِيّاً
أو نجيّاً لبيتٍ أو دمٍ أو عشيرٍ.

لم أعد قادراً أن أُحِسَّ بنفسيَ إلاّ إذا
رحتُ أَقْتَصُّها كالطَّريدَهْ،
لم يعد أيُّ شيءٍ يؤكّد نفسيَ لِنفسيَ، إلاّ القصيدَهْ.

* خُطواتُ الطفولةِ ـ ماذا
يَتبقّى مِن السرّ فيها؟
كيف لي أن أشمَّ شذاها
وأن أنحني عليها؟

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ سَمَّى
يَديهِ رايةَ رُفِعَتْ
على السَّماءِ، وسَمَّى
طينَهُ لهبَا.

أَلمُلْكُ يَحْسِبُ وَجْهَ
الكَونِ مُتَّكَأً
لإلْيَتَيْهِ، ودارَ
الخُلْدِ مُنْقلبَا.

٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ أوّلُ مَنْ
لَبّى، وأوّلُ مَنْ
صلّى، وأوّلُ مَنْ
غنّى وَمن طَربا.

المُلْكُ غابَةُ غِيلانٍ
دمٌ شرَقَتْ
به الحياةُ، ولم
تعرفْ له نسبا.

ـ ذ ـ

خَطُّكَ الأعوجُ ـ المستقيمْ
أيُّها العَقْلُ، لا أطمئنُّ إليهِ،
ولا شيءَ فيهِ،
سِوَى النّافلِ الغُفْلِ:
سَيرٌ بليدٌ على درَجاتِ النّعيمْ.

وأنا عاشِقُ الجحيمْ.

* أنتَ، يا عَقْلُ نورٌ ـ يُقالُ، ولكن
كيف لا تتوهَّجُ فيكَ مسافاتهُ؟
ولماذا تقدّمه للمسافرِ نحو المجاهيلِ،
في كأسِ سُمٍّ؟

- ض -

نَاقتي -

هل تيقّنْتِ أَنّي
تارِكٌ لِلطّوافِ المؤرَّقِ حول الموائدِ،
لِلنَّومِ في شحمها سوايْ؟
أتشكّينَ؟ جُسّي عروقي، وأَصْغي لنبضي،
وها مُهجتي، ها يَدايْ:
صَدريَ الآنَ أعلى وأرحبُ مِمّا ظَنَنْتِ، ومن كلّ أرضٍ -
خُذيني وسيري
في فيافيهِ، لكن بحقّ تباريحِنا،
حاولي أن تمرّي بِخشوعٍ وَصَمْتٍ
في مَدارِ بَراكينهِ؛
في مَدار براكينهِ هَوايْ.

* الحقيقةُ وَحْيُ الجنونِ، -
تقول الحياةُ لمعراجها.

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ
نيلٌ
فُراتٌ
دِجْلةٌ
بَرَدى.
أَلمُلْكُ آيَةُ
إعجازٍ
بحكمتهِ
وحكمهِ
وبما أعطى
وما كَسَبا.

الذّاكرة ٣٣٣هـ.

فجأةً، صورتي تتجلّى في مَراراتِ بغدادَ، في حلَبٍ، في دمشقِ.
فجأةً، خَولَةٌ.
فجأةً، نشوةٌ ودروبٌ وكواكبُ لا يعرف الحِبرُ أَسْماءَها.
فجأةً، نأخذ الزّمنَ الميْتَ، نرميه في قَبو أَيّامِنا.
فجأةً، يحمل الأفْقُ أثقالَه ويسافر فينا.
فجأةً، يخرج اللّيل من بيتِهِ ويطوف علينا بأباريقِهِ.
فجأةً، قَصَبُ اللّيلِ، ورد المسافاتِ، خشخاش حزنٍ وصَمْتِ:
نتعلّمُ هذا المزيجَ ونبني سقوفاً لأحلامِنا،
فجأةً، تتقدّم شَمْسٌ وتكتب في دفتر الضّوءِ أَسماءَنَا.
فجأةً، يلبس الفجرُ وَجْهي،
فَجأةً، أتجلّى لنفسي.

ألمُلْكُ
سيّدُ
أسيادِ
ملائكةِ
إنْ شاءَ
صَيَّرَ من
أعناقهم
دَرَجاً،

* أرضُنا جرحُنا:
فَعلى أيِّ جَنْبٍ نميلُ، وماذا
مَن نُسالِمُ، أو مَنْ نُقاتِلْ؟
مائِلٌ عُنُقُ الكونِ مائِلْ.

٣٣٣هـ.

أو شاءَ، صَيَّرَ
مِن أجْسادِهم
حَطبا.
أَلمُلْكُ ينزلُ مِنْ
أُمّ الكتاب،
ومِنْ
أَهْلِ الكتابِ،
ومِنْ...».

- غ -

أَلنبوّاتُ قالت:

اتركوا الشِّعرَ يا أيُّها المؤمنونْ
قبلَها، قال ذلك تلميذُ سقراطَ: لا شيءَ
في الشِّعر إلاَّ الضّلالُ وإلاَّ الجنونْ.
غيرَ أَنَّ الخليقةَ لم تُصْغِ،
والشعراء اسْتمرّوا يعيشونَ كالأنبياءْ
مع شياطينهم، يسألونَ، ونسألُ:
ماذا،
ما الذي يتبقّى
خارجَ الشّعر، غيرُ العَماءْ؟

* صوتٌ ـ يخرج منه عِطْرٌ
وضعَ النّيلُ عليه يدَهُ،
كي يبقى حرّاً:
صوتُ زمانٍ آتٍ.

هوامش
(يوميّات المتنبّي)

V. غيوم

١ ـ قِباب

أتخيَّلُ بغدادَ، لكنّني أُحيّي
حَلَباً، وأُحيّي
كوفةَ الثائرينَ ـ القِبابَ،
الشيوخَ ينامون في ظِلّها،
أو يقصّون أيّامهم.
أَلدَّقائقُ أوتارُ قيثارةٍ
والمصلّون: كُلٌّ حاضِرٌ غائبٌ، وكلٌّ
يتحدَّثُ في نَفْسهِ إلى غيرهِ:
كلُّ ما يخلق الضّوءَ فينا،
لُغَةٌ مُرْجَأَهْ.
وَطَنٌ ـ حِبْرُهُ جِراحاتُنا
وَنجهلُ أَنْ نَقْرأَهْ.

٢ ـ صحراء

أينَ سَتبحثُ عن بيتٍ؟
هل تسْكُنُ بين خيوطِ الشَّمْسِ؟ ولكن
خيرٌ أن تسكنَ في أوراقِ العُشْبِ، وغَيِّرْ
ترتيبَ الأحرف حتّى تبقى
تتشرّدُ في بَيْداءِ النّاسِ كذرّة رَمْلٍ.

هي ذي صحراءُ المِحْنَهْ
بشَرٌ مذعورونَ، وكلُّ فضاءٍ سُدٌّ.
هذي الأرضُ وصيّةُ عَرْشٍ، والعرشُ قضاءٌ، ـ
يَا للّعنَهْ!

٣ ـ استغناء

هذي الأرض كمثلِ امرأةٍ
لا تعرف كيف تعيش، وماذا تَعملُ. يَومٌ يمضي
يومٌ يأتي
ويداها قَيْدٌ مُحكَمْ
تحت مظلّةِ عَرْشٍ أَبْكَمْ.

مَن قال لشِعركَ: أنتَ المعنى،
ولصورتهِ: أنتِ الصُّورُ؟
كلاَّ،
في هذي الأرضِ، هنا وهنالكَ،
لا يَحتاجُ إليكَ البَشَرُ.

٤ ـ سراب

هُوَذا يُبتكَرُ الآنَ سرَابٌ:
حَيوانٌ أخضرُ القامَةِ، رأسانِ كبيرانِ
على حَوْضٍ صغيرٍ،
ولِلَيْل الرّدِفينْ
قمَرٌ يسكن تحت الكَتِفينْ.

غيرَ أَنَّ العُنُق استلْقى على شَفْرة حُلْمٍ.
ربّما لا ترغب الشَّفرة أن تستيقظَ الآنَ. تَعلَّمْ
أيُها الشّاعرُ أن تُصغي لِوَقْع الكلماتْ
في سرابِ الخُطُواتْ.

٥ ـ نسيان

أَلسَّماءُ رَمَتْ طينَها
فوق أجفان بغدادَ. أَلْقت
قدميها وكرسيَّها على رَأْسِها. دُوارٌ
في شرايين بغدادَ، تبكي
لم يعد دمعُ بغدادَ طِفْلاً
لم تعد تعرف البكاءْ.

نَسيتْ كيف تزفرُ أو كيفَ تَشْهَقُ في صدرها كَربلاءْ،
هكذا
نَسيتْ وَجْهَها ـ
أَتُراها أُحِيلَت إلى مُومياءْ؟

٦ ـ التباس

عَرْشُهُ في كَنَفِ اللَّهِ مقيمٌ.
يَهدمُ البيتَ على أطفالهِ
والمعزّون حِرابٌ وسيوفٌ.

كيف لا أَصرخُ باسم اللَّهِ،
في الشَّعب الذي يرتجفُ الآنَ، أطِعْهُ:
كُنْ حِساءً.
كيف لا أسأل هذا العَرْشَ: قُل لي
أَأَنا مَيْتٌ. ولم تأذن لموتي،
هكذا أُنْبَشُ مِن قَبْري لكي أُدفنَ
في ظِلِّكَ، في سجنٍ وراءَ المقبرَهْ؟
لم أعد أعرفُ: هل عنديَ، في ظِلِّكَ، رأسٌ وذراعانِ
وساقانِ، وعندي
مثلَ غيري، حُنْجَرَهْ؟

٧ ـ خَبّاز

خَبّازُ هُمومٍ، لكن
في كلِّ رغيفٍ قيثارةُ نورٍ.
تَنُّورُ الحكمةِ نارُ سَلامٍ.

يا خَبّازَ هوانَا
أَلحكمةُ تبكي، والكونُ دموعٌ.
أَرِني عينيكَ
أفي شفتيكَ هَوىً
وشعاعٌ من عينيها؟
يا خَبّازَ هَوانَا
قُلْ لعشيقِ الحكمة: حاوِلْ
أن تُلقيَ، هذا اللّيلَ، يديكَ على كتفيْها.

٨ ـ الوردة

تتكلَّمُ ـ في صَوْتِها وَخْزُ شوكٍ،
وفي شفتيها ارتعاشٌ.

وحدَها، ويكادُ البكاءْ
أن يُغطِّيَ بالتُّطَفِ الحُمْرِ أوراقَها.

إنّها وردةُ اللّيل، أو هكذا سُمِّيَتْ،
لبست عُرْيَها
وَانحنَتْ فوق خَصْرِ المساءْ.

٩ ـ لوتس

أمسِ، فجراً، على ضِفّة النّيل، غُصنانِ من لُوتَسٍ
يقرآن على الماء نَهديْهما.
رحتُ أصغي، وكان الهواءُ
يَتنصَّتُ. نَهْدانِ من لُوتَسٍ.

مَرَّ فوقيَ سِرْبٌ
مِن يَمامٍ. ومرّت
صُوَرٌ بين عينيّ عن عَهْد حُبٍّ
كدتُ أَنسى تَفاصيلَهُ.
آهِ، في هذه اللّحَظاتِ النبيّةِ، ما أكْرمَ البكاءْ.

١٠ ـ ولادة

إنَّه النَيل يفتح شُبّاكَهُ
لِلصَباحِ وللشّمسِ، ضَوْءٌ
يَستحمُّ. وضوءٌ يتمطّى، يفكّ عُرَى ثوبهِ. ضِفافٌ
تتلألأُ. مَوْجٌ
وَادِعٌ يتخاصَرُ. يَلْهُو
كأنّ الهواءَ فِراشٌ لَهُ.

أَشتهي مَوْجةً
أُوَشْوِشُ أحضانَها
وأخيِّل جسمي لها
وآخيِّلُ مِعْراجَهُ إليها، وتباريحَهُ، وعِنادَهْ.

في المياه العَميقةِ
أُصْغي إلى زَفْرةِ الموت فينا وأُصغي إلى شَهْقة الولادَهْ!

VI

فاصلة استباق

من أنتَ أيُّها المنتظَر؟
لن تحظى بالحياة إلاَّ مصادفةً
بين الموتِ والموت.

مَن أنتَ أيُّها المنتظَر؟
الخريفُ يكملكَ
وجسدك يكمل الغبارَ
في تاريخٍ يتسلّى،
يكتب شِعراً عن أرجل العناكب.

مَن أنتَ أيُّها المنتظَر؟
لا تقدر ملائكةُ العلْم
أن تبتكرَ أسطورةً واحدةً
تُولَد فيها الشّقائقُ من دمٍ عاشقٍ،
أو ينفصل فيها
رأسُ شاعر عن جسده،
ويجري مغنّياً
في ماء الطّبيعة.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
غداً
يبقرون الخرافةَ
ويستخلصون من جوفها
الحقائق.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
اهتفوا للانهيارات
احتفِلوا بالأنقاض
استبشِروا بالخرائب.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
الغيبُ يؤاخي الجسدَ،
والسرُّ زهرة الكلام.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
على حيوانٍ خرافيّ
نجلس غداً ونقرأ العالَمَ.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟

بلى،

الإنسان يسير نحو الببّغاء.

بلى،

يولَد جنسٌ آخر من حيوانات اللّه.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟

الحمدُ لكلّ التباس.

الذّاكرة

٣٣٤هـ.

المُعِزّ يعانِقُ بغدادَ،
يجمع أنصارَهُ حولَهُ،
مثلَ راعٍ يعدُّ خِرافَهْ،

المُعِزّ يسوقُ الخليفة،
يَسملُ عينيه، يُلقيه
في السِّجن. ما هذه
البطولةُ في سَمْلِ
عينيْنِ؟ ما هذه
الخِلافَهْ؟

ـ أ ـ

أَتَساءَلُ حيناً، وأنا أتمشَّى
في الفسطاط، لماذا، كيف رحلتُ؟
ولماذا لم أتحمّل رَهَقي،
وأعِشْ بين النَّاسِ كفرْدٍ منهم؟

أَغضبُ حَقّاً من هذا العالم، لكن
أَغضبُ حَقّاً منّي ـ
فأنا الآثِمُ أين ذهبْتُ، وأَنَّى
صرتُ، ومهما قلتُ.
فلماذا ـ كيف سأرحَلُ، كيف رحلتُ؟

* آهِ للكوفةِ الآنَ: هل ملمَحٌ، هل أَثَرْ
لطفولاتِ حُبّي؟
أَتُرى لم تَزلْ، مثلما كُوِّنَتْ،
ذئبةً، وتُحبّ القمرْ؟

(١) «سِيقَ الخليفةُ المستكفي باللّه ماشِياً إلى معزّ الدولة بن بويه في بغداد. سمل عينيه وسجنه. بُويع مكانَه المطيعُ باللّه».

وكان المعزّ، واسمه أحمد، «يحمل الحطبَ على رأسه، في أول أمره».

ويُقال له: «الأقطع»، لأنّ يده اليُسرى قُطعت في معركة مع الأكراد. دام مُلكه في العراق ٢٢ سنة إلاّ شهراً، بدءاً من سنة ٣٣٤هـ.

الذّاكرة

٣٣٤هـ.

أَلمُعزّ يَجرُ ذُيولَ الظَّفَرْ:
أَقطَعَ الجُنْدَ[1] أرضَ العراقِ ـ الخَرابُ
يعمّر أرض البشَرْ.

ـ ب ـ

سأعودُ إلى الفَلَواتِ، ـ
وكيف أعيش أجيراً
عند أميرٍ؟
كيف أمجّد عَرْشاً مَيْتاً ـ عَرْشَ خضوعٍ
واسْتِخذاءْ؟
كيف أعلّم أنّ الظّلمةَ نورٌ، واللّهَ قَضيبٌ
أو عُكّازٌ عندَ العَرْشِ،
وأنّ العرشَ يرفرفُ فوق الماءْ؟
كلاّ، سأعودُ إلى فلَواتِ المعنى
حرّاً، وغريباً
وَجْهاً آخرَ لِلصّحراءْ.

* كيف أقول لهذي الأرضِ، بلاديَ أنتِ،
وكلَّ صباحٍ، تُعلِنُ:
كلاّ، لا يتحدّثُ بِاسْمي
إلاَّ سِجْنٌ أو سفّاحٌ؟

(١) في أيّام المعزّ «أُقْطِع الجُنْدُ البلادَ والأرض. أدّى ذلك إلى الخراب».

الذّاكرة

٣٣٥هـ.

ألمعزُّ شعوفٌ
بمن يُتقنونَ فنونَ
الصّراعِ[1] ـ فهيّا،
إن تكن بارعاً
في ملاكمةٍ أو صراعِ
تفُزْ:
ألجموعُ تحيّيكَ،
والمالُ يَهْمي عليكْ.
كلُّ شيءٍ يَصير كما
تتشهَّى
طَيّعاً في يديكْ.

- ج -

مَن يخلِّصُ قيداً من القيد؟ مَنْ يتفهّم
سِرّيَ في الوَصْل والفَصْلِ، في أَنّني
دَمٌ واحِدٌ:
فارِسٌ وطريدٌ.

مَنْ تُراهُ سيشرحُ أُنشودتي
للحروفِ التي تتكوّنُ منها؟

* هل أحَدٌ يعرف أنّي
أعشقُ موتي،
لا شغفاً بالموتِ، ولكن
كي أبقى سِرّاً؟

(١) «أُعْجب معز الدّولة بالمصارعين والملاكمين، وغيرهم من أرباب هذه الصّناعات التي لا ينتفع بها إلاّ كلُّ قليل العقل، فاسد المروءة».

- د -

لا مَفَرَّ. الطَّريدةُ تَهْذي،
تَتَململُ فِيَّ - تُرانيَ وحشُ المكانِ،
تُرانيَ بلبالُهُ؟

أخذَ الفجرُ حزني
وغَطّى بهِ كلَّ شيءٍ.

والدُّروبُ شِبَاكٌ: بَشَرٌ مُتْعَبُونْ
هاربونَ إلى موتِهم،
لا يرونَ ولا يسألونْ.

* كلَّ يَومٍ، أفتّشُ عن هاربٍ،
تحتَ جِلدي.

الذّاكرة
٣٣٥هـ.

أَلجنودْ يعيثونَ
في العالمين فساداً:
كلّهم فاتِكٌ
وقُصاراهُ أنْ
يتفنَّنَ في فَتْكِهِ.

٣٣٨هـ.

ـ ١ ـ

فتنةٌ: شِيعةٌ

سُنّةٌ.

كلُّهمُ يُضمِر الحربَ

ضِدّ أخيهِ،

كلُّهم يَتّقيه.

شيعةٌ ـ سُنّةٌ،

سُنّةٌ ـ شيعةٌ:

رجلٌ واحدٌ

يتآكلْ

من داخلِ.

ـ هـ ـ

لم يجتْنِيَ يوماً غرابُ اليقينِ ولا هُدهدُ

الجِنِّ، بيني وبين السَّماءِ الحواجزُ

تَعلو، وتمتدُّ من كلِّ صَوْبٍ.

وَأرَى الأرضَ أضيقَ

من ظلِّ طيرٍ، والسَّماءَ كَلَحْدِ.

غيرَ أنّي أرَى الكونَ طِفْلاً.

* عظمُ تَيْسٍ هناكَ تُرَشُّ عليه التّعاويذُ،
تُصنَعُ منه عكاكيزُنا،
وتُضاءُ خُطانا بهِ، وَتُلقَّحُ أيّامُنا.

- و -

لو نعيشُ كما نَتَشهّى
لا يَدٌ فوقَنا
لا لِشَحْمِ الوجودِ ولا لِلورَمْ
لا نُبوَّاتُ حربٍ وقَتْلٍ
ولا شَرْقَ لا غربَ، لا عَرَبٌ لا عجَمْ،

أبداً في مهبِّ الأبَدْ:
هكذا كنتُ أصغي لِفقْهِ الجسَدْ.

* ليتَها تغرقُ -
سفُنُ الكلماتِ التي لا تُجَنُّ،
ولا تَعشَقُ.

الذّاكرة
٣٣٨هـ.

- ٢ -

سُنَّةٌ - شيعةٌ:
رجلٌ واحدٌ
يتمزَّق من داخلٍ
يتجزّأُ في ذاتِه،
لا لشيءٍ سوى
ضيقِهِ:
لا يرَى معه آخراً
لا يرَى غير
أظفارِهِ.

٣٣٨هـ.

- ٣ -

شيعةٌ - سُنّةٌ:

زهرةُ واحدَهْ

تتقصَّف ضِغْناً

وجهلاً

في عَواصفِ

أهوائِها الباردَهْ.

- ز -

هَيّأتُ لِجسمي

جِلْداً آخرَ أظهرُ فيهِ

أَنّيَ غَيْري.

وَحديثي مع هذا الجِلْدِ يطولُ

ولن أتحدّثَ عنه

مع زمَنٍ مَيْتٍ.

هذا زمَنٌ مَيْتٌ.

* لا ضياءٌ - سوى ذلك البَرْقِ،

يَخرجُ مِن قَوْلَةٍ

تتلألأ، أو خطوةٍ.

أَلبقيّةُ جَبّانَةٌ.

٣٣٨هـ.

- ٤ -

سُنَّةٌ ـ شيعةٌ:
مدنٌ من شكولِكِ،
مُدنٌ مِن جراحٍ،
مُدنُ الصَّمْتِ
والهَمْسِ
والمومأةْ،
لِمَ لاَ يبعث اللّهْ
ضوءَ الحقيقةِ
في هذه المدُنِ
المُطْفَأَةْ؟

- ح -

تلعبُ النّردَ مع سيّد الحظِّ؟
مِن أين تَحظى بهِ؟
صُوَرٌ في صَحارَى تُسمَّى مدائنَ، لكنّها
تتحرَّكُ عمياءَ ـ ماذا؟
سيّدُ الحظِّ يكبو على سَرْجِهِ.

لا أشكُّ: خيولُ الزّمانِ بِلاَ سَائِسٍ.

* رقصُ دُبٍّ على عرشِ هذا السَّديمِ المُزَكَّى
بِالخُرافةِ، أم رَقْصُ رَبٍّ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

ـ ٥ ـ

سُنَّةٌ ـ شيعةٌ:

كُرةٌ سُوداءُ

تتدحرجُ فينا

نتدحرجُ فيها،

حَتَّى لَنَكادُ نَضيعُ،

ونجهلُ كيف نميّزُ

فينا

بين المَوتى والأحياءْ.

ـ ط ـ

هل أرى شكلَ غُصْنٍ من الغَارِ في
مُدخَلِ البابِ، أم أتوهَّمُ؟ بابٌ
يذكّر بالبَدْءِ ـ هل كنتُ أحلمُ؟
هل كان رأسيَ شكلاً لِطيْرٍ؟
أَمْ تُرانيَ أعطيتُ إِذْاكَ جِسمي
إلى آلةٍ؟

كلُّ شيءٍ يذكّر بالبَدْءِ،
دَعْ جسمَكَ الآنَ يَنْهَضْ إلى سِرِّهِ.

* دائماً،
يبدأ اللَّيلُ مِن سُرَّةٍ.

- ي -

أشعر الآنَ أنّيَ في حاجةٍ
كي أغنّي
لا لهذا الأمير ولا ذاك،
لا للخليفةِ، لا للمكانِ ـ ولكن
لِلضّياء الذي لا يُسمَّى.

أشعرُ الآنَ أنّ الشّرارَ الذي فِيَّ
من هذه الطّبيعةِ
في حاجةٍ كي يُصلّي.

* أتُرى ذاكَ مُسْتَقبلي:
خَيْطُ أَرْيَانَ
يُسْجَنُ في مغزلِ؟

الذّاكرة
٣٣٨هـ.

ـ ٦ ـ

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:

نِسوةٌ أو رجالْ،
بعضُهم بِاسْم سُنّيّةٍ
بعضُهم بِاسْم شيعيّةٍ،
يحرقون البيوتَ،
يَجرُّونَ أصحابَها
بالحِبالْ.

٣٣٨هـ.

ـ ٧ ـ

سُنّةٌ ـ شيعةٌ:

ألقوافِلُ من عهد
عادٍ، تجوبُ
مفازاتنا،
وفي كلِّ دَرْبٍ، وفي
كلِّ حيٍّ لها مَحْفلُ.
فَبأيّ الخُرافاتِ
نرفع في أرضنا
رايةً لقتالٍ
ولمن، ولماذا
نَتقاتَلْ، يا أيُّها
الرُّحَّلُ؟

ـ ك ـ

أَلطريقُ التي سلكَتْها خُطايَ، سَلُوها
لِتروا ما رأيتُ. سَلُوها
عرفَت كلَّ شيءٍ:
شغَفَ القافلَهْ
وعذاباتِها،
والسُّهولَ التي رصدتْني، والجبالَ التي طاردتْني،
سَلُوها
عرفَتْ نكهةَ الموتِ في زفَراتِ النِّياقِ،
وضاعَت
بين أنّاتِها ومالَتْ
تحت أعناقِها المائِلهْ.

* أَتقصَّى، أسائِلُ: أين جذوريَ ـ في صخرةٍ، مثلَما قال جُرْحي؟
أَمْ تُراها، كما قال شِعريَ، في مَوْجةٍ؟

٣٣٨هـ.

ـ ٨ ـ

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:

نُهبَ الكرْخُ[1]. قَتْلى.

والوزير البويهيُّ

تُؤخذُ أموالُهْ.

صائدون يصيدونهُ.

أيّها الصّائدونْ

ألإمامُ هُوَ

الفَتْكُ.

وتُعْساً لدولاب

هذا الجْنونْ.

ـ ل ـ

في الغُرفةِ حيثُ أنَامُ، بُيوتُ عناكبَ،

حَظُّ

أَلاّ يصدرَ عنها أيُّ هسيسٍ.

في صمتٍ تبني، وتعيش كأنّ العالَم خيطٌ

أَوْهَنُ مِمَّا تنسجُ أروي

لفِراشي كيف تُسافرُ تحت السَّقْفِ

وبين زوايا، حول سريريَ، في أَشيائي

إِحداهنَّ تجيء الآنَ وتذهبُ فوق غطائي.

مِن نافذتي

يتدلّى خيطُ بَياضٍ.

* كيف تبني مقامَكَ يا شِعرُ في الأرضِ،
مِن أين يأتي إلى رئتيكَ الهواءْ،
والفضاءُ فَمٌ خَيَّطتْهُ السّماءْ.

(١) نُهب الكَرْخ في هذه الفتنة. وخرج، في السّنة نفسها، «عمران بن شاهين الصيّاد، وانضمّ إليه الصيّادون. هزموا الوزير البويهيّ، وأخذوا أمواله. قويت شوكتهم».

٣٣٨هـ.

- ٩ -

سُنَّةٌ ـ شيعةٌ:

لَفْظتَانِ تنوءانِ
تحت الجِراحْ،
كلُّ حَرْفٍ محيطٌ
مِن دَمٍ وبكاءِ.
لم تعد تتغنّى بغير
أَساطيرِ قتلاهما،
شَهقاتُ الرِّيَاحْ.

- م -

رأسيَ الآنَ ملآنُ شَوْكاً.
تَعَبٌ راكِدٌ في قرارة جِسمي،
تَعَبٌ آسِنٌ.

أَلزَّمانُ يلمُّ الفصولْ
وَيُقطِّعُ أوصالَها ـ يزنّر جسمي بها.

إِقْرعِ البابَ، يا أيّها الذُّبولُ
ولا تَفتحِ البابَ، يا أيّها الأُفولْ.

* ما دمتَ تُجاهِرُ أنتَ ملاكٌ
فلماذا لا تبقى طيْراً أو تبقى ظِلاًّ؟

ـ ١٠ ـ

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:
فتنةٌ دائِرةْ
كيف لا يَنْفرُ
الضّوءُ منها،
وترفضُها
اللّغةُ الشّاعِرةْ؟

ـ ن ـ

في سريريَ شمسٌ ترنُّ خلاخيلُها،
والوسادَةُ محشوّةٌ
برياحينَ لا حلمَ فيها.

لم أعُدْ مالكاً لِنفسي:
وَطني قَشُّ غَيْبٍ
ودروبي شرارٌ ـ
وكأنّي أسيرٌ لهذا الكَلامْ.

ليلُ هذا المكانِ ثقيلٌ
وأنا عاجِزٌ أن أنَامْ.

* كلُّ ما قلتَهُ، أو أشرْتَ إليهِ
صُوَرٌ في كتابِ المُحالْ،
فلماذا، لماذا
لم تزل تعشقُ الأرضَ، يا أيّها الخيالْ؟

الذّاكرة

٣٣٩هـ.

أُرجِعَ الحَجرُ الأَسْودُ[1]:

أَلطَّريقُ التي شَقّها عائداً،

بعد عشرين عاماً

إلى بيتِه،

حَجَرٌ يَنْحني،

وأساطِيرُ

تُسْتَوْلَدُ.

- س -

أَلحُروفُ السّواكنُ، شأنَ الحروفِ

الصّوائتِ، ليست غُراباً

ولا هُدهداً.

سُوَرٌ من غيوم الخريفِ، يُحوّمنَ في

رأسِ صَيْفٍ:

يَسْتَشِرْنَ ينابيعَهُ

ويؤكِّدنَ ما قَلتُهُ.

* لا أريد العراقين مُلْكاً،

لا أريدُ الولايةَ حتَّى على كوكبٍ، فخذني

أيّها الشعرُ، خذني

إلى خيمةٍ، أو إلى وَرْدةٍ.

(١) قيل في تنويع على الرّواية التي تقدَّم ذكرُها: «لمّا أخذه القرامطة، حملوهُ على عِدّة جمالٍ تقرّحت ظهورها، ولمّا رَدّوه، حملوه على جملٍ واحدٍ، ولم يُصبْه أذىً!».

الذّاكرة

٣٤٠هـ.

- ١ -

يَدّعي أنّه الرّبُّ[1]؟

خَلْوةُ في شأنِهِ.

ما الذي يتغيّرُ إن

قال لِلشّمس أو للألوهةِ

شَخْصٌ:

إنني وَجْهُكِ الآخَرُ؟

قد يُقال له أنتَ طِفْلٌ

أو يُقال كلامُكَ

مُسْتَغْرَبٌ، ولكن،

لا يُقالُ لَهُ كافِرْ.

- ع -

حَقّاً، كأنّ الكونَ مُنْقلِبٌ عليّ.

ماذا جنيتُ من الحياةِ؟ تشرُّدٌ

وصداقةُ امرأةٍ. فقيرٌ

لِلدّمع يمزجني بنبع جراحِها

لِغلالةٍ

أتنوّر الجسدَ البهيَّ وراءَها

وأزيحُها خَفِراً وأَهوي

في لُجَّةِ الجسَدِ البهيّ.

* لا تَقُل هذه طريقيَ، أو هذه طريقٌ،
إذا لم يكن بدؤُها هُوّةً.

(١) «رُفع إلى الوزير المهلّبي رجلٌ مِن أصحاب جعفر بن أبي العزّ الذي قُتِلَ على الزّندقة، كما قُتِل الحَلاّج. اتّبعهُ جماعة من الجهلة صدَّقوه في ادّعائه الرّبوبيّة، وأنّ أرواح الأنبياء والصّدّيقين تنتقل إليهم. وُجدت في منزله كتبٌ تدلّ على ذلك. كان معزّ الدولة يُحبّ الرّافضة. قبّحه اللّه!».

٣٤٠هـ.

ـ ٢ ـ

أنْ يجيءَ نبيٌّ
أوْ مَلاكٌ، وينزلَ
في صَدْرِ شَخْصٍ
شاعرٍ أو سواهْ،
حدَثٌ من بَهاء السّماء،
بَهاء البشَرْ
حَدَثٌ ليس فيهِ
ما يَضيرُ الإلهْ،
حَدَثٌ يُنْتظَرْ.

ـ ف ـ

هَلاَّ سمعتَ هديرَ مَوْجِيَ أيّها الزَّمنُ
الحطامُ
لا صوتَ يقدرُ أن يُحيطَ بما أُحسُّ
ولا كَلامُ.
بزغت نجومٌ في فضاء تشرُّدي
ناجَيْتُها،
وسألتُ عن أسمائِها
لا نورَ أَصْغى للسؤالِ ولا ظلامُ.

* أَشْعِلْ قنديلاً، حيث ذهبْتَ،
ولا تَسْتغرِبْ
إِنْ لم يَرهُ إلاَّ عميانٌ.

٣٤٠هـ.

- ٣ -

نَفخَ اللّهُ من روحهِ
في جسوم بنيهِ،
فرأى بعضُهُم
أنَّ في روحهِ نبيّاً
ورأى بعضُهم ملاكاً،
لا مسافةَ، لا فَصْلَ
في نَشْوة الكونِ،
بين الحضورِ وبين
الغيابْ،
ورحيقُ السَّماء رفيقٌ
وصِنْوٌ
لِرحيقِ التّرابْ.

- ص -

أهو الفرارُ؟ أفرُّ من حُلْمي، ومِمّا كانَ
لي أفقاً، وأتركُ مِصْرَ؟ عفوكَ
يا كليميَ، أين أنتَ؟ وأنتَ يا هذا
النّخيلُ أَجِبْ، ويا ذاكَ العرارُ.

أَتُرى طريقيَ شئتُهُ،
أم شاءَني؟
أَتُراه ضوءٌ مُسْتَعارُ؟

* لا تَخفْ غيرَ عِلْمِكَ،
يا أيّها العالِمُ.

٣٤٠هـ.

ـ ٤ ـ

شَزراً، طِفْلَةٌ
نظرت للمعلّم، قالت:
لا أرى بين عينيك
أيّ ملاكٍ.

قيل كان المعلّم
يَرْوي لها
أنّه نَجمةٌ.

ـ ق ـ

ماذا أقولُ لِمصرَ؟ كلاّ،
لم أَهْجُ مِصْرَ ـ سَخِرْتُ من حُكّامِها
(لكنّني أخطأتُ إذْ ماهَيْتُ بين تُرابِها
ونظامِها).
لم أَهْجُ مِصْرَ ـ هجوتُ ذُلاً
وضمائراً منخورةً.
وهجوتُ عَرْشاً: ما شأنهُ
إن لم يكن ضوءاً يُسبِّح وجهَ مِصْرٍ؟

* ربّما كان ذَنْبي
عند أعداء شِعري،
أَنّني
لا أكنُّ لهم أيَّ شَرٍّ.

٣٤٠هـ.

ـ ٥ ـ

شاعِرٌ أكّد الأصدقاءُ
وأكّد جيرانُه
أنّه، كلَّ يومٍ،
يَتقمَّصُ مِصْباحَ ما
كان يُدعَى زقاقَ
العروسةِ في حَيّهِ
ويأوي إلى حانةٍ.

قِيلَ من قَبلُ عنه:
عادةٌ تشرق الشّمسُ
في جَوّ بغدادَ
مُسْلِمةٌ خَصْرَها
لِهوى كتفَيْهِ.

- ر -

بيني وبين النّيل فاتحةٌ على غيب الجراحِ،
وبين شِعري
والنّيلِ سِرُّ غوايةٍ كُبْرى، وبينهما انفجارُ
أَبَدٌ من المعنى تقمَّصَ أرضَ مِصْرٍ
مِيثاقُهُ ماءٌ
وصورتُه من الماءِ الشَّرارُ.
وأقولُ مِن وَلَهٍ، وأكتم غَيْرتي:
يا نِيلُ كيف يصحُّ أن تستقطبَ الدّنيا،
وتعشقَك العناصِرُ والفصولُ،
ولا أَغارُ؟

* قُلْ: نعمْ لِلطَّريقِ،
وكلاً لمن شَقَّها.

٣٤٠هـ.

- ٦ -

انظروا هذه المِدفأةْ
حولها، حول جَمْرٍ
يتأجّج في صدرِها،
تتبادَلُ روحيهما
وردةٌ وامرأَةْ -
فوق رأسيْهما
مَلاكٌ
يغطّيهما بأهدابِهِ.
انظروا، ها هو
الملاكُ يوحّد
وَجْهيهما.

- ش -

أَتُراه يشتاقُ الفراتُ إلى خُطايَ؟
تَرى إليَّ أزقّةٌ
في الكوفةِ ارتسمتْ عليها
آهاتُ سَقّاءٍ؟ أتحتاج السّماءُ إليَّ،
كي أصلَ النّجومَ بليلِ جَدّتي البعيدِ،
وكي أُلامِسَ غيبَ أمّي؟

هوذا أعود إليهمُ
هوذا أعودُ بلا رجاءٍ وبدون يأسٍ،
أحيا غريباً مثلَهم
الشّعر كوكبُنا وفتنتُه المدارُ.

* ليلاً، حين أنامُ، يكون العالم في رأسيَ مَعْنى،
فلماذا، حين أفيقُ صَباحاً
يصبح هذا المعنى صُورَهْ؟

٣٤٠هـ.

ـ ٧ ـ

ظَبْيةٌ قَتَلَتْها
رماحُ القبيلةِ، لكن
هِيَ ذي تتناسَخُ في حانةٍ
كان يأوي إليها
نواسيُّنا.

ظبيةٌ تتناسَلُ
في ماء أحزانِها.

ـ ت ـ

خمرُ الغيوبِ تَسيلُ في جسد المكانِ،
شُعاعُها
جسَدُ الهواءِ: دمي رحيقٌ
مِمّا تُعتّقُهُ، وأيّامي جِرارُ.

مِن أين آخذُ هذه الدّنيا، ولؤلؤ عَرْشِها
طينٌ، ومالِكُها غبارُ؟
أَتُرى حياتيَ نَشْوَةٌ
طاشَت وطاشَ بها المسارُ؟

* يُوشكُ من يَفهمُني حَقّاً،
أن يَسْتَعْبِدَني.

٣٤٠هـ.

ـ ٨ ـ

أَلرُّوحُ رحيلٌ.
ماذا لو شاءَتْ
أن تتوقَّفَ أو أَنْ
تَسكن في مفتاحِ
أو في قِفْلٍ؟

أَلرُّوحُ هواءٌ أو نورٌ
ولها أن تسكنَ أنّى
شاءَتْ.

أهناكَ ملاكٌ
ليس هواءً،
أو نوراً؟

ـ ث ـ

شَرَرُ الرَّحيل لَبستُهُ
وَبنارِهِ لَقَّحْتُ خَطويَ: لا قَرارُ.

أَلخالِقونَ كأنَّما خُلِقوا لكلّ مدينةٍ
ولكلِّ عَصْرٍ،
في كلّ مُفتَرَقٍ لهم بيتٌ،
وكلُّ سَحابَةٍ لهمُ دِثارُ.

* الوجودُ عَطاءٌ:
أَعْطِ كي تَتيقَّنَ أَنَّكَ حَيٌّ.

٣٤٤هـ.

- ١ -

إنّها الحربْ[١]

تغسل أردافها

بدم المسلمين!

- ٢ -

سمَكُ العَرش

يَسبحُ في

بركةٍ من دماءٍ،

والحياةُ جحيمٌ

حيثما كنتَ في ظلّ

هذي العروشِ -

عروشِ العَرَبْ،

فازْفري عالياً وانْشُجي،

يا رياحَ اللّهَبْ.

- خ -

يا ذلكَ الوجهُ الذي رسمَتْه أَيّامي على

جسَد الحياةِ أَنِرْ خُطايَ أَنِرْ

هَوايْ

لي منكَ في الظنّ الجميلِ على فِراشيَ شَمْعةٌ

هوذا أَدورُ بها وأكتبُها،

وأَقرأ ما تَخبَّأَ من دفاترِها،

وتسكر بِاسمها لغتي، ويَسْكر بِاسمها

حبّي، ويسكر ساعدايْ.

* لا ضياءٌ،

إذا لم يكن آتياً مِن جراحِكْ.

(١) «جرت حروبٌ كثيرة في هذه السنة، بين المعزّ الفاطمي، وصاحب الأندلس عبد الرحمن النّاصر الأمويّ».

٣٤٤هـ.

ـ ٣ ـ

فاطميُّ هنا، أمويُّ
هنالك، والنّاسْ
في أمرهم، وفي غيّهم
سَادرونْ،
ولماذا، إذن، لا يُربَّى
على الحَرْب آباؤنا
وأَبناؤُنا؟
ولماذا
لا تُشَقُّ القُبورْ
لِنُشْرك فيها،
ويُبْتَعَثُ
الميّتونْ؟

ـ ذ ـ

أَلشَّمسُ تدخلُ في خِبَاء حنينِها ـ
حانَ الرّحيلُ
ماذا؟ كأنّ هوايَ مُنْشَقٌّ
وترحالي عليلُ
في ساعديَّ قيودُ أحلامٍ
وفي قلبي طلولُ.

* الدّمعُ طريقٌ
تسلكه العينُ لتكتبَ فيهِ
ما لا تقدرُ أن تَقْرَأَهُ.

٣٤٤هـ.

- ٤ -

فاطميٌّ هنا، أمويٌّ
هنالك: رُمْحٌ
في افْتِتانٍ،
وسْيفٌ
في عبَاءة زَهْوٍ.

يَا بلادَ الكتابِ
وأسرارِه العاليهْ،
رُبَما فاتَكِ الوَقْتُ:
هذي الحياةُ التي
شئْتِها،
لا طريقٌ لها،
لا مكانٌ سِوى
الهاويهْ.

- ض -

غَنّيتُ للمتشرّدينْ
أَلغاضبينَ على الهواءِ - يهبُّ دونَ رسالةٍ
مِن طائرٍ أو وردةٍ وقرأتُ شعريَ
للفضاء - ممزَّقاً بحدودهِ وأقولُ للمتجبِّرينْ،
في أيّ قافلةٍ مَضَوْا مِن أيّ قافلةٍ أَتَوْا:
ناموا وراءَ سيوفكم،
ناموا أمام سيوفكم،
وَلْينهمرْ كَذِبُ المدائحِ فوقكم،
وَلْيَصطَخِبْ قالٌ وقِيلُ،
في هذه الأرضِ الجميلَةِ
وحدَه، يَبْقَى الجميلُ.

* عَبثُ الواقعِ عالٍ
لا يقدرُ أنَ يَبلغهُ حُلْمٌ.

٣٤٤هـ.

ـ ظ ـ

أَلوحدةُ اتّكأَتْ على أَوْجاعِها
والضّوءُ يقرأ جُرحَهُ
لكواكبِ اللّغةِ البعيده.

في كلِّ شيءٍ بُحَّةٌ
والأفْقُ منكسِرٌ: حضَنْتُ
هَواجِسي،
ودخلتُ في كَنَفِ القصيدَهْ.

ـ ٥ ـ

آمونيٌّ هنا، فاطميٌّ
هنالك: يا هذه
الأمُ، يا أبجديّة
تاريخنا الدّامِعَهْ،
لم نعد فيكِ إلاّ
تَعلّةَ شكلٍ:
نحن تمثالُكِ العجينْ
وخِرْقتُك اللامعهْ.

* لا جحيمٌ، ليعرفَ كيف يُحسُّ بنارِكَ،
أو يرتقي إليها، أيّها العاشِقُ
لا نعيمٌ، ليعرف كيف يُحسّ بنشوتكَ
الكوكبيّة، أو يرتقي إليها، أيّها
الخالِقُ.

٣٤٤هـ.

- ٦ -

فاطميٌّ هنا، أمويٌّ
هْنالكَ: والنَّاسُ
في حيرةٍ ساهمونْ.
أنقولْ السَّلامُ على
أرضنا
أنقولْ وداعاً لتاريخنا؟
وأنا لستُ إلاَّ سؤالاً،
هل لديكم جوابٌ
أيها العارفونْ؟

- غ -

لا حدودٌ لِمَسْرى هَوايَ. الحنينُ رداءٌ.
أتخيَّلُ ما تهمسُ الأرضُ،
ما يجهرُ البَحرُ،
ما ستقولُ التُخومْ.
سيكونُ افْتِتَاناً أن تسيرَ بيَ الأرضُ
حرّاً غريباً
قدَماً في الثَرَى، قَدَماً في الثُريّا.

أتبعثَرُ في فَلَكٍ من ظنونِ
وأسائلُ مِن أين جئتُ إلى أين أذهَبُ،
عَرّافةَ النّجومْ.

* من يقولُ: القصيدةُ ليلٌ
وعُزْلَةُ مُسْتَوحدٍ في سَفَرْ؟
أَلقصيدةُ أرضُ البَشَرْ.

هوامش
(يوميّات المتنبّي)

VI. غَوْر

١ ـ لو

أَتخيَّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حَلباً، وأُحيّي كوفةَ الثائرينَ ـ تَرصَّدْ
كيفَ تَعجنُ بغدادُ أحزانَها
في الميادينِ، في كلّ حيٍّ، وفي كلّ بيتٍ
وتُزاوِجُ بين الرَّغيفِ وأَحلامِها والسَّهَرْ.

لَوْ ترصّدْتَها،
لَصنعتَ من اللَّيل قيثارةً وغنّيتَها
وتَمثَّلْتَ فيها هواكَ ومَهْديَّكَ المُنتظَرْ.

٢ ـ عهد

لم تتركْ إثْماً
إلاَّ علَّمتَ جراحي أن تُتْقِنَهُ
مائي ظَمَأٌ
ودمي لُججٌ مِن حيتانِ.
لكَ عَهْدي ـ أَنْ أَبْقى
أتعلَّمُ كيفَ سأولَدُ، كلَّ نَهارٍ،
بِاسْمِ الحبِّ،
وكيف سأحيا.

٣ ـ تجويف

ليس هنالك، حيث وُلِدتَ،
وحيث سَتُقْبَرُ، إلاَّ
تَجْويفٌ يُنْفَخُ فيهِ
مِن رُوح غبارٍ شَيْخٍ
طِفْلٌ قاموسيٌّ.

هل يُزْهِرُ صَخْرٌ حَقّاً
إِنْ لاَمَسَهُ رَبٌّ؟

٤ ـ عندما

عندما تعبرُ
يُكْسَرُ الضَّوءُ في خطواتكَ،
والشَّمسُ تفتح أحضانَها
لكتابِ الجراحِ وأسرارِها،

عندما تعبرُ
في زِقاقٍ تَعلَّمْتَهُ خطوةً خطوةً،
أو إلى جَنْبِ مئذنةٍ نمتَ في ظِلِّها،
أو قبالةَ بيتٍ من الطِّينِ آخيتَهُ ـ ولكن،
قُلْ، لماذا
عندما تعبرُ
لا تلوِّحُ، لا تَنظرُ؟

٥ ـ مُداوَلة

حَلَبٌ ـ كيف صارَتْ
أنتَ يا مَنْ شَبَبْتَ على زَهْوِها
وتَشَبَّبْتَ بالكَوْنِ فيها؟

أَلغبارُ فَمٌ يَشْرَبُ الضَّوءَ
والشَّمس ترثي قُوَيْقاً.

أَتُراها الأرائِكُ مَحشوَّةٌ رؤوساً؟
وما هذهِ الجسومُ التي تَتوحَّشُ،
ما هذهِ الرّؤوسُ التي تُرْكَلُ؟

جَحفَلٌ مِن عظامٍ يَغِيبُ
لِيَظهرَ في إِثْرِهِ جَحفلُ.

٦ ـ مطبخ

يَقْرأ القَصْرَ والشّعراءَ وأهلَ السياسةِ، طَبّاخُهم:

أَعْطِهِ صُرّةً،

أَعطِهِ منزلاً، أو حصاناً،

أَعْطِه ريشةً ودَواةً،

وقِدْراً

لِلحساءِ، وخُذْ ما تيسَّرَ

مِنْ حَشْدِ هذا الورَقْ.

وَرَقٌ قُرَشِيٌّ

مَنْ تُرى يتجرَّأُ أن يتوسَّل طَبّاخَهم

كي يكونَ رفيقاً بهذا المَرَقْ؟

٧ ـ إنَّها

إنَّها ـ لا تردُّدَ، لا شَكَّ في ما أقولُ ـ السَّماءْ
فوق بغدادَ، في حلَبٍ، في دِمشْقٍ
وعلى ضِفّة النّيلِ، ترعى
وتحرسُ عَرْشَ الخِلافةِ،
والوارثينَ،
وغِلْمانَهم.

إنَّها إنَّها السَّماءْ:
في يَدٍ خَنْجَرٌ،
في يَدٍ بَبَّغاءْ.

٨ ـ أبداً

أبداً، لو تَوضَّأْتَ بالعِطْرِ،
لو أَنَّكَ العِطْرُ،
باركتَ أيّامَنا وباركْتَنا
بالكلام الذي سُمِّيَ الوَحْيَ،
أو بالتّراب الذي لا يزال على وجههِ
أَرَجُ الأنبياءِ وآثارُ أقدامهم،

أبداً،
لن يكونَ لتاريخِ مَعْناكَ إلاَّ
شَكْلُ مُسْتَنْقَعِ.

٩ ـ نقائض

ما تُرانا نقولُ هنا الآنَ في المَرْءِ ـ هذا الذي
تتحيَّرُ فيه البصائرُ: جَمْعٌ
من نقائضَ. ذاتٌ
تتقنَّعُ حتَّى لَتلبسُ كلَّ قناعٍ. جُزَيْءٌ
يحتوي الكُلَّ. يُخلَقُ لكنه خالِقٌ.
عاقلٌ والجنون هواءٌ له. واهِمٌ
غيرَ أنَّ له بصَراً من حديدٍ،
حائِلٌ ثابِتُ.

ما تُراك تقول هنا الآنَ فيه ـ
أنتَ، يا عقليَ الصَّامِتُ؟

١٠ ـ رقص

يَضْحكُ النّيلُ أم ذاك طِفْلٌ
له النّيلُ وجهٌ؟

رقصُ مَوْجٍ
وفي العُشب، في الضفَّتيْنِ، عيونٌ
تتلمَّسُ أحلامَها،
وقاماتُ ضَوْءٍ، وأكفٌّ تُصفِّقُ. عِيدٌ.

عاشِقٌ ممسكٌ بيديْ شَمسهِ:
يَلبسُ الفجرُ ثوباً
حَاكَهُ من براعمِ أزهارهِ.

آهِ، يا ذلك الحبُّ. من أين تأتي إلى كوخِ أيّامِكَ الباكيَهْ
هذه النّجمةُ العاليَهْ؟

VII

فاصلة استرجاع

(المتنبي يخاطبُ امْرَأَ القيس)

النّخيلُ يفتح لك الطريقَ حيث تعبر ناقةٌ تشبه الكلام. ألهذا
سمّيتَ الحبَّ غزالةً رحتَ تطاردها وتركتَ أنحاءكَ
تتشبَّه بالأُفق ونفسَك «تتساقطُ نفوساً»؟
«اليومَ خمرٌ وغداً أمر»:
عرفتَ كيف ترقص منفرداً، وكيف تصنع لموتك فضاءً.

حين تناءَتْ «فاطِمُ»،
خرجَتْ أحزانُكَ وراءها تِلالاً.
أنتَ الآن مُفْرَدٌ وأستطيع أن أسألكَ:
هل أحزانُكَ لك؟
هل أنتَ أنت؟

خدعتك «فاطمُ» ـ

ـ غديرٌ عارٍ:
نساءٌ
يلبسنَ
الماء.

مَنحتكَ كلَّ ما ليس منها.

خانتكَ ولم تهجرك:

هكذا، غالباً، يُولَد الحبُّ.

ـ هل الحياةُ امرأةٌ تعيش
في غابات
المجاز؟

في «المُلْكِ الذي حاولتَه»، وتركْتَه تائهاً، يمتدُّ شهيقٌ يحمل تاريخك:

ـ كان فارسَ
الهجوم،
لهذا
خانته
الأشياءُ الهاربة.

العمل حصادُك الذي اكتمل،

والحلم الزَّرعُ الذي لا يكتمل.

إنها الصَّحراءُ لا تشيخُ وهيهاتَ أن ترتوي بماء كلماتك.

ـ أليست الغيمةُ
الصيّادَ الوحيدَ
الذي يموتُ
لتحيا
طريدتُه؟

ها همُ «الحُرّاسُ» يَسْتسرّون في الهواء

ها هو «القتل» بساطُ المسافات

قُل لصاحبكَ: «لا تبكِ»، وضَعْ خَدَّك على التّراب.

حولك رياحٌ
وفي مكانٍ ما، بقرةٌ وحشيّة تزفر حنيناً.
مع ذلك لا تزال شفتاكَ بين حروفكَ،
وما زلتَ معنا،
تهجمُ، وتجوبُ المفازات.

«مَوجٌ هو اللّيل، والصّباحُ ليلٌ آخر»،
«ذراعك تضيق أن تقومَ فتلبسَ رداءك»،
وها هي الرّيحُ تَنسجُ المكان.

ـ هل الغبارُ يكتبُ الرّيحَ، أم الرّيحُ تكتبُ الغبار؟

خَطِّطْ لهذه النهاياتِ حروبَها، واستبسلْ.
سيكون الرّملُ فخوراً حين يغمرُكَ،
وسوف ترقصُ الرّيح.

أعطيتَ أطرافَكَ للأقاصي مازجاً بين الشّمس
ولهبكَ: هكذا وسَّعتَ حدودَ سِجنِكَ.
أيُّ عُرْيٍ في أن تشاهدَ الصّحراءَ تلبسُ

أحلامكَ!

أيّةُ حرّية في أن يكون الهواءُ حصاراً!

أنت الآن تتشرَّدُ في قبيلة الصّمت، والشّعر وحدَه
يَستعيدُ صراخَكَ في مجالسَ لِلنّبيذِ والطّيب
حيث تَغْتصب اللّذةُ لُطفَ السَّماء وتتصالح مع
السَّرابِ النبوءات

مُخالِفٌ مُنازِع:

أيّها التّائهُ كيف تقودُ غيرَكَ؟

قوسُ قُزحٍ من جهة الشآم:

إنَّه شِعركَ ينزفُ الضّوء.

٣٤٥هـ.

ـ ١ ـ

فتنة تتواصَلُ. قَتْلى.
شيعةٌ. سُنّةٌ.
وهذا
نصْفُ جِنٍّ. وهذي
نِصْف شيطانةٍ،
والبقيّةْ
صُورٌ تتألّهُ في
نُسَخٍ آدميّةْ.

ـ أ ـ

وَطَنٌ تُدَحرجُه عروشُ اللّهِ،
هَلْ يُجدي المقامُ لكي نُغيِّرَهُ؟
وهل يُجدي الرَّحيلُ؟

فَلأَحتفِظْ بِهواهُ،
وَلْأَهمسْ لقلبيَ: كلُّ جرحٍ
وَطَنٌ لِنبْضِكَ، أو دليلُ
وَلَسوف تُؤويكَ الغيومُ كريمةً
وَلسوف يُسعفكَ النَّخيلُ.

* فَرحي طاغٍ:
أَلهذا لستُ سعيداً
فيما أتنسَّمُ عَصْري؟

٣٤٥هـ.

- ٢ -

مُنْشِدُ الكَرْخ

مُنْبَزُ أحزانه

شارِدٌ وارِدٌ.

والجموعُ على عهدها

تتضوَّرُ حُزْناً

وجوعاً.

إمْحي واخْرُجي

من تهاويلكِ

النّيزكيّهْ

أيّها الهالَةُ الماضويّهْ.

- ب -

عجباً! نَهاريَ كيفَما عاينتُهُ

ظلماتُ شَكٍّ

ويُضيئُني،

ويُضيءُ ظلمةَ شكّيَ اللّيلُ الطّويلُ.

رُدّي عليَّ غطاءَ حبّي

رُدّي إليَّ غوايتي -

يا فتنةَ الدّنيا، أنا وجحيمُ عطرِكِ واحِدٌ

والمستحيلُ.

* رَبٌّ لا يعرفُه أحدٌ غيري

لا يفهمُه أحدٌ غيري،

أَيقنْتُ وأوقنُ فيهِ.

٣٤٦هـ.

ـ ٣ ـ

عاشِقٌ يتسلّقُ
ضوءَ النّجوم إلى
حبّهِ،
أخذتْهُ فجأةً، بين أنيابها،
فتنةُ العرشِ والدّينِ.
أحْرِقْ
ما تبقّى: أغانيهِ.
أشلاءهُ الباردَهْ،
أيّها الشُّرطيُّ الذي
يحرسُ المائدَهْ.

- ج -

هُوذَا أعانق حيرتي
وأَرَى إلى زَمني يدورُ كأنّه
كُرَةٌ من الورَقِ العماءِ،
يجرُّها حِبْرٌ عمَاءُ،ـ

أَلأَرضُ وارثةُ السَّماءِ؟ خرافَةٌ.
ما أفقرَ الأرضَ التي تَرِثُ السَّماءَ.

* أرضُنا كُرَةٌ من تُرابٍ
وهذي
قَدَمُ اللّه تلهو بها، وَحْدَها.

٣٤٧هـ.

- ٤ -

بَعْدَ طَعْنٍ هَنيءٍ،
أبْحَرَ الرُمح في
الغيم، نحو السَّماءْ
كي يُزكّيَ
سِنَّهُ، ويُروّي
ساقه ويديْهِ
برحيقِ الملائكِ
والأنبياءْ.

- د -

مدنٌ تصيرُ مقابراً
وخُطىً تصيرُ دبيبَ نَمْلٍ.
حيَّيتُ ثَدْيَيْ نجمةٍ
وطويتُ تحتَ عباءتي ورقاً ضنيناً
أودعتُه ما كان بين دمي وهجرتِها النبيّهْ.

أأقول هذي سَقْطَةُ الدّنيا، تمور تُخومُها
بجحافلِ الموتى،
وترتطم الضحيّةُ بالضَّحيّهْ.

* أسَألُ: ماذا يمكن أَنْ يعني
أيُّ كتابٍ لم يقرأْني؟

٣٤٨هـ.

ـ ٥ ـ

كوكبٌ ـ فِتْنَةٌ:

هو في عين مَحمودَ
وجهٌ
هو في عين حمدانَ
تُفّاحةٌ
فلماذا تكون الطّريقُ
إليه،
دَرَجاً مِن دماءٍ
صاعِداً هابِطاً؟

شَغفي كوكبٌ آخرٌ
يجيءُ إلينا
بطيئاً على فِيلِهِ.
والطّريقُ إليهِ
دَرَجٌ من وُرودِ.

ـ هـ ـ

«أهناكَ شَيطانٌ يروِّعُني؟» سألتُ
سريرتي،
وأخذت أوغلُ في مخيِّلتي ـ أجسُّ
وريدَ حبّي،
وأقولُ، مِن ضَجَرٍ، كغيري:
رَحْوٌ هو الحَبْلُ الذي يصلُ الفجيعةَ بالرَّجاءْ.
وأقولُ مِن يأسٍ، كغيري:
نامَتْ نواطيرُ المدينة في طواحينِ الهواءْ.

* وحدَهُ، الغيبُ، يقدرُ أن يوقفَ الهواءَ
على رأسِهِ:
هل يُتاحُ لِشكّي
أن يَرى هذه المعجزهْ؟

٣٤٩هـ.

- ٦ -

نهضتْ شمسُ هذا
الصّباح، رأت جسْم
بغداد أحمر،
والنّاس في شُغُلٍ
فاكهينْ.

إنّه القَتْلُ يولِمْ
أَنْقاضَهُ،
إنها الحرْبْ تستنفرْ
الجائعينْ!

- و -

أَتعجَّبُ مِنّي: لماذا، جسَدي شائخٌ، وحبّيَ طِفْلٌ؟ ولماذا

جسدي، رُغمَ أهوالِهِ، جامِحٌ،
وروحيَ في صُورَةٍ لا تُشَبَّهُ؟ سِيري
نَحوهم، يا خُطايَ ـ
إلى هؤلاء الذين يدقُّونَ بابَ
الرّجاءِ، يعيشون في ظلّ أحلامهم.

واحِدٌ نحنُ:
حُبّي،
والكونُ لا يَنْتَهي.

* غيَّر الوقتُ كرسيَّهُ
والدّقائقُ نَحْلٌ ـ خلاياهُ في كلِّ حَقْلِ.

- ز -

رحْتُ أُوهِمُ صَحْبي
أَنَّني راغِبٌ في مقامي، ولكن
كنتُ في وحدتي أُهيِّئُ سِرّاً
لِلرّحيلِ بلطفٍ ورِفْقِ.

أَشكرُ الرَّملَ - فيه دفنتُ رماحي،
وحملتُ على الإبلِ الماءَ في اللَّيل زاداً
لعشرين يوماً.

قلقي كالسَّحاب يقيسُ السَّماءَ بأشلائهِ.

* زمني غابَةٌ من خيوطٍ
لعناكبَ مِن كلِّ حِبْرٍ،
وأنا طائِرٌ يُقلِّب فيها.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ٧ -

أَتُرى ذاكَ ما قالهُ الدّينُ:
إمّا هُناكَ، وإمَّا هُنَا؟

قِسْمةٌ مُرّةٌ
وخيارٌ عقيمٌ.

منْ تُرى أَنْتَ،
إن لم تَكُنّي أَنَا؟

- ح -

إنَّه العِيدُ(*)، والنّاسُ «في شُغُلٍ فاكهونْ»،
والأميرُ وحرّاسُهُ
في ابتهاجٍ وفي غَفْلةٍ.

جاهِزٌ كلُّ شيءٍ،
وطريقيَ بَيِّتُّها.

الرّحيلَ الرَّحيلَ وهم غافلونْ.

* تَعَبٌ ـ لا أُقايضُ هذا التَّعَبْ
لا بِمُلْكٍ على الرّافدينِ، ولا بالذَّهبْ.

(*) عيد الأضحى، وعشية العيد بالذات كتب قصيدته «عِيدٌ بأية حالٍ...»، وانتهزَ انشغال كافور والناس بالعيد، ليرحل.

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

- ٨ -

أيها الولَدُ النّابِهُ
أيها المتسكّعُ في
كُوفةِ الشّعر،
مُسْترشِداً
بأزقّةِ أحلامِها،
ربّما، كلُّ ما قالت
النّبوّاتُ خيرٌ.
ولكن،
كلُّ ما قالتِ الحياةُ
جميلٌ، ويؤكّد هذا
خِياري،
ما خِيارُكَ يا أيّها
الوالِهُ،
أيها الولدُ النّابِهُ؟

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

ـ ٩ ـ

ألنبيُّ الذي كانَ،
من حكمةٍ،
مُسْتَطيلاً،
يُصبحُ الآنَ، مِنْ
حيرةٍ، كُروياً.

طيّبٌ ليلُ هذا
اللّقاحْ
بين بَاه الغناءِ
وبَاهِ النّواحْ!

ـ ط ـ

هِيَ بَلبيسُ: عبد العزيز بن يوسفَ(*) ضوءٌ
في ظلاميَ ـ ضوءٌ صديقْ.

سيذلّلُ من أجليَ الصّعابَ، وأعرفُ
أنَّ الأميرَ يسيِّر خلفيَ خيلاً ورَجْلاً،
ويأمرُ عُمّالَهُ
كي يسدّوا عليَّ الطَّريقْ.

* ربَّما كان هذا الحجَرْ
قطعةً مِن شهابٍ هوَى.
ربَّما كان هذا الغمامُ بريدَ المطَرْ.

(*) كان الشاعر يعرفه، وقد نزل عنده في بَلبيس، فأكرمه وأرسل معه دليلاً.

- ي -

حِسْمَى(*) ـ أرضُ نخيلٍ، طيّبةٌ وندَى فَجْرٍ
مَحْمولٍ بين شِفاه نساءٍ يغزلْنَ
الضّوءَ، وقومُ فَزَارةَ ـ ما أكرمهم.

لكن، خيرٌ أن أرحلَ، يبدو أنّ فساداً
يَسْري بين عبيدي.

رأسُ الصّوّانِ وراءَ خُطانا
رأسُ حصانٍ بُحَّ ونامَ ـ الأفقُ نِداءٌ.

(*) حسمى موضع جميل يكثر فيه النخل.
ورأس الصوّان اسمٌ لموضعٍ آخر.

* كلّما قلتُ لِلشمس: لا تشربي ماءَ حبّي،
دَهَنَ اللّيل جسمي بِمرهم أحلامهِ.

٣٥٠هـ.

ـ ١٠ ـ

دجلةٌ ـ مُتْحَفٌ سائلٌ
لِلرّؤوسِ التي أُلْقِيتْ
فيه، بِاسْم الخلافة،
أو بِاسْم نُور الإلهْ.
دجلةٌ يتشهّدُ رُعْباً:
فَمُهُ من حديدٍ،
ومن ذَهَبٍ راحتاهُ!

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

ـ ١١ ـ

إنّها ريشةُ الشّمس
تكتب في دفتر الضّوءِ:
«قولوا
للمحبّين، للرافضين، لأهل
التمرُّد، للخارجين وأصحابهم،
إنّهم فتنةُ اللّغةِ العاليهْ
في حَناجر أيّامِنا الآتيهْ».

ـ ك ـ

جِسْمَى ـ كأنَّ ظلامَ اللّه منبسِطٌ
على المدَى، وجراحاتي قناديلُ
تهبّ خيلي كمثْلِ الرّيحِ غامرةً
وَجْهَ الشّروقِ، وفي صدري صدىً وهوىً
لدجلةٍ، للفراتِ السّمح يرفدُه
حبٌّ ورفضٌ وتنزيلٌ وتأويلُ.

أَرضُ العراق تباريحٌ على طُرُقي
وفي عروقي وأحشائي تراتيلُ.

* أَلنّوافذُ تصطادُ صيّادَها، ـ
كان طيْرٌ تنزَّلَ مِن كوكبٍ غامضٍ
يتخبَّطُ في قَفَصٍ من نُحاسٍ
جرفته النّوافذُ في دَمْعِها،
وفي رِيحِها.

٣٥٠هـ.

- ١٢ -

ألمدائنُ مخنوقَةٌ، -
أرضُها غابَةٌ مِن
عظامٍ،
والتُّخُومُ ينابيعُ
حمراءُ - حَقّاً،
موتُك الآن،
يا أيها الخليفةُ،
يا أيّها البائسُ،

أنّك القائدُ الأمينُ
لقطعانِ هذي
المدائنِ،
والحارسُ.

- ل -

دومة الجندلِ(*) -
صخرةٌ؟ رأسُ شخصٍ مَرّ والتهمتْهُ
شياطينُهُ؟
أَم تُراها صورَةٌ بينَ بينْ؟

في الفضاءِ نوافِذُ مِن كلِّ ريحٍ
والسَّماءُ تغيّر قمصانَها - السَّماء تواكبُ
ترحالَنا،
جسداً عارياً
وذراعين ممدودتينْ.

* وضع الغسَقُ الورديُّ يديهِ
فوق جبيني، -
مِن خاصرتي
يَهْمي عَرَقٌ ويسيلُ غبارٌ.

(*) اسم مكان.

٣٥٠هـ.

ـ ١٣ ـ

شَعْوذَ الفيلسوفُ
الذي يتكلّم سِرّاً
مع جناحَيْ يمامَهْ،

فاتَّعِظْ،
لا تُرِدْ كلامَهْ!

- م -

إبلي تَضربُ التِّيهَ مِن أَوَّلٍ
إبلي غابَةٌ من رماحٍ
إبلي تتآلَفُ مع غيمةٍ راحلَهْ
وتقولُ لِلَيل العراقِ انتظِرْنيَ في
فَيْءِ شُبّاكِها،

بعد أن تعبرَ القافلَهْ.

* رَحلَ العاشقون كما ترحَلُ النَّارُ
من ليل صَوّانِها، ـ
وَرَقُ الآسِ يقضم أظفارَه باكِياً.

٣٥٠هـ.

- ١٤ -

فقهاءُ؟

حسناً، يعرفون مِن

الكَلِم المَيْتِ أعشاشَهُ

والطّيورَ التي

تتناسَلُ من بَيضِها

والمصيَدَهْ،

ألهذا

يجرؤونَ على الشّعر؟

ذُعْرٌ

يَتشرَّبُ أعْضاءَهُم

كلّما وَاجَهُوا قَصيدَهْ!

- ن -

نَخْلٌ. موضعُ ماءٍ لا نحتاج إليهِ،

لا نحتاجُ لأيِّ خفيرٍ.

بعدَ قليلٍ،

نَأتي لِنقابٍ(*)، وهناكَ سنسألُ

أيّ طريقٍ

بعد نقابٍ نسلكُهُ؟

أَلشَّمس تغازِلُ خلفَ النَّخْلةِ

عَينيْ ضَبٍّ.

(*) اسم موضع.

* لم أزل

مثلما عوَّدَتْني ضفافُكِ، أسبحُ في

لغةٍ ماكِرَهْ،

يا فضاءَ الطُّفولةِ، أيَّتُها الذّاكرهْ.

(*) موضع مَرّ فيه المتنبي.

- س -

تُرْبانُ(*) - أينَ العراقُ الآنَ، يا إبِلُ؟
ما هذه الأرضُ؟ نامَ الذُّلُّ في دمِها
في نَبضها، وتساوَى البحرُ والوشَلُ.

تُرْبانُ، أوقظُ مَيّاً - أنتشي فَرحاً
بِرَبْعِها، وبغيلانٍ
وأحتفلُ.

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

- ١٥ -

شاعِرٌ فلكيٌّ
يتسكَّعُ
في أمّةٍ لاهيَهْ
ويقولُ الخلافةُ بيتٌ
لتقاليدها الباليَهْ.

هُوذَا - يَتَفَنَّنُ في
جَرْهِ شُرَطيٌّ.

* دخلَ الضوء في رَقْصهِ، -
أَلتّراب يُسائل عن وردةٍ
لم يسلِّم عليها أمسِ سَقّاؤها
والسَّماء ترشُّ على الأرضِ مِلْحَ
مواعيدِها.

(*) موضع مرّ فيه المتنبي.

- ع -

أَلبويَرةُ(*) نَقْرٌ على بابِ قَفْرٍ.
أَلبويرةُ ألقت على الرّمل جعبةَ أحلامِها
ونامَتْ.

طَلَلٌ دارِسٌ وآثارُ نارٍ، -
ربّما تُولدُ الأرضُ مِن أوّلٍ
في بقايا رَمادِ.

* نبتَ الشَّعْرُ في رأسِ هذا الحجَرْ
بِاسْمِ مُسْتَقبلٍ مُنتظَرْ.

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

- ١٦ -

«شاعِرٌ
هاربٌ
مِن ضجيج الرُّعاعْ
سِجْنُهُ - وحدَهْ
الطّريقُ إلى نفسه
في الظّلام الذي
يَتكاثَفُ مِن حوله؛
سجنُهُ وحده الشُّعاعْ».

هكذا أرَّخوا
للحياة التي عاشها.

٣٥٠هـ.

- ١٧ -

قال: «أعطيكمْ
الخلافةَ، أرضَ
الخلافةِ، سلطانها،
وما قبلَها وما بعدها.

لا أريدُ سوى أن
تعيدوا إليَّ ذواتي
وجِبْري،
لا أريدُ سِوَى
وحْدتي».

كانَ يرنو إلى
السَّيف كيف يُفرِّقُ
بين الرُّؤوسِ
وأعناقِها.

- ف -

هذه أرضُ نَجْدٍ
وبُسيطَةُ(*) فيها وطنٌ لِلمها والنّعامْ.

وأكاد أرَى طيفَ ليلى
وألمسُ أردانَه الطّويلَهْ
وأكادُ أُلاَبِسُ قيساً.

وطنٌ فارغٌ من هُذاءِ العقولِ ومِن
هَذَيَانِ الكلامْ،
وطنٌ للوحوشِ الجميلَهْ.

* أَلْفيافِي تُتَرْجِمُ خيلي
وَخيلي تُترجِم حرّيتي.

(*) اسم موضع.

٣٥٠هـ.

- ص -

كانت الشَّمس في عقدة الجَوْف(*) تشربُ
ماءَ الجُراويِّ(*)، حين هبطنا عليها.
شربنا. شربتْ نوقُنا وأفراسُنا.

عقدةُ الجَوْفِ تسأل من أين جئنا؟
تحاور أحزانَنا، ونفهمُ ما لا تقولُ،
وتفهم ما لا نقولْ.

عقدةُ الجَوْفِ تغزلُ أَبْهى عبَاءاتِها
مِن رُغاءِ النّياقِ ومن حَمْحماتِ الخيولْ.

(*) موضع، والجُراويُّ نبع.

- ١٨ -

«أَعْطِني جُرعْةَ ماءٍ
وخُذِ العالمَ.
لا أعرفُ. ماذا
قلتَ؟ لا أعرفُ.
كلاّ،
وَطني جِلْدي،
ولا أملكُ إلاّ
كلماتي».

* أَرَّقتْني الوحوشُ التي تتقافَزُ بين الورَقْ،
هل سيبقى طويلاً،
أيُّها الربُّ، هذا الأرَقْ؟

(*) موضع قرب الكوفة.

- ق -

أَتُراها الرُّهَيْمةُ(*) وجهٌ
لشقاءٍ تلاشَى؟
أَتُراها تودِّع أيّامَها الحزينَهْ؟

دجلةٌ والفراتُ نشيدانِ
والعشب يرقصُ:
للأرضِ عيدانِ، عيد السَّوادِ
وعيدُ المدينَهْ.

* أيّها الواقِعُ،
ما الذي يجرحُ الصّدقُ في رئتيكَ،
وماذا يضيركَ نَوّارُهُ الطَّالِعُ؟

الذّاكرة
٣٥١هـ.

- ١٩ -

- «هُرطوقيٌّ، مَنْ
يقتلُهُ،
يَعلُو بِاسْم اللّهِ،
- دَعوهُ
لن يعلوَ حتى عُشْبٌ
يُسْقَى
مِنْ شَرْيانِ
هُرْطوقيٌّ».

- ر -

شاطئانِ ـ البَقاءُ، الخُروجُ: الزَّبَدْ
موكبٌ من كُراتٍ. وَمَرْسى
لِيعاسِيبَ تَبْحثُ عن خُبْزِها.

يتخيَّلُ قِنّينةً، وَيَطْفُو
مثلَها ـ
لا اتّجاهٌ
لا مَدىً
لا أَحَدْ.

* يدخل الضّوءُ في حالةٍ
يخرج الضّوءُ من حالةٍ ـ
لا شهيداً، ولا شاهِداً.
عابِرٌ يَتقَرَّى الطَّريقَ إلى نفسهِ.

الذّاكرة
٣٥١ هـ.

قاتِلٌ يتمرأى
في خَناجِرِ
أَسْلافِه.

- ش -

لم أُعِرْ مرّةً ذراعي لموتي.

هوذا الآنَ أدخلُ في روحهِ الباردَه
وأطوِّق أطرافَهُ،
وأحسّ كأنَّا
طائرانِ يعيشانِ في أيكةٍ واحدَهْ.

* كَبدِي تتوغَّل قُدّامَ جسمي،
وجسميَ يمشي أمامَ حياتي.

الذّاكرة
٣٥٢هـ.

- ٢٠ -

الأَسواقُ سماعٌ[1]:
قيثاراتٌ سودٌ
بيضٌ
تتدلّى
مِن أعناق رياحٍ
طِلَسْمِيَّهْ.
الأَسواقُ نساءٌ
في شهواتٍ
روحانيّهْ.

(١) «أمرَ معزّ الدولة بن بويه، قبّحهُ اللّه، أن تُغلقَ الأسواق، وأن تلبس النّساء الممسوح من الشّعر، وأن يخرجن في الأسواق حاسراتِ شُعورهنَّ، يلطمن وجوههنَّ، ينحن على الحسين، ولم يمكن أهل السّنة مع ذلك، لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم».

٣٥٣هـ.

ـ ١٠ ـ

الأسواق ثِيابٌ

أَحْلى

ما حَاكَتْهُ

أَيْدِ بَغداديَّهْ.

الأَسواقُ

خَطايا لاَهُوتيَّهْ.

ـ ت ـ

لا تَسَلْ، لا تَسَلْني

عن أَبٍ أو قبيلَهْ،

نَسبي(*) في لساني.

جئتُ مِن غِيلِ دَهْري، وظنّي

أنني ذاهِبٌ إلى اللَّهِ، غِيلَهْ.

(*) روى الخطيب عن عليّ بن المحسّن عن أبيه، قال:

«وسألت المتنبي عن نَسبه، فما اعترفَ لي به».

(البرقوقي، ١: ٢٠).

* يقرأ الماءُ في شفتيَّ أناجيلَهُ، ـ

عَطشي عاشِقٌ.

٣٥٤هـ.

ـ ٢٢ ـ

الأسواقُ خَمائِرُ حبٍّ
في أجسادِ جُنَّتْ،
وعشاءاتٌ
حول موائدَ سِرّيّهْ.

الأسواق وجوهٌ
تتوهَّجُ في استحياءٍ،
يتلاقى فيها
ضوءُ الشَّمسِ
وضوءُ الحُريّهْ.

ـ ث ـ

نَجمةٌ
تتغطَّى بِبُرقُع أحزانِها
زَمَّلت وَجْهَها
بحنيني، وغابَتْ.

عَرَقي صارَ ثوباً لها.

* أَذِنَ اللَّيلُ للعاشقينْ
أن يظلُّوا على حبِّهم ساهرينْ.

- خ -

أتخيَّل أنّي أسائِلُ قيساً: أَيْن ليلى؟
تُرى ما تزالان عِطرين في وردةٍ واحدَه؟
وبماذا أُدفّئ أحشاءَ هذا الفضاءِ وأعضاءَه
الباردَه؟

وأُسائِلُ: ما الكوفَةُ الآنَ؟
قيثارُ حبٍّ،
أم لقاءٌ أليفٌ بين قَتْلٍ وَقَتْلٍ؟

* هوذا نرجسٌ:
لِماذا
لا أرى فيهِ وَجْهاً، ولا زَهْرةً؟

الذّاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٣ -

«النّساءُ يخوّضْنَ في
النّهر، يُلقين أفخاذهنَّ،
وقمصانهنّ، ويصرخْن
في الماءِ: أين الحسينْ؟

عَبثُ الرّيح والرّمْل مِلْءَ
الفضاء،
وملءَ الحقولِ،
ومِلْءَ اليدينْ»:

هذه صورةٌ
لمثالٍ قديمٍ
قَدَّمَتْها لِسُكّانِ
بغدادَ، هذي العشيّةَ،
آسْوَافُها.

٣٥٤هـ.

ـ ٢٤ ـ

الأَسْواقُ جِراحٌ
أَردَافُ جنونٍ
وصدورٌ تصرخ حُبّاً.

مَهْلاً، يا هذا الرَّعدْ،
الأسواقُ تكادُ تميدْ
وتهوي
تحت هَديرِ الوَجْدْ!

ـ ذ ـ

إنّها الأرضُ مخنوقَةٌ
ودمُ الطَّبع ينقضُ ميثاقَهُ
معَ نبض الطّبيعةِ. والحبُّ يرثي لِأحلامِهِ
نازفاً عند شبّاكهِ:
قَلَّما تقرأ البيوتُ قناديلَ عُشّاقِها،
وأرَى، لا أرَى ـ هل أصدِّق عينيَّ ـ؟ إلاّ
بشراً ميّتين يَعيشون في طينةٍ حيّةٍ.

* قل لِعدوِّكَ: سوفَ تظلُّ صديقاً
ما دمتَ فضاءً
أقْرأُ فيه أخطائي.

٣٥٤هـ.

- ٢٥ -

الأَسواقْ زواجُ
بين الطَّبْعِ
وهذي الأرضِ ـ اللُّغَبْ.

الأَسْواقُ
جِبِلَّةُ دَمْعٍ،
يأسٌ يَشْرَبُ،
لكن،
لا يَشْرَبُ إلاَّ
ماءَ الرَّغْبَهْ.

- ض -

أهناكَ ابتداءٌ؟ أهناك انتهاءٌ؟
أم لغاتٌ توسوسُ أحشاءَنا
ونُهاجِرُ فيها نُهاجِرُ منها
كي نُحرِّرَ إيقاعَنا
مِن سلاسلِ إيقاعِها
ونعودَ إليها
ونكرِّرَها في لغاتٍ سواها؟

* أتغيَّرُ ـ كي تبقى
نفسيَ نَفْسي.

٣٥٤هـ.

ـ ٢٦ ـ

«بين سُنَيةٍ
تتغرّب في فِقْهِها
وشيعيّةٍ
تتغرّب في كُنْهِها،
أتخيّل أنّي
غابةٌ من لغاتٍ.
ألفضاءُ سريري
ورأسُ السّماء على
ركبتيّ.
آه ـ ماذا؟ أحقّاً
نسي الضّوءُ، هذا
الصّباح، مفاتيحهُ
في يديّ؟»:
هذه صُورةٌ
لرسالةِ حبٍّ
قديمٍ.

ـ ظ ـ

لمْ أحاولْ، كما وَسْوَسَتْ جراحي،
أَن أهدّمَ جسرَ التودُّدِ
بين امْرئِ القيس والمُلْكِ،
حاولتُ أن أُغويَ الزُّهْرةَ العربيَّةَ
كي تتجلّى على دَرْبِهِ
وترافقَ أحوالَهُ.

غيرَ أنّ يدَ اللّه جاءت:
أخذَتْ وقتَهُ،
أخذَتْ وقتَها،
أخذَتْ وقتَنا.

* فوَّضَ الرّاكبُ الغيمَ، نبعَ الحياةِ
إلى جَوْفِ إبريقِهِ.
جوفُ إبريقِهِ رمادٌ.

٣٥٤هـ.

- ٢٧ -

آه، ما أحوج الصّلاةُ
لحناجر من ياسمينٍ
وطيبٍ.

هكذا منْ يُصلّي
ومن لا يُصلّي،
يصْعدون على سُلّم
الفضاءْ
إخْوةٌ في البهاءْ.

هكذا تُصبح الحياةْ
شغفاً وابتكاراً.

هكذا يُصبح الشّعرُ
للكلّ تَرْتيلةً.

- غ -

ها هُنَا نستقرُّ. أنَخْنا. «ركَزنا الرّماحَ»،
أخذنا «نقبّل أسيافَنا».
«وكُنّا وفَيْنا، وكُنّا أبَيْنا، وكُنّا عَتَوْنا على من عَتَا»،
و«ما كلُّ من قال قولاً وَفَى
ولا كلّ مَن سِيمَ خَسْفاً أبَى،
ومن كان يحملُ قلباً كقلبي
يشقُّ إلى العزّ قلبَ الهلاكِ، بشعرٍ
مدحتُ به الكركدنّ، بين القريض وبين الرُّقَى
وما كان ذلك مَدْحاً لَهُ،
ولكنّه كان هَجْوَ الورَى».

* إنَّه الشِّعر يأتي
من يقين المكانِ إلى لا مكانٍ.

هوامش
(يوميّات المتنبّي)

VII. غيب

١ ـ إصغاء

في التشرُّدِ، أصغيتُ دوماً إلى الأرضِ تُنبتُ أعشابَها.
عَملٌ شاعِرٌ. غير أنَّ النّباتَ يحبُّ الرّتابةَ كالبحرِ. كلاّ،
لا أحبّ الرّتابةَ لكنني
ذُقْتُ شعر التموُّج، شعرَ الفروقاتِ، فيها، وذقْتُ
الهبوطَ إلى الجَذْرِ: حاوَلْتُ
أن أتبيّنَ فيه جناحَيْنِ، ليلاً، ولكن
صَرْخَةٌ أخذتني إلى بُومَةٍ،
تتذوّق مثلي طريقاً إلى جَذْرِها.

أتشرّدُ. ضَوءُ الصّباح أمامي، هنالكَ، يعلو وحيداً على تَلّةٍ.

٢ ـ انطفاء

أَلشِّتاء انْتَهى
وأنا لم أكد أَبْدأُ.
الفصولُ مرايا، والحقولُ وجوهٌ.
سَقطت شمسُ هذا الصّباحِ على وَجْهها،
عندما رحت كالطّفل أَلْهو ـ أتسلَّقُ أرَدْافَها.

طائِرٌ؟ يُطلق الطّائرُ المهاجرُ آخرَ أصواتهِ
عائداً. كيف أعرفُ أنّ طريق الرّجوع إلى بيتهِ،
آمِنٌ؟

أَلرّبيعُ انْتَهى
والخريف انتهى،
كيف أصبحتَ يا أيّها الصّيفُ؟ عيناكَ حزْنٌ،
ووجهُكَ، في حيرةٍ، مُطفَأُ،
وأنا لم أكد أبْدَأُ.

٣ ـ غيمة

نَقَّلْتُ من حَذرٍ خُطايَ كأنّني
طيْرٌ. يكادُ العشبُ ينبتُ في خُطايَ،
صَرختُ: كيف يسيلُ صوتٌ
مِنْ لَهْفةٍ، كالماء؟ أَصرخُ
كي أُطَمْئِنَ وَحْدتي.
أَنْزلتُ عن كَتفِ النَّهار يدي وجرّةَ حُزْنِها، ودعوتُه:
قِسْنا معاً طولَ الصَّدى
بين الصّراخ ووَحدتي.

ـ «أتريد أن تأتي إليكَ يمامَةٌ؟»

أغمضتُ عَيْني،
وحلمتُ: بيتيَ غَيْمةٌ.

٤ ـ غربة

أن تكونَ غريباً
هو أن تقرأَ الكونَ في بَدئه، دائماً.

المدينة ماضٍ أليفٌ،
والغرابةُ في كيفَ كانت.
أَتُراها المدينةُ، بغدادُ، مخنوقَةٌ؟
ولماذا تذكّرتُها الآنَ؟ عَصْرٌ
يتشكّل في جَوْفِ جَبّانَةٍ.

وأنا مثله ـ حائِرٌ بائِرُ
إِشْفِني الآنَ، مِن عَهْدِ حبِّيَ، يا أيّها الشَّاعِرُ.

٥ ـ قدَر

قَدَري أنّني
لا أُطِلُّ على الأرضِ من شُرُفاتِ القَدَرْ.

ربّما يفهم الطّفلُ فِيَّ العذابَ الذي يتخثَّر من عهدِ آدمَ،
في رئتيَّ. اضطرابٌ
في الضّياء الذي يتسلَّلْ من كهف حرّيتي. ضياءٌ
آخَرٌ مِن فضاءٍ غريبٍ
يتسكَّعُ في خَيْطِ شَمْسٍ.

آخُذُ الآنَ حُلميَ شيخاً وطفلاً
وأفتح أبوابَ ليلي لَهُ
وأَنذر أهدابَهُ لِلسَّهَرْ.

٦ ـ حرب

ما أقولُ إذا سألَتْني
خطواتيَ عن بيتها؟
لن تعودَ الحياةُ؟ الطّريقُ وأشباحُها
تتخاصَمُ فيهِ وفي حبّهِ؟
أم أقولُ انتهى ـ
والرّمالُ تُظلِّل تاريخَهُ؟

ولماذا
لا أحبّ التذكُّرَ إلاّ إذا كانَ حَرْباً؟

أيُهذا الفضاءُ الذي يتوهّج في بيتها ـ لماذا
لم تقل للطريقِ إلى بيتِها،
إنَّني خُنْتُهُ؟

٧ ـ عطش

أتهجّاكِ، يا هذه الأرضُ ـ أَرْضيَ، أشباحُ موتِكِ في ناظريَّ،
أغانيكِ مَرْثيّةٌ ونَواحٌ، وأيّامُكِ احتضارٌ.

الجحيمُ الذي فِيَّ منكِ ـ التبسْتُ بتاريخِهِ،
وانتميتُ إليهِ،
فكيف وأيّانَ أخرجُ منهُ؟
وأُحسُّكِ فِيَّ الهواءَ وميراثَهُ: لا خلاصٌ.
ومَنْ فيكِ يعرفُ إنْ مُتُّ أو عِشتُ؟ عيناكِ
لا تنظران، وقَلبُكِ رَمْلٌ وقَشٌّ.

عَطشي أَنْكِ الماءُ، والماءُ وَصْلٌ.

٨ ـ تنقُّل

لا أسائل موتي عن حياتي، أو حياتيَ عنه، فمَوْتي
كحياتي رحيلٌ.
ولهذا،
لا أحبَ المُقامَ، أحبَ الرَّحيلْ.

في الرَّحيلِ، أكون وحيداً، وأُصغي لنفسي، ونفسي تُصْغي
إليَّ، ولا شأنَ لي في السَّماء،
ولا شأنَ لي في البقاءِ على هذه الأرضِ. وحدي
أَتَكاثَرُ في الصَّمْتِ، في ذلك الحوارِ المُعمَّى
بين ليلِ الإلٰهِ وبَيني ـ
أَتَنقَّل مِن مستحيلٍ إلى مُستحيلْ.

٩ ـ عبوديّة

ربّما صرتُ عبداً لذاك الكلام الذي كنتُ أجتاحُهُ
وأروِّضُ عِصيانَهُ
وأطوِّعُه مثلَ عَبْدٍ.

أصديقٌ يصيرُ عدوّاً؟
أعدوٌّ يصير صديقاً؟
أم هو الضدُّ يظهرُ في ضدِّهِ؟

قل ليَ الآنَ، ماذا سأفعل؟ هل كنتُ أصرخُ من دونِ صوتٍ؟
وهل كنتُ أُخطئ في الظنّ والقول؟ هل خَطأي ظاهرٌ؟
قل ليَ الآنَ، ماذا
أيّها الطائرُ البشريُّ الذي طار في حُلْمِهِ
فَتفكَّكَ في شمسِهِ واحترَقْ،
أَيُّهذا الورَقْ.

١٠ ـ الوداع

لحظةٌ ـ كَيْ أقولَ وداعاً
للبلادِ التي أنتمي إليها،
لحظةٌ يتحوّل فيها
كلُّ شيءٍ إلى ذكرياتٍ.

هل سأبدأ من أوَّلٍ؟ أين؟ لا دجلةٌ تتراءى
والفراتُ عصيٌّ على أيِّ حبٍّ.

هوذا أترقَّبُ ـ (آهٍ،
كم ترقَّبْتُ!) ماذا؟
ما الذي يتجلَّى؟
أهنالكَ شيءٌ تَبدَى، أهنالكَ شَخْصٌ بدَا؟
إتَّعِظْ اتَّعِظْ وتَعلَّمْ
أيّهذا الفسيحُ البهيُّ المدَى.

الخاتمة

I. كتاب السَّواد

II. رماد المتنبّي

كتاب السّواد

(أوراقٌ خاصّة أوصى كافور أن تُنشَر بعد موته. وقد وصلت إلى أدونيس، بطريقة غامضة، وفي صندوقٍ واحد مع «يوميّات المتنبي». وهي تُنشر هنا، بناءً على هذه الوصيّة، للمرة الأولى. والعنوان هو من وَضْع أدونيس).

*

لا بلادي بلادي، لا يَدي في يَدي، ـ
كيفَ لي أن أقولَ لهذي المدينةِ:
خَبّأتُ حُزنَكِ في جِلْديَ الأَسْودِ؟

*

المدينة شَحْمٌ
وأنا لستُ إلاّ
هيكلاً مِن عظامٍ، ـ
شِخْتُ يا هذه المدينةُ، يا شَمْسَ أوجاعِنا،
وأنا لم أَزَل، بعدُ، طِفْلاً.

*

كيف جئتُ إلى مِصرَ؟ وحديَ؟ مع آخرين؟ أَتَذْكُرُ
يا جِسْميَ المُتَشوِّهُ؟ من أين؟ كيف اشترانيَ تاجِرُ زَيْتٍ؟
ومن أين صِرْتُ إلى إِبْنِ وَهْبٍ؟ وإخشيدُ
مِصْرٍ ـ لماذا اصْطفاني، وأَعْتقَني،
وحَمَاني؟
عَجبي غامِرٌ. أحكمةُ غَيْبٍ؟ مُصادَفةٌ؟ فَلْتَةٌ؟
ما أقولُ؟ سأتركُ هذا لغيري،
ولتاريخ هذا الزّمانِ.

❊

كنتُ أَسْتَرِق السّمْعَ، أُصْغي إلى مالكي ـ سيّدي
يتحدّث عَنّي
معَ زُوَّارِهِ:
«هُوَ عبدٌ خَصِيٌّ،
غير أَنَّ لَهُ خُلُقاً عالياً
لا يَليقُ به غيرُ قَصْرٍ».

❊

أَلمدينةُ مَنْفوحَةٌ بِأباطيلِها
والعَبيدُ الجِياعُ يدورونَ فيها،
ينظرون إلى قُبّة السَّماءِ، يُشيحون عنها:
كِسْرةُ الخُبْزِ أَجْملُ مِن كوكبٍ.

❊

أَلطَّبيعةُ ـ أمّيَ، ضِدّي.

❊

كلُّ ما كان يقطرُ في القلب من ذلك الرَّحيق،
رحيق المناماتِ،
أوْلمتُه للغيومْ.
فجأةً، ذاتَ لَيْلٍ،
وأنا أتقلَّبُ في النّومِ، شاهدتُ أَنّيَ نجمٌ
يتَلألأُ بين النّجومْ.

❊

عِشْتُ زِنْجيَّتي كريماً
أترصَّدُ وَقْتي ـ
فاتِحاً شهَواتِي على كلِّ ريحٍ.

❊

آهِ، ماذا؟ كأنّيَ، طوراً
أَتأَرْجَح في عُنْقِ سَيْفٍ، وطوراً
في يَدَيْ نَجْمةٍ.

❊

لي فراشٌ على شَكْلِ حَوْضٍ
والوسادَةُ نَهْدٌ:
حُلمٌ كنتُ أَرْويهِ حتى
لا أكرِّرَ دوماً
أنني كنتُ أحيا ـ كأنّي
أشربُ الماءَ من جَوْفِ غُولٍ.

❊

آهِ، لِلضّوءِ وَجْهٌ ـ
لا أريدُ منَ الأرض إلاَّ
أن أكون سواداً لأهدابِهِ.

❊

أَتُرانيَ في مَرْكبٍ يتخبَّطُ في لُجَّةٍ؟
لا مَنارٌ ولا شاطِئٌ.
أين أمشي، إذن؟

❊

دائماً، كنتُ أُومنُ:

بيضٌ وسُودٌ ـ طينةٌ واحدهْ.

لا تُقاسُ الحقائِقُ بالطِّينِ. فاذْهبْ

أيُّها العِرْقُ وارقدْ

في رمادِ خرافاتكَ البائدهْ.

*

يَتضامَنُ، لكن بألفاظهِ:

رَجلٌ مِن رياحٍ ونَرْدٍ.

*

ما هذا الغيمُ؟ كأنّ خُطاهُ

تَتشَحَّطُ، تمضي تأتي، وتُسِفُّ وتَعْلُو

في ما يُشبهُ مَوْجاً:

يبدو أنَّ الأُفْقَ مَريضٌ.

*

كلُّهم أصدقاءٌ

في البِطانَةِ، في القَصْرِ: بعضٌ لبعضٍ خليلٌ.

وبعضٌ لبعضٍ قريبْ،

وأنا وحديَ الغريبْ.

*

مِتَعي، ولَذائذُ فِكْري، وكوابيسيَ الماردَهْ
تتجاذَبُ روحي وجسميَ في لحظةٍ واحدَهْ.

❊

هُوذَا ـ هَل أُشاهِدُ نجماً
يتبسَّمُ في خِفَّةٍ
ويقومُ ويقعدُ مُسْتهزِئاً
وَيُدغدغُ أعضاءَهُ؟
أم أنا واهِمٌ؟

❊

أَلطَّريق الذي قادَني للخروجِ من التِّيهِ؟ يبدو
أنّه قائدي مِن جديدٍ
للدُّخولِ إليهِ.

❊

إنه العَرْشُ يَنْهارُ. هل آخُذُ العَرْشَ من أَوَّلِ الخَيطِ
بالبأسِ والعَقْل؟ أم أتركُ المسألَهْ
مثلما أَلِفَ النَّاسُ تاريخَهم ـ
حِيلةً، مَرَّةً،
مَرَّةً، مَقْتلَهْ؟

❊

حوليَ الآنَ، مِن كلِّ فَجٍّ،
بشَرٌ يطمحون إلى سُدّة الحُكْمِ،
أو يطمحونَ إلى لَمْسِها وتقبيلِها ـ

بَشَرٌ يجعلونَ من الأرضِ مُسْتَنْقَعاً.

*

لن أقولَ لخيليَ: مُرّي على جُثثِ الآخرينْ
أَلّذين يُعادُونَني.
سأقولُ لهم: بيننا
شِرْعَةُ الحَقّ،
والفِكْرِ ـ حُرّاً،
وميراثُها الأمينْ.

*

ينبغي أنْ يُعادَ إلى العَرْش ما يمنحُ العَرْشَ مَعْناهُ:
لا ظِنَّةٌ،
لا رَشاوى،
لا توسُّطَ بين الأميرِ وشعبِ الأمير،
ولا مُرْتشونْ.

والأباعِدُ، في الحقِّ والعَدْلِ، مثل الأقاربِ، لا خَوْفَ،
لا يُقْمَعُ الّذينَ يُنادون بالعدل، أو ينقدونَ الأسيرَ وأعمالَهُ

وأقوالَهُ،
ولا يُعْزلونَ،
ولا يُحرَمونَ،
ولا يُقْتَلونْ.

*

لا أُمثِّل شَعبي،
لستُ منه سوى ذَرَةٍ.
غيرَ أَنّي تَمثَّلْتُهُ
وتنوَّرْتُ أوجاعَه وأَسرارَها،
وصوَّرْتُهُ فضاءً
ورسمتُ حياتيَ حُبّاً
فوق طِرْسٍ أمينٍ
من طُروسِ بهاءاتهِ.

*

هل أَدُقُّ عروقَ الرِّماح، وأَصْنَعُ حِبْر الحقيقةِ منها؟
هل أقولُ السَّماءُ كأيّة جَبّانةٍ؟
غَضَبٌ في اللَّهَبْ
والفضاءُ انحناءٌ وبقايَا قَصَبْ.

*

أَتدثَّرُ أَنْحاءَ مِصْرِ
وأفوِّض قلبي لأقاليمها.

*

سَمِعَ النّيلُ هَمْساً:
«ما الذي يخسرُ النّيلُ، إن قُطِفَتْ زهرةٌ
بين أحضانِهِ؟»
ضَحِكَ المَدُّ والجَزْرُ فيهِ،
ومضَى يَتَسقَّطُ أخبارَ أزهارِه.

*

نَزفَ الأُفْقُ مِن أجلكَ، اليومَ، يا نِيلُ، وانْصهرَ الحبُّ:
لا عَصْفَ إلاَّ
ما يَهُبُّ من النّاسِ،
لا دَرْبَ إلاَّ الصّعودْ.

ما تَبقَّى فُتَاتٌ لكي يَستمرَّ الوجودْ.

*

حافِياً، مُتْعباً
يتقدّم نحوي. يَداهُ
مِثْل خيطيْنِ ـ هذا نُحولُ اليقينِ الذي يتعذَّبُ
في نارِه الفُقراءُ:
آهِ مِمّا يُخبِّرهُ الأغنياءُ،
ويُفْتي له الفُقهاءُ.

*

رُبَّما نتقدَّمُ نحو العدالةِ. . . لكن،
عندما يتدفّق نَهرُ المجرَّة في جَوْفِ حُوتٍ.

*

حزَمَتْ خَصْرَها
النّجومُ ونامَتْ
في سرير الأُبوَّهْ:
مِصْرُ في جوعِها تَنَامُ وأعضاؤها
أُتْخِمتْ مِنْ ركوعٍ؛
مِصْرُ مختومةٌ
بِشُموعِ النّبوّهْ.

*

وَشوشَتْنيَ، في حَسْرةٍ، وردةٌ
(وردةٌ صورةٌ لملاكٍ
لا أقولُ اسمَهُ):
«سيكونُ بعيداً، ولن يحضرَ اليومَ حَفْلَ العشاءْ»
كيف أكتمُ حُزْني؟
كنتُ هَيَّأْتُ للحفْلِ أجملَ ما عرفت مِصرُ من شطحاتِ الغِناءْ.

*

لا أُحِسّ بأعداءِ عَرْشي،
وأُحِبُّ الذين يغارونَ مِنّي.

*

هذهِ مِصْرُ؟ بُرْجٌ يُقامُ على الكلماتِ،
ومَشْنَقةٌ كي تسوسَ الشّقَاءْ؟
ما الذي فَعلَتْهُ
أرضُ مصرٍ لِمحراثِ تلكَ السَّماءْ؟

❊

مِنْ غُبارِ السياسة يأتي إلى القَصْرِ هذا الهواءْ،
دَبِقاً، خانِقاً
آهِ، لو كنتُ أقدرُ أن أغسلَ الفضاءْ.

❊

لا كرامةَ، لا صِدْقَ، لا كبرياءْ:
الحياة على هذه الأرضِ أُنشوطَةٌ
والسِّياسَةُ فَنُّ البَغاءْ.

❊

غَثَيَانٌ تهبُّ أعاصيرُهُ علَيَّ،
وأنا قانِـعٌ:
ليس لي غيرُ هذا الهبَاءِ الذي في يَدَيّ!

❊

يَخْطُرُ اليومَ لي أن أخونْ
ما أُحِبُّ، لعَلّي
أتنوَّرُ ما كنتُ، ما سأكونُ
وأعرفُ كيف يكون التعقُّلُ في لَحْظَةِ الهيَجانِ،
وكيف يكونُ الجُنونْ.

❊

ما الذي يجعلُ الشعبَ، في الضّيقِ،
وَحْشاً غريباً يُحبُّ الجَريمَهْ؟
أَلدِّماءُ له خَمرةٌ، مِراراً
وَمِراراً تميمَهْ.

❊

لا أُحسّ بأنّيَ كنتُ الضحيّةَ. كلاّ، وأكرهُ تمثيلَ أَدْوارِها.

❊

ليس من عادتي أَنْ أُؤَجّلَ ما أعمل اليومَ حَتَّى غَدٍ، ويكفي
أن أقولَ لهذي السّتارةِ: نامي،
أوِ استيقظي لتلك السِّتارَهْ.
هكذا، مُذْ أَفَقْتُ، تساءَلْتُ: ماذا لديَّ، وماذا
سأفعلُ؟ يَبْدو
أَنّني مِثلَ غيري سَجينٌ -
أَنّني سأكرِّر يوميَ هذا كما شاءَتِ الأَمارَهْ.

❊

الخُرافَةُ حِبْرُ العُروشِ،
السُّجونُ بَساتينُها.

❊

سَوْفَ أُثْبِتُ لِلماءِ أَنّيَ جَذْرٌ، ولكن
أَتُرانيَ في حاجةٍ
كي أُبَرْهِنَ لِلرّيح أَنّي غُبارٌ؟

❊

بي حنينٌ إلى رفقاءٍ نَشأتُ على حُبِّهم.
رَفقاءٌ مَشَيْنا حُفاةً معاً،
وأَكلْنا معاً خبزَنا
وقسمنا معاً أرضَنا
بعضُها للعماءِ، لِلَيل القَدَرْ
بعضُها للتشرُّد في البؤسِ أو في يَبابِ البَشَرْ.

غيرَ أَنّيَ في لحظةِ الوعي أَعرفُ أَنّي وحيدٌ،
وأعشقَ هذا البقاءَ وحيداً،
كي أُعاشِرَ نبضَ الوجودِ وأدخلَ في فَيْضِ أَسْرارِهِ.

لا أُحِسُّ بأَنّي أسكنْ في مُخْدعِ الأَرْض،
أو مُخْدَعِ الألوهةِ إلاّ إذا كنتُ وَحْدي.

❊

مَنْ يَرانا، ونحن نعذِّبُ جسمَ المدينةِ، نكسوه ثوباً جديداً؛
مَنْ يرانا، ونحن نقطِّع أوصالَه، ونَسوسُ تآبينَهُ،
ونُؤالِف ما بين خَشخاشهِ وتِرْياقِهِ؟
مَنْ يَرانا، ونحن نجرّ الوجوهَ التي عَشِقَتْنَا ـ الوجوهَ الأمينَهْ
بحبالِ المدينَهْ؟

*

أَفتحُ النَّافذه ـ
عابرونَ، سُكارَى. عَسَسٌ، وقناديلُ سوداءُ صَفراءُ. لَيْلٌ
آخَرٌ من جراحٍ وتمائمَ كي يُطردَ الحزنُ عن وجه مِصْرٍ.
نجمةٌ تأخذ النّيلَ مِن خَصرهِ.
ساهِرٌ. لن أزورَ سريري، ولن أُغْلِقَ النَّافِذَهْ.

*

بَعْدُ، لم تُوجدِ الحياةُ التي قِيل عنها
إنّها غائبَهْ.
وكثيراً تَخيَّلْتُها ـ أتتنيَ سِرّاً، ورافقتُها،
ودخلنا معاً دارَها ـ
دارَها الكاذبَهْ.

*

أَلحِصانُ المُجنَّحُ بالحبِّ،
يَجمحُ في اللَّيلِ،
يَأْتي لِيرتادَ يَنبوعَ مَوْتي.

*

كيف صِرْتُ إلى هذه الحالِ؟ لا الأَمْرُ أَمْري، ولا المالُ مالي.
وأنا لا أحبُّ القتالَ على المُلْكِ، أو غيرِهِ،
وأكرهُ سَفْكَ الدِّماءْ.
لا أُصدّق أَنَّ لِحرَاسيَ الآنَ أمراً ونَهْياً
ولهم حَرْبُهم في الشَرابِ، ورايَاتُهم في المجونْ
ولهم حوليَ الرُّقباءُ، لهم حوليَ العيونْ
يملكون الدُروبَ إليّ وأسبابَها
ويُسْتَعطفونَ، ويُسْتَرحمونْ.

لا أُصدِّق أَنّي كغيري يُجرّ العبيدُ إليَّ هدايا
مِن جميع أقاليم مِصْرٍ، وأَهْدي
منهمُ مَنْ أشاءُ إلى مَنْ أشاءْ.
لا أصدّق أَنّي أُنقّل جسمي كما أَتشهَّى
بين ما ملكتْه يميني، وبين الحريمِ، وبين الإماءْ
لا أصدّق أَنّي أتيتُ إلى هذه الأَرضِ مِن هذه السَّماءْ،
لا أصدّق أَنّي أميرٌ.

*

شَمْسُ هذي الظّهيرةِ مالَتْ
رسمتْ حزنَها على بابِ بيتي ومالَتْ.
كانتِ امرأةٌ قُرْبَهُ
تتعلَّم سِرَّ التشبُّثِ بالأرضِ من عُشْبَةٍ. غُرابٌ
حامِلٌ حَظَّهُ
والغبارُ يجرُّ على الباب منديلَهُ.

كنتُ أمشي، وكنت أُحسُّ كأنّ السَّماءَ سَتسقطُ عَمّا قريبٍ
بِكِسْرةٍ كِسْرةً فوق رأسي.
أتوقَّف كم أشتهي الآنَ أَنْ أتمدّدَ في ظِلّ رُمّانةٍ
فوق هذا التّرابِ. تُراها يَدُ اللّيل، تلك
التي تدخل الآنَ في جَيْبِ فَلاَّحةٍ؟ أتراها السَّماءُ تنام
على كَتِفيها؟
كوكبٌ يهبط الآنَ عَفْواً على سُلَّم الفضاءْ:
هوذا شارِدٌ في الحقولْ
وأنا غارِقٌ في البُكاءْ.
آهِ شَيخوخةُ القَلْبِ أَدْهى وأفجعُ مِمّا تظنُّ العُقولْ!

*

يخدمُ العَرْشَ، يخدمُ كرسيَّه. ولكن
أَهُنالِكَ في العَرْشِ مَن يخدمُ الشَّعْبَ،
مَن يخدمُ الشِّعر، أو يخدمُ الجَمالْ؟
عرشيَ الآنَ هذا السُّؤالْ

*

كنت أَحلُمُ أن يأخذَ المتنبّي
بِيدَيْ أَسْودٍ
يتبوَّأ عَرْشاً
بنبالةِ أفعالهِ وأفكارهِ
لا بِإِرْثٍ، ولا باغتصابِ.

كنت أحلمُ أن يتآخَى
مَعَ أيّامهِ وتباريحِها،
والحدودِ التي اخترقَتْها خُطاهُ،
رسمَتْها خُطاهُ
في مسيرةِ هذي البلادْ،

كنتُ أحلمُ أن يُجريَ الشِّعْرَ أبيضَ،
في لُجّةِ السَّوادْ.

*

لم أَشَأْ أَن أُطيعَ هوَى المتنبّي
وَأُنيطَ به ضَيْعةً.
لَمْ أَشَأْ أن أُدَجِّنَ ما في حَناياهُ مِن شامخٍ عَصِيٍّ.
شِئْتُ أن يستمرَّ كما رسَمَتْه رؤايَ:
الشَّريدَ، النَّذيرَ، النَّقيّ.

*

نَقلوا عنه ما قالَهُ فِيَّ، ـ حالٌ
أَتُراها،
مَثَّلَتْ حالَهُ؟
لا أغيِّر في نَظْرتي إليهِ
ما بِنفسيَ عنهُ. لهذا
لا أُعيرُ انتباهاً لما قالَهُ.

*

لن أقولَ سوى الحقِّ عنه:
شاعِرٌ لا أُجادِلُ في شعرِهِ.
هو إيقاعُ هذا الزَّمانِ ومعراجُهُ
إلى سِرِّهِ.

شِعْرُهُ القوسُ والشُّعراءُ جميعاً يمرُّونَ مِن تحتِهِ.
وأَرى أنَّ أوجاعَنا تَتشابَهُ:
يَمْضي إلى سِرِّهِ، غريباً
وأَعودُ لِسِرّي، غريباً.

*

لا أُريدُ امتداحَ السَّوادِ، ولكن
ربّما أخطأ المتنبّي
في قراءةِ لَوْني وقراءة ما بيننا.

لم أشَأْ أنْ ألبِّيَ ما شاءَ. لم أُعطِه الولايةَ كي
لا يكونَ سجيناً لَها.
شئتُ أن يَستمرَّ وَفيّاً
لمراراتهِ.
أن يُطلَّ على الأرضِ من شُرْفة الأنبياءْ
كوكباً مُلْكهُ الفَضاءْ.

❋

هُوَ لم يَرَني، مرّةً
وأنَا لم أُشاهِدْ
بين نفسي وبيني سِواهُ.
كيف خانت طريقي إليهِ خُطاهُ؟

❋

يا جدائلَ ذاكَ الحنينْ
كيف أَنْسَيْتِني؟
لم أَعُدْ أتذكَّرُ ما قالَهُ
لجراحاتِنا
في اللّقاءِ الأخيرِ، الغبارُ الأمينْ.

❋

أيُّهذا الصَّديقُ العدوُّ، البعيدُ القريبُ، المقنَّعُ ـ كلاّ
لا تَقُلْ أيَّ شيءٍ.
لم أُرِدْ أن تبوحَ، وأُوْثِرُ أَلاَّ يكونَ الخِطابُ طريقاً
إليَّ. تعوَّدْتُ أن أقرأَ الصَّمتَ، أن أسمعَ
الصَّمْتَ. في الصّمتِ ما يتخطَّى الخِطابَ،
وما يُعْجِزُ الخِطابْ:
لا يقولُ الكلامُ عن النُّورِ، نُورِ الألوهةِ،
غيرَ الحجابْ.

*

كنتُ غَيَّرتُ صَوتي وقَلبي
وحرّيتي في الكلامِ وفي الفكرِ، والرّايةَ التي
واكبتْ خُطُواتي،
والسَّماءَ التي ظَلَّلَتْني، وغَيّرتُ ما عَقَدَتْه الصَّداقَةُ ـ
أَحْلافَها،
وعَهْدي،
وجراحاتِ حبّي وآفاقِه، ودروبي.

ولكنّ وجهيَ ظَلَّ عَصِيّاً ـ ظلّ يَحْنو على نفسهِ

مثلما شِئْتُه
مثلما كانَ ـ لم يَتغيَّرْ.

❊

أَلغبارُ كليمُ الهواءِ، يُرتِّب أوراقَهُ
في خزائنِ حرّيتي.

❊

أسأل الآنَ: كيف السَّبيلُ لتعلوَ مِصْرٌ؟
لا سؤالٌ إذا لم يكن خائِناً.

رماد المتنبّي

I. تدخل الأرضُ في أبجديّة أَهوائها

صَوتُ نايٍ، أنينٌ ـ مَنْ تُرى يَعْزفُ؟
وتَرُ الشَّمس في دهشةٍ يَتساءَلُ، والرِّيحُ لا تعرفُ.

تَدخلُ الأرضُ في أبجديّةِ أَهْوائِها
يدخلُ الشِّعر في مائهِ، ـ
رُبَّما تثق الآنَ يا سيّدَ الغَيم أنَّ المطَرْ
ليس إلاَّ بُكاءَ.
آهِ، ما أبعدَ الصُّعودَ وما أقربَ المنحدَرْ.

إنه الكونُ كالطّفل يدرجُ في ذُرواتِ القصيدةِ،
عيناه لِلَّيل مَنْذورتانِ،
وأعضاؤه لِلسَّهَرْ.

أَلرَّمادُ على القَلب والرُّوحُ مأخوذَةٌ
بدمٍ آخَرٍ
ليس مِمَّا قرأناهُ في مُعجم الدِّماءْ.

أَتوقّع أن يمزجَ الوَقْتُ سِرّاً
عَطَشاً شِئْتُهُ،
بالمياهِ التي لا أشاءْ.

أَتردَّدُ: ما الصُّورة التي سوف أَخْتارها
لِأُسافرَ فيه إليهِ؟
أَتُراها
وردةُ الرّفض يومَ افتَتَحْتُ الطّريقَ إلى شعرهِ؟
أَمْ تُراها
وَجَعٌ يخرج الآنَ من غَوْرِ تاريخهِ؟
قَلقي أَنَّني أَترنَّح فيما أَقُود التَّحوُّلَ. ماذا؟

أَتُرى يكذبُ الماءُ حيناً لكي يَصدُقَ الهوَاءُ؟
أَتُرى يأخذ الضّوء شَكْلَ الظّلام لكي يَتقرَّى تباريحَه،
ويَمتحنَ الأنبياءُ؟

أَلرَّمادُ يجرُّ الفُراتَ على وجههِ
أَلرَّمادُ يُؤاخي
بين دَيْجورهِ والفضَاءُ.

وَثِقَتْ دجلةٌ
بِسَلاسلِ آلامِها
بالغبار الذي كدّسَتْهُ على وَجْهها
بِالنّفاقِ الذي حَفَرتْهُ
في تجاعيدِها، وَبِالنّافِقَاءُ.

أَتُرى، منذُ كُنّا
مِن بدايةِ تاريخِنا،
لم يَمت أحدٌ بَعْدُ مِنّا؟

عُمَرٌ وعليٌّ وعثمانُ والصَّاحِبُ الأَوَّلُ
ومعاويةٌ ويزيدٌ
وأَبُو طالبٍ
وأَبُو لَهَبٍ
لا يَزالون يَحيون. أَبْناؤُهم
نُسَخٌ عنهمُ.
مِثْلَهم،
نتدبَّر أحوالَنا ونسوسُ ونحيا
مِثْلَهم،
نشربُ الماء، نغسل أجسامَنا، مِثلَهم نأكلُ.
لا يزالون يحيون في كل شيءٍ.
في المدينة ـ أَيّامِها، وأَسْواقِها
والمآذنِ، والطُّرُقَاتِ، وفي كلِّ حيٍّ
وفي كلّ بيتٍ.

هذه دُورُهمْ وسَاحَاتُهم وأقدامُهم
هذه أرضُهم ومقالاتُهم وأصواتُهم.
يعملون، يقولونَ ما يشتهون، ونُصغي إليهم

لا نقولُ ولا نفعلُ.
منذ تكويننا القُرَشيّ
لم يَمت أحدٌ بعدُ مِنّا
لم يمت بيننا
غيرُ ضوءِ الحياة وَمِعراجِها البهيّ وغيرُ النبيّ.

ـ كيفَ يا ذلك الشّرارُ
الذي كان يكمنُ في جَذْر بغدادَ، لم تتكلَّمْ؟
ـ في الكلام الحرائِقُ،
والرُوح عجفاءُ، والرّأسُ في غَيْهَبٍ.
ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ أتغنَّى
بدم الثائرينَ لكي لا يُريقَ الطّغاةُ دماً بعدَه؟

أتقصَّى مدارَ التوحُّش حَتّى
تَتَأَنَّسَ أيّامُنا وأفكارُنا؟

ـ كيف لم تتكلّم؟

ـ يعجز المدُّ والجَزْرُ في الشّعر أن يتنوَّرَ
ذاكَ المحيطَ من القَتْلِ، ما أَوْجَعَ الذّاكرَهْ:

أَبَدٌ من صَحارَى
يَجيءُ ويذهبُ فيها
أَبَدٌ من قوافلَ مَكْسُورةٍ حائِرَهْ.

ـ كيف لم تتكلّم؟
ـ في شَفَا جُرُفٍ. لا مكانٌ سِوَى الصَّمْتِ يَلْتهِمُ النَّاطِقينْ.
وانْظُرِ الهَوْلَ. ما أَبْلغَ الهَوْلَ! لا موضِعٌ
ولا موقِعٌ.
كُرَةٌ تَتدحرجُ في ظِلّ سَجّانِها.

دجلةٌ. واسِطٌ ـ دَيْرُ عاقولِها،
لغةٌ ـ لم تكن مَرّةً
لغةً في الطُّلولْ
إنّها لغةٌ في الأُصولْ
أَلرّياح مزاميرُها، وإيقاعُها الفُصولْ.

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ قل دمي حيرةٌ، وقل الحُنجرَه
أوّلُ المقبَرَه.

II. الغَيْهب

في الموجِ صخَبٌ وعلى اليابسة
بَشَرٌ بِعُمْر اللُّؤلؤ
ينسجون بِأَجفانهم شِبَاكَ الأيّام

فاصلة

سُئِل المتنبي، فيما يُروى:
ـ كيف تدّعي النبوّةَ، والحديثُ
يقول: «لا نبيَّ بعدي»؟
فأجاب:
هذه قراءةٌ للحديث غيرُ
صحيحة. الصَّحيح أن يُقْرَأَ:
[«لا، نبيٌّ بعدي».
وأنا،
اسمي في السَّماء: لا».
المتنبي]

قمرٌ نصفُ نائم
يرتق الشِّباكَ في زاوية المرفأ
وها هو يبتعد
أَشْعثَ الشّعر بين النَّوارس
والنّجومُ حَولَه
يُسْلِمْنَ جدائِلَهنَّ إلى مِقصّاتِ اللّيل.

ما هذه الرِّيحُ
التي تقهر الأشرعة!
تَكادُ المراكبُ
أنْ تتحوَّلَ إلى أحواضٍ لِلدّمع.

أنتِ أيّتها الأسْيِجَةُ الحَديديّةُ التي تُزَنِّر بِحارَنا، بَسْملي كما
تشائين هل لكِ أن تَكْبحي أو أنْ تَردّي الوحوشَ
التي تهمُّ أن تفترسَ الشَّواطئ؟
وما هذه السُّفُن التي تقلِّد حكمةَ السَّماء؟
ما هذا الماءُ الذي يَتموَّجُ حولَها ولا يُبلِّلُ أحداً؟
شموعٌ تُنافِس الشّمسَ
نساءٌ
يرسُمْنَ الأفْقَ بضفائرِ العذاب.

فاصلة

[«كان يعلم طَرفاً من
السِّيمياء. قال للمطر
أن ينزلَ حولي وَألاّ يُصيبَني.
كانت الغيومُ تُظلِّلُني،
فيما تمطر حولي».
معاذ بن إسماعيل]

أين يَقِفُ الآنَ أولئكَ الرِّجالُ المائلون على عكاكيزِ تاريخِهم؟
وكيف أُغْري الزَّمنَ بالسَّير فوق هذا الورَقِ الأبيض،
وأغْري جراحي؟ وكيف أتذوَّقُ مُعجمَ هذا
الشَّاطئِ الذي يتَطاوَلُ بين الإسكندرونة وطنجة كمثلِ شريطٍ

مِن أَطْباقٍ إلٰهيّةٍ
تحمل الأَسلحةَ والآلاتِ والحوانيت؟

فاصلة
[«دَلَّتْ
أشياءُ
في ديوانهِ،
أَنَّه
كانَ
متألِّهاً».
المعرّي]

مَنْ يخدعُ الموجَ؟
مَن يَغَرِّرُ بِرُسُلِ الغربِ والشّرق،
يَفتحُ لهم المصائِدَ
في اللّغة وفي الدُّروبِ، كما تُفتَحُ النّوافذ
ويُنَصِّبُ البُومَ ذا القَرنينِ،
مَلِكاً على المفارق ـ
في اللّيل الذي يُتَأَتِئُ، اللّيلِ الذي هو ابْنٌ
لنَجمةٍ لا تعرف كيف تمجِّد الشّهوةَ
في سرير عرسها في وَقْتٍ يعرجُ
ناسياً نَحْوَ التّاريخِ وصَرْفَه.

أَدِرْ وجهَكَ إلى مكانٍ يستقبلُ الخِرافَ
الضّالَّةَ إغرقْ في أحضانِ نخيلِهِ
حيث كنائس العشب ومآذِنُ السَّكينة
حيث الأرضُ
لا تزال تنتمي إلى غناءِ الطّيور.

الأمواجُ تُواصِلُ أَنينَها في بَحْرٍ يتنكَّر لشطآنِهِ، وها هو الماءُ يتزوَّج الرَّمل.

ـ «قِسْتُ حُنجرةَ الهواء»،
قال المتنبي،
«كان عَددُ أوتارها أقلَّ مِمّا تملكُ حُنجرتي،
وتنبَّأْتُ بمصيرِ الهواء».

II

مُدُنٌ ـ
سَطْحٌ مجدورٌ، والقَرارُ يتقيَّأُ أَحْشاءَه
مُدُنٌ ـ
أسماكٌ من كلِّ نوعٍ تتأرجَحُ بِاسْم الآلهةِ وبِاسْم المعدة
في موازينَ تتأرْجَحُ بين البَرِّ والبحر.
بِاسْم البخور تَلتصقُ روائح السُّوق
بوجوه زُوَّارها بين أَعْشابٍ
نادرة في صناديقَ تَنْحني فوقَها سماءٌ
يرشح منها سائِلٌ لا يُعرَف إن كان
عسَلاً أو قَيْحاً.

فاصلة

«إنَّ غُلَيِّماً مِعطاءً بالريّ
(الصّاحب بن عبّاد) يريد أن
أَزُورَه وأمدحَه، ولا سبيلَ
إلى ذلك».
المتنبي]

وحيث كانتِ الأبوابُ آخذةً في

الصَّدأ، كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيزهم يبلّلون
سُؤَالَهم بماءِ الهجرة.
كانَ البحرُ يَرْتجلُ هديره كأنّه جرحٌ يلتهمه الملحُ في «ليلٍ أَرْخَى سُدولَه»
كأنَّه الرّفيقُ الأعلى لامرئ القَيْس،
بعيداً،
تحت نخلةٍ،
لا يزال امرؤ القيس ينهض فاتحاً صَدرَهُ
لناقته الذّبيحةِ ـ احتفاءً بالحبّ. غير أنّ الغديرَ جَفَّ
الغِزلانُ تَشربُ دموعَها والقلوبُ أطلال الماء ليس ماءً وليس
هناكَ صيّادٌ غير الرَّمل
مع ذلك لا يزال جرح المكان ينزف وَحْياً

فاصلة

[«بلوتُ (من أبي الطيّب)
ثلاثَ خِلالٍ ذميمة،
وتلك أَنَّه
ما صامَ
ولا صلَّى
ولا قرأَ القرآن».
علي بن حمزة
(راوية ديوان المتنبي)]

مِن أجل حضورِكِ يا صحراءَ العالم
مِن أجل شهواتكِ
مِن أجل أصابعكِ التي تعزف على
أراغنِ الدّمع
مِن أجل ركبتيكِ والشّقّ الذي
يتلألأُ بينهما
مِن أجل ضفائركِ التي تزيّنُ كتفَيْ ليلنا
مِن أجل روحكِ التي لا مادّة فيها غيرُ المادّة
مِن أجل وقتكِ الآنَ وأيّامكِ الآتية
الذّاهبةِ على ظهر فِيلٍ سِجّيلٍ

في مُدُنٍ تعمرُها صلواتُ الآخرة
في دروبٍ مرّت على حَصْبائِها مِسْحاةُ التَّقوى
مِن أجل أن نظلَّ دائماً نَجيءُ في اللَّحظة نفسِها قبلَ
الوقتِ وبعدَه
في اللَّحظة نفسِها
لا تناقُضَ في المصادفات
لا تناقُضَ في الرِّيح
وأوّلُ الغبار كآخرِه
ولستُ ابناً للحُلم ـ الحُلمُ وجهيَ الآخر.

«قِسْتُ حُنجرة الفضاء»،
قال المتنبّي.
«كانَ عددُ أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتَنبّأْتُ بمصيرِ الهواء».

III

ـ قُلْتِ: «لا مكانَ لجسدينا».
ـ قُلتَ: «بيننا جُزُرٌ، ولا جِسرَ غيرُ الكلام».
ـ قلنا: «البُعدُ حِدادٌ وجسدانا مَسْرحُ الحِداد».

مَنْ إذن سيشرَحُ لكَ صدركَ،
أيّها العاشق؟

تَحدَّثنا عن أُفول الحضارات
عن شعوبٍ تَرِثُها واضعةً جذورَها في قاعِ طُحلبٍ سَماويّ
تَحدَّثنا عن الحَلْوى تُؤكَل بعد السَّمك تيمُّناً بحديثٍ وضعناه.
كنّا ننتظرُ وصول صيّادين تلمع على وجوههم لآلِئُ الغَوْص
كنّا نقشِّر لهم خُرْشوفَ السرّ فيما نُردّد:
ألَلَّهُمَّ،
أَغْرِقْنا في حوضكَ الذي لا يَفْنى.

وكانَ قِرْدٌ مِن فصيلةٍ عاليةٍ تنحدر من سلالةٍ من أَرْضٍ لا تبعد إلاّ
قليلاً عن كربلاءِ الحسين يُغنّي مستعيداً موسيقى غاباتٍ
لم تَصل إلى أعناقِها بعدُ سيوفُ الإبادة

كنّا نرتّل معه أناشيدَ تبدو كأنّها طالعةٌ مِن قيثار
زِرْياب.
كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيز تاريخهم
يسيرون في الماء أمامنا يحرّكون
رؤوسهم يَمْنةً ويَسْرةً
فَجأةً غابوا خُيِّل إلينا أنّ
الماءَ انشقَّ وابتلعَهم
فجأةً ظَهروا،

فاصلة

[«اشترط المتنبي على سيف الدّولة
إذا أنشده مَديحه، ألاّ ينشده
إلاّ وهو قاعِد، وأنّه لا يُكَلَّف
تقبيلَ الأرض بين يديه.
فَنُسِب إليه الجنون!
ودخل سيفُ الدّولة تحت هذه الشّروط».
الصبح المنبي]

يلبسون قشورَ حيتانٍ ويهزّون أكتافَهم
كأنّما لكي يؤكّدوا أنَّ العقل طَبْعٌ كمثل الظلّ،
أنَّه خُلِقَ لكي يخضعَ للنبوّات.

«قِسْتُ حنجرةَ الفضاء»،
قال المتنبّي
«كان عددُ أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وَتنبّأتُ بمصير الهواء».

IV

فاصلة

ـ أ ـ

[«أنزلُ دائماً على قبائل العرب،
وأُحبُّ ألاّ يعرفوني».
المتنبي]

ـ ب ـ

[«حُدِّثت أنّ المتنبّي كان إذا سُئِل عن حقيقة هذا اللّقبِ،
قال: هُوَ من النَّبْوَة،
أي المرتفَع من الأرض.
وكان قد طمَعَ في شيءٍ

سِرْنا
وراءَنا تعلو أبراجٌ شَبّهها بعضنا برؤوس الشّياطين قال آخرون إنها جبالٌ عُقلِت بأقدام الغيم.

في نَهر بردَى قبل أن يجفَّ، أخذتنا مراكب المعرفة إلى خاناتٍ يُخزن فيها ما يَتبقَّى من قوافل الزّمن

الذّكريات مَحفوظةٌ في أكياسٍ من الدِّمقس
التّاريخُ طاحونٌ يُسيّرها ماءٌ أحمر
مَنْ يخلف مَنْ

قَد طَمعَ فيهِ
مَنْ هو دونه».
المعرّي]

- ج -

[«صَحِب سيفَ الدولة في عدّة
غزوات إلى بلاد الرّوم، ومنها
غَزْوة الفناء (فني فيها الجيش
إلاّ سبعة منهم سيف الدولة
والمتنبي).
قال سيف الدّولة:
كان المتنبي يسوق فرسه، فَاعْتلقَتْ
بعمامته طاقةٌ من الشجر المعروف بأمّ
غيلان، فكان كلّما جرى الفرس، انتشرت
العمامة. وتخيّل المتنبي أنَّ الرّوم قد
ظفرت به، فكان يصيح: الأمان، يا عِلْج!
فهتفتُ به وقلت: أيّ عِلْج؟ هذه
شجرة علقت بعمامتك.
فَوَدَّ أَنَّ الأرضَ غَيَّبَتْهُ».
قال له ابن خالويه:
«أيّها الأمير،
أليس أن ثبتَ معكَ حتّى
بقيتَ في ستّة أنفارٍ،
تكفيه هذه الفضيلة؟».]

الكرسيّ العنكبوت
البلاد النّعامة
هاتوا أنباءَ الصّباح
قليلاً من البكاء أيّتها الشّمس
الفكرةُ هنا تُقيم تحت الكاحل وتتشحَّطُ وراءَ
الكعب

بِي حاجةٌ للحديث مع سوفوكليس، ليلاً،
إن أمكن،
ومع إسخيلوس، نهاراً، فيما يفتح
الفجرُ ذراعيه،

هل الفاجعة وحَدها تعلّم الفَرح؟
من يسلك معيَ الطّريقَ التي تأخذُنا إلى بيتها؟
المسرح لا يكفي
لا بُدَّ من رؤية السّرير والسُّرَّة والسّريرة،
وَلْتَتمزّقِ السّتائر.

لكن ها هو الزّمنُ،
مياهٌ شحيحةٌ تَسيل في الغرابيل
أعناقٌ تتطايَرُ بين الأسلاك
الطّيورُ لا تعرف أين تمضي
تكاد أن تجهلَ كيف تبني أعشاشَها

ولم نعد نخافُ
الخوفُ هجومُنا الآخر.

أَلعادَةُ أن يُلوّحَ رجلٌ بِعصاه ويُعلن نفسَه قائداً
أَلعادَةُ أن تجتذبَ العَصا جنوداً غيرَ مَرْئيّين لكي يتغلغلوا أينما حَلُّوا
في المادّةِ وصولاً إلى جزئها الذي لا يتجزَّأ
أَلعادَةُ أن يَنْحني الجمهورُ الثائر أمَامهم حَتَّى يُعانِقَ غُبارَ أقدامهم وغالباً
ما ينسى الحيوانُ النّاطِقُ أَنَّه حيوانٌ ناطق

فاصلة

[«كان المتنبّي داهيةً، مُرَّ النَّفْس».
ابن فورَّجة]

مَنْ أُولئكَ
الذين يرسمونَ بلدانَهم كمثل أَسْلاكٍ شائكةٍ
على صفحاتِ القانون

ماضِياً
عقصتنيَ رِيحٌ منهم
وتنقَّلتُ في عربَةٍ تنقل بعضَ أَنقْاضِهم

ماضِياً
زرعوا في خاصرتي قرنيْنِ لأيّلٍ طَريدٍ، ولم
أُفِدْهُم شيئاً
كنتُ لهم دائماً

حقيبةً فارغةً
ومليئةً بالثُّقوب.

لكن ها هو الزّمن ـ
أطفالٌ يلبسون البنادق
جنودٌ يبطّنون رصاصهم بالحَلوى
كُهَانٌ يفترشون صلواتِهم على عتبَاتِ الموتى
الأفقُ فَحْمٌ والهَواءُ يتأكسدُ
يكاد النَّاس أن يتحوّلوا إلى بثورٍ في جلدةِ الأرض
ومن يقدر الآنَ
أن يميّزَ بين اللُّغةِ واللَّغْو؟

قل لي، أيّها البابونَجُ السّماويُّ
من أين لكَ أن تَشفيَ سُعالَ المادّة؟

غَابَ حارسُ الملكوتِ
في زاويةٍ
في رُواقٍ
في قَصْرٍ
في مدينةٍ طالمَا غَنّاها أبناؤه
وما أكثرهم ـ حشدٌ من الشعراء
الأفاعي بناتِ آوى
أوه! سُلَّمٌ بيانيٌّ من عَظاياتٍ
تتنسّم رَمْل اللّغة!

فاصلة

ـ أ ـ

[«كان المتنبي
يعمل الشِّعر للنَّاس،
لا للممدوح».
الصبح المنبي]

ـ ب ـ

[«... ومولانا يعلم أَنَّ الثَّوبَ
لا يعلمه البَزّازُ كما يعلمه الحائك.
لأنّ البزّاز يعلم جملته، والحائك
يعلم تفاصيله.
وإنما قَرنَ امرؤ القيس لذّةَ النِّساء
بلذّة الركوب للصيد، والشّجاعةَ في مُنازَلةِ
الأعداء بالسَّماحةِ في شراء الخمر للأضياف،
لِلتّضايُف بين كلٍّ من الفريقين.
وكذلك لمّا ذكرت الموت في صدر

البيت الأول، أتبعته بذكر الردَّى في آخره
ليكون أحسنَ تلاؤماً. ولمّا كان وجهُ
الجريح عَبُوساً، وعينه باكيةً،
قلت: ووجهُكَ وَضّاحٌ،
لأجمعَ بين الأضدادِ في المعنى».
المتنبي]

هَلاَّ عُدتم إلى الصّراطِ
أيها الضّالّون؟

ومِن أين للمجهول الذي يرقد تحت
سُرّة الكون،
هذا الجذبُ؟ وهذا الفَلَقُ
الذي يُغري بالغسَق؟

- ج -

[«رأى بعض عبيده
ثوراً يلوح فقال:
هذه منارةُ الجامع.
نظر آخر إلى نَعَامةٍ،
فقال: هذه نخلة!
فضحك المتنبي».
الصّبح المنبي»]

فوقَنا -
ربّما ليست النّجومَ تلك المعلّقة في هذه
السَّماء الجَرْداء
لعلّها أن تكونَ رؤوسَ بَشَرٍ يَلَذُّ لنا أَنْ
نتشبَّه بهم
وذلك الماء الذي تعوَّد أن ينظرَ مِن عَلُ إلى
الحقول الظَّامئة لم يعد ينظر إليه الآنَ غيرُ القَشّ.

- د -

[«أخفى طريقَه،
فلم يُؤخذ له أثَر.
عمل طريقاً تحت
الأرض؟».
الصّبح المنبي»]

ربّما،
ليس الغبَارُ في هذه الحقول، شأنَه في جميع
الحقول الأخرى التي تحرثها يَدُ اللَّه إلاَّ ناراً
تتغذَّى بِأجساد المارقين والعُشاق أولئك الذين
يحسبون أَنَّ المعرفة كمثل برميلٍ مثقوبٍ في
شكل نَهْدٍ يُسمَّى الأبدَ،
لا يَتَّسعُ حَتَّى لنقطةٍ من الماء.

«قِسْتُ حنجرة الفضاء»
قال المتنبي.
«كان عددُ أوتارِها
أقلَّ مما تملك حنجرتي
وتَنبّأتُ بمصير الهواء».

V

صُفْرٌ داكنونَ أولئك الرِّجال المائلون على
عكاكيز تاريخهم غيرَ أنّهم ينامون
مِلْءَ عيونهم ويسيرون في نومهم كمثل
جداولَ تَلتهمها الضِّفاف قَبل أن تَصِلَ
إلى مَصبّاتِها

وها هم الأطفالُ يضطجعون مخمورين
بين الأحذية ودواليب العرَباتِ التي لم
تعد صالحةً إلاَّ للخراب ولم يكن القمر
امرأةً ولا خَشْخَاشاً عندما نظرتُ إليهِ
آنذاكَ فيما كنت أتنشَّقُ روحَ ياسمينةٍ
دمشقيّةٍ كان ذاكرةَ وَقْتٍ يعيش
في الهجرة

فاصلة

[«بلوتُ من أبي الطيّب
ثلاث خلالٍ محمودة، وتلك
أَنَّه ما كذَب،
ولا زَنَى،
ولا لاطَ».
علي بن حمزة»]

فاصلة

ـ أ ـ

[«أيجوز للأديب ألاّ
يعرفَ شِعر أبي تمّام،
وهو أستاذ كلِّ من قال
الشِّعرَ بعدَه»؟
المتنبي»]

في شِعْرٍ ـ حَدٍّ
يَقطعُ الرِّيحَ
ويبسطُ أجزاءَها
على مائدة المعنى.

ـ ب ـ

[«في شِعره (المتنبي) غرابةُ المُحدَث،
وفصاحةُ القديم. خاتَمُ الشعراء».
ابن الأثير»]

لا أزال أَسْتَبْشرُ بفتنة اليأس في
هذا الغار المديدِ الغائر الذي يصطرعُ فيه
الزّمنُ والأبدُ حول رمَادِ الآخرة
اليأس الذي يُبهجُني أن أسكبه كمثل
حنطةٍ في حَوْصلة الموت
اليأس الذي ينظر إلى ما حولي لا يرَى
إلاّ سراباً ينعقد على أطرافي
كحبلٍ أسود لا يرَى إلاّ ثمرةً
حمراءَ في وجنتيَّ كأنّها دمعةُ الشَّكّ
لا يرَى إلاّ كرةً بين يديّ اسمُها
ياجوج الهجرة
اليأس الذي ينظر يرَى لا يرَى شيئاً.

«قِست حُنجرة الفضاء»،
قال المتنبي.
«كان عدد أوتارها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتنبأتُ بمصير الهواء».

VI

هَلْ أعطي لنفسيَ الحَقَّ أَنْ أرسمَ خطّاً أحمرَ
تَحت لفظة النّهاية؟

اتركوني، أنتم يا أبناءَ هاجرَ، لا أزالُ
قادراً أن أعيش هنا قربَ هذه البئر
لا تزال هناك أوتادٌ
لا تزال خيامٌ
وثمَّةَ أصداء تؤكّد أنّ هناكَ أصواتاً
لا تزال الشّفاه التي بَثَّتْها ترتسم في
الأثير.

فاصلة

[«ما خدمَتْ
عينايَ
قلبي،
كاليوم».
المتنبي]

لاَ بُدّ أن تَفْتَح عينيكَ وتَرى
تَرى ذلك الحائطَ
يُديرُ إليكَ رأسَه كأنه ينقل
رسالةَ الطّين الآدميّ.
أوه! طينٌ لا تزال شفتاه مُبتَلَّتينِ
بندى الكلامِ الأوّل!
وماذا تفعلين إذن يا هذه
الشّمسُ!
ترَى الطّفل يَعرجُ عليه مُصدِّقاً أَنَّهُ

سَريرٌ سماويّ ترى الشّيءَ يقول الحاضرُ
ليس حاضِراً ترَى شريطَ النّهايات
يتنقَّلُ بين دجلةَ والأندلس ترى كائِناً
مِمّا قبل التّاريخ كأنّه وليدٌ في شهره الأوّل
واليومَ يُوقظكَ صوتٌ يُشَبَّهُ
لك فيه أَنَّ النّهارَ بركةٌ آسنةٌ نتخبّطُ
فيها نحن سُكّانَ تلك المدينة كمثل أسماكٍ
شِبْهِ ميّتة وتَرى الضّوءَ يتمهَّل في سيره ويعدّ
خطواتِه خِشْيةَ السّقوط.

وهذه النّجوم، كم هي مجنونةٌ!
لا تزال تعتقد أنها يمكن أن تسافرَ إلى الكوفة
لكي تُمضي السّهرةَ فيها ثم تعودُ في اللّيلة ذاتِها
أَحَقّاً أنتَ نفسك الآن ذلك الذي وُلِد
من عناقٍ يتكرَّر كلَّ يومٍ بين الغبار والشّمس؟

الفكرةُ تزدرد أختَها،
والشوكُ نكهة الحنجرة.

فاصلة

[«رأيتُ النّاس
عادلينَ فيه عن التوسُّط.
فإمّا مُفْرِطٌ في وصفه
وإمّا مُفَرِّط».

«هؤلاء الثلاثة (أبو تمام، البحتري، المتنبي)
لاَتُ الشِّعر وعُزّاهُ
وَمناتُه».
ابن الأثير]

حَقّاً،
من زمانٍ بيعتِ السّماء لم يبقَ فيها
مُتَّسَعٌ إلاّ لبعض الكلمات التي تَيَسَّر لها أن
تَسْتوليَ على عرش اللّغة.

تَمهَّلْ أيّها الصوتُ الذي يبتعدُ وراء الأبجديّة
كمثل جَرَسٍ في عُنُقِ فراشة،
دروبي سديمٌ تخترقه مجرّاتٌ محلولةُ
الضّفائر وحياتي فراغٌ لا تقيم فيه إلاّ
الأشعةُ ولا أحلم ضُمّيني يا ذراعَ
الواقعِ إلى احتمالاتكِ وأسألُكِ:
متى يَحينُ قَطافي؟

التّاريخُ يتموَّجُ في قنّينةٍ تتموّج في اللجّ
وآهٍ من تلك الكتب التي تعمرُ العقول ولا تقولُ
إلاّ اليباب

حَقّاً لا حِبْرَ إلاّ الجسد أَصْغُوا
لِلسَّلالم التي تتطايَرُ درجاتُها في غوايات
الأرجل للهبوطِ ـ

إن كانت هناكَ حقيقةٌ فهي في الجسد
وأوجاعه
في
الغَوْر الغَوْر الغَوْر.

«قِسْتُ حنجرة الفضاء»
قال المتنبي.
«كان عدد أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتنبّأتُ بمصير الهواء».

VII

لِلَّيل ذؤاباتٌ
تسبح في دخان بخورٍ
لا إلى النّار ينتمي لا إلى الرَماد
ينتمي إلى بَرْقٍ
يجرُّ الموتَ أمامنَا
حاملاً مقلتيه في صحْنٍ أعمى.

وَمِن أينَ لك أيّها الشّعُر أن تُفْلِتَ

فاصلة
[«أبِخُرْءِ الطّير تُخشّيني؟
ومن عبيد العَصا
تخافُ عليّ؟

معاذ اللّه
أَنْ أشغل فكري
بهم
لحظةَ عين.

ولا أَرضى
أن يتحدّثَ
النّاسُ
بأني سِرْتُ
في خَفارةِ
أحدٍ
غيرِ سيفي».
المتنبي]

فاصلة

[«قاتلَ حتى قُتِل».]

*

[«لَمّا قُتِل،
في طريق الأهواز،
وُجِدَ معه ديوانا
أبي تمّام والبحتري،
بِخطّه».]

*

[«شُغِلَتْ به الألسن،
وسهرت في أشعاره الأعين.
طالَ فيه الخُلْفُ،
وكَثُرَ عنه الكَشْف.
له شيعةٌ
تغلو في مَدْحه،
وعليه خوارجُ
تتعب في جَرْحه».
ابن شَرَف القيرواني]

مِنْ قيدكَ الملائكيّ حَتّى لو صرتَ حارسَ الجحيم؟

أقول لكَ

لا أعرف اليوم إن كانت الشَّمسُ

لا تزال نائمةً

إنْهض يا ليليَ اسْأَلْ:

ما هذه الرّياحُ التي تتأوّهُ

حِداداً؟

أوه!

كأنّ دم الأرض يتخثّر في أجرانِ الآلهة.

. III

ساهِرٌ حول صَمْتِ الدَّم
المتدفِّق مِن آدَمِ

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ هل أقول ابتكرْتُ لجسمي
جسداً آخراً؟

هل أقول لبيتي
أنتَ نِصْفٌ لنفسي
ونصْفٌ لغيري؟

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ لم يَعُدْ من فضاءٍ لنا غيرُ تِيهِ خرافاتِنا،
لم نعد نتحرّك إلاَّ
في دِمَقْس وإِسْتبرَقٍ وجِنَانٍ
مِن حروفِ الهِجَاءْ،
فاحترِقْ صامِتاً، أو تقمَّصْ قميصاً
سَمِّهِ الببَّغْاءْ.

ـ كيف لم تتكلّم؟
ـ أيُّهذي المدائنُ، ساحاتُها والبيوتُ القناطِرُ أبوابُها
وأَسواقُها والقِبابْ
هَا أَمُدّ عروقي ينابيعَ فيكنَّ تجري، وماذا؟ لماذا
لا يخاطِبُ أحشائيَ الحانياتِ عليكنَّ غيرُ الخَرَابْ؟

رِعْشَةٌ في الحُقولْ
في البلاد التي أَنْتمي إليها
تَتمازَجُ بالدَّمع،
تمزج بالدَّمع ماءَ الفُصولْ.

لِيكنْ. لن أقولَ وداعاً
للبلاد التي أنتمي إليها،
ولأشيائِها. لَن أقولْ.

ـ كيف لم تتكلَّم؟
ـ خرجَتْ من جُفوني وأنا أحلمُ
صورةٌ عن حياتيَ،
عن هذه البلاد التي أَنتمي إليها
تنوَّرْتُها، ونَوَّرْتُها

وأنا اليومَ أسألُ: ما الأَوْضَحُ، الآنَ،
هذا المُنوَّرُ، أم ذلكَ المُبْهَمُ؟

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ ساهِرٌ حول صَمْتِ الدَّم المتدفِّق مِن آدَمٍ.

IV. شرقٌ بلا شَرْق

أمس الآنَ غداً
نجتمع على اسْمِكَ بضعة شُعراءٍ نابذين منبوذين ليس
في الهواء حولَنا غيرُ الخُوَذِ وغيرُ لَبْلابٍ بَشَريٍّ يُعَرّش عليها
الدّروبُ أقدامٌ لا تعرف غيرَ السَّلاسل والزّمنُ ساقان
مَشْلولتان
لكن ها نحن ننظرُ إليكَ شِعرك الدَليلُ والسَّبيلُ وكلُّ
قصيدةٍ بداية

هل كتبَتْ إليك الكوفة؟
ما لهذه اللّقالق تحوّم حول آثار طفولتك؟
أهناكَ نَوافِذُ تتحوّل إلى أجنحة؟
أهناكَ آهاتٌ تَصير أَنْهاراً؟
أُهناكَ أَلفاظٌ لِلمدّ لا تقول غيرَ الجَزْر. وألفاظٌ للجزْرِ لا تقولُ غيرَ المدّ؟
وطَمْيُ الفُراتِ هل تحوّلَ إلى كتبٍ ورسائلَ؟
وهل لنباتاته حروفٌ وإيقاعات؟

حَشْدُ أقاويلَ يَلْتطِمُ بخطواتكَ يَهذرون يَهْرفون
يحسدونكَ حَتّى على غبار قدميك حَتّى على رمادِكَ
يَتَجيَّشونَ ضِدَّكَ في قبائلَ وعشائرَ في أفخاذٍ وعائلات

أَدْخِلْنا في عُلوِّكَ
في سكونكَ وحركتك
عَلِّمْ تقاطيعَنا أَرَقَ مَسافاتِك
قل لنا هُيامَكَ وسُلطانَ أعشابهِ
أَرْشِدْنا إلى حكمة الحروف والنّقاط والفواصل
في نَسيمِكَ وإعْصارِك

هكذا يكون لنا أن نُعلن
مِن عَصْفٍ واحدٍ نحن
ورفضُنا يتوحَّد برفضك
هكذا نَتَبَيْرَقُ بكَ وفيك

ونقولُ هذه رايةُ الوَقْت
ونقول السَّماءُ والأرضُ مِن سُلالةٍ واحدة
ونقول الحبُّ والشِّعرُ نَحْوٌ واحدٌ
ونقول أَهْلاً بالكيمياء
بقوسِ قُزَحِ العناصر
بالعقل والقلب في إنبيقٍ واحد
ومَدارُنا التّحوُّل.

هل ينفصل البحر عن أمواجه هل يقول الفضاءُ: لن ألْبَسَ الغيمَ،
والشَّجرُ: لن أُوْرِقَ؟
إذن، كيف لا نكونُ واحداً؟

آهِ، اهْدِنا الصّراطَ وأَوِّلْ وأَوِّلْنا
هل يكفي أن نتعلَّم صَبْرَ الماء،
وماذا نفعل لِشرْقٍ بلا شَرْق؟

ما العاصِفُ الذي يهبُّ؟
ما مجهولُكَ، أيّها الشِّعر؟

V. الشّاعر

وُلِدَ العَصْرُ في جُثَّةٍ.

ـ أ ـ

أَلرَّمادُ ـ سأُوقِظُ من نومهِ أورفيوسَ:
تُراكَ تَعلَّمْتَ سرَّ الهبوط على درجاتِ الجحيمْ؟
جَرَّتِ الشَّمسُ أردانها حول قيثارهِ الكَليمْ، ـ
ألسُّهول مرايا تتدافعُ فيها
شهواتُ الشَّجَرْ
والنُّجومُ نِساءٌ
يَتفحَّصْنَ أجسادَهنَّ ويفتقْنَ ثوبَ القمَرْ.

ـ ب ـ

هَا هُوَ الطَّلْعُ يسألُ رِيحَ صَباباتِهِ:
«كيف أُلقي بِذاري لِعَصْرٍ
قال عنه كتابُ نبوءاتِهِ:
«لم يجِئْ قبلَهُ
قاتِلٌ مِثْلَهُ».

ـ ج ـ

أَلرَمادُ ـ ولكن

ما يقول لِلَيل الطّبيعةِ ليلُ البشَرْ؟
وأنا لا أكادُ أصدّق غيرَ الرّياحِ التي تتدثَّر ثوبَ الغُبارِ. وماذا
لم أكن مَرّةً
كوكباً تابعاً، لن أكونْ
جسَدي سفنٌ جارياتٌ وَرُبّانُهنَّ الجنونْ.

ـ د ـ

أَلرَّمادُ ـ ولكن
ما تُرى ذلك السِّحْرُ يُمْسِكُ بالأرض مِن عُنْقِها؟ وظَنّي
أَنَّ تلكَ النُّجومَ سَتُصبح عَمَّا قريبٍ
غُرَفاً وأَسِرّةَ حُبٍّ
وشوارعَ تأتي وتذهبُ في كلّ ضَوْءٍ.

ـ هـ ـ

أَلرّمادُ كتابٌ، أَلكتابُ رمَادٌ
لا الكتابُ ـ الرَّمادُ، بل الصَّبَواتُ التي تتبجَّسُ من عَتماتِ الجسَدْ
لا الرَّمادُ ـ الكتابُ، بل الحبُّ لا حَدَّ فيهِ،
والطّريقُ بلا رايةٍ
والرّياح تروح وتغدو
في مَهَبِّ الأبَدْ.

لا الكتابْ ـ الرّمادُ، اكتبي أنتِ أيَّتُها المَعْصِيهْ
جسدَ الأغنيهْ
واقرئي: الكونُ صوتي
غيرَ أنَّ الدُّروبَ إليهِ
مُدُنٌ مُقْفَلَهْ.
واقْرَئي: اليومَ تُدرَجُ آياتُ حبّي وحبّك في سُوَرِ الأسئلَهْ
واقرئي: هَيْتَ لَكْ
عاشقي، أيُّها الفَلَكْ.

الكتاب، الرّمادُ ـ سأُوغِلُ حَتَّى ألامِسَ ما كان خارِجَ لَمْسيَ،
ذاكَ البعيدَ العصيَّ الذي لا يعبِّر عنه رمادٌ.
أتآخى معَ الضَّوءِ،
لا مَعْ ترابٍ ولا مَعْ سَماءِ.
وأصادق ما يتجلَّى
وأُعاشر تَرحالَهُ،
وأقول لأحلاميَ اسْبقيني
نحو مجهولِكِ، اغمريني
ببهاءاتهِ ـ

زمني حَيْرةٌ
ومكاني هو اللاّمكانْ.
أيّها التّيهُ، شكراً

أنتَ سِرُّ الطّريقِ،
وفاتِحةُ العُنفوانْ.

لا أقولُ: الحقيقةُ بيتي.
لا أقولُ: الضّلالُ طريقي، ـ

إنّها الكَلِماتُ التي تتأوّهُ في مَهْدِها
إنّها الكلماتُ التي قُيِّدَتْ
والتي عُذِّبَتْ
فُصِلت عن هَواها
فُصِلت عن مَداها.

هل يكون لنا من جديدٍ كلامٌ
لا كسيْفٍ يُهزُّ وعيداً وَوَعْداً
بل كبحرٍ كريمٍ لا ضِفافٌ لَهُ.

ـ و ـ

الرّمادُ ـ الكتابُ، وماذا
أَتْرى لم يعد للقصيدةِ من شاعرٍ
يتغنّى بها ويغنّي لها:
ليس للحبِّ شرعٌ،
ليس للشّعر شَرْعٌ.

يشرب الشِّعرُ، كالحبِّ، ماءَ الحياة، ولكن
مِن ينابيعَ مطموسةٍ في حنايا الجسَدْ
يَادَنَا فتدَلَّى
مُريداً، مَدَدْ.

- ز -

أَلنُّجومُ ترنُّ خلاخيلُها
والرِّياح اللّواقحُ في هِجْرةٍ.
هكذا سَأُسِرُّ إلى اللَّيل ما لا أُسِرُّ إلى غيرِهِ،
مُلقياً كتِفَيَّ على جِذْع زيتونةٍ، -

أَلرَّمادُ،
وما أكرمَ الشمسَ تأخذ منديلَهُ
وتغطّي به قَدميها.
وانظُروا -
ها هي الآنَ تمشُطُ رأسَ الفضاءِ، وتُجلس في حِضْنها بيتَنا.

أَلرَّمادُ - ولكنَّني
لا أدوِّنُ، بل أفتح الجرحَ في غَيْهَب الدِّلالَهْ
لا أدوِّنُ، بل أتعلّم أن أشربَ الكونَ حَتَّى الثُّمالَهْ.

أَلرَّمادُ ـ ولكن
أشعرُ الآنَ أَنّي في حاجةٍ كي أغنّي
جسَدي وَرْدَةٌ وفِكريَ عِطْرٌ.

(باريس ـ برلين ٢٠٠١)

للشاعر

(آثرنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

١) شعر

قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.
شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.
الكتاب I، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.
الكتاب II، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨.
فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛
ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

الثابت والمتحوّل، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،
الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، في أربعة أجزاء):
١ ـ الأصول،
٢ ـ تأصيل الأصول،
٣ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،
٤ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.
دار الساقي، ٢٠٠١.
فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛
الطبعة الثانية، دار النهار، بيروت.
سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.
الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.
النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.
ديوان الشعر العربي،
الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.
ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.
مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.
مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
(الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

٥) ترجمات

حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسيّة، دار النهار، بيروت.
الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
مسرح راسين
فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
كتاب التحولات، أوفيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية
علي موة

ISBN 1 85516 535 X

DAR AL SAQI
دار الساقي